الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية

قسم التاريخ و علم الآثار

الاستيطان الفرنسي في منطقة تيارت

من 1840 – 1890

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: وابل بختة

تحت إشراف الدكتور: غازي الشمري

2013/11/24

2013

بسم الله الرحمن الرحيم

"قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"

البقرة /32

الإهداء

إلى اللّذين سهرا على تربيي و قاما بتعليمي

"والديـ ـي الكريمين"

إلى الذين سهروا معي و انشغلوا في توفير جو العمل

في إعداد هذا البحث المتواضـ ـع

"أخواتي"

"إلى جميع الأصدقاء و زمـلاء الجامعة"

" إلى الوطن الذي استشهد من أجله خيرة أبنائه

و تخرجنا من مدارسه و درسنا فيها "الجزائر"

"أهدي مجهود هذا العمل المتواضع"

شكر و عرفان

لقد تمّ بحمد الله و عونه إتمام هذا البحث المتواضع، و أني لأعتبره جهدا متواضعا، أردت من خلاله المساهمة في الدراسات التاريخية للفترة الحديثة والمعاصرة التي ابتليت فيها بلادنا بحملـة صليبية استعمارية، و إني قد توصلت إلى جمع ما تيسر لي من مادة تاريخية متنوعة من أرشـيف و مصادر مطبوعة و مراجع مختلفة، و ذلك برد الفضل لأهله، و الشكر الجزيل لكل المساعدات التي قدمت لي و سهلت من مهمة إعدادي لهذه الدراسة المتواضعة، و كانت بداية اهتمامي بالموضوع منذ التحاقي بالدراسات العليا، بعد حصولي على شهادة الليـسانس في سـنة 2009، حيـث التحقت بمشروع الأستاذ الدكتور موفق محمد، حول العقار في الجزائر في الفترة الاستعمارية.

و لهذه الغاية فإنني أتقدم بجزيل الشكر و الإخلاص إلى صاحب المشروع، الذي وفر لنا هذه الفرصة العلمية، والى المشرف الأستاذ غازي الشمري لإرشـادنا و توجيهنـا و تقـديم النصائح ، وليس هذا فقط بل تقديم المعلومات الأكاديمية و المنهجية الضرورية لمثل هذه البحوث، و لا أنسى أساتذتي عبر مراحل التعليم المختلفة، و فترة الماجستير، منهم الأساتذة (إبراهيم مهديد وعبد القادر خليفي، وعدة بن داهة، ودادة محمد، وسيفو فتيحة) الذين تعلمـت منـهم الكـثير واستفدت خاصة في منهجية البحث العلمي وحرصهم على التكوين من خـلال توجيهـاتهم و نصائحهم.

كما اشكر كل من الأساتذة حسيني عائشة وكلاخي ياقوت والأستاذ بليـل محمـد الذين ساعدوني كثيرا من ناحية توفير المادة العلمية الأرشيفية الخاصة بدور أرشيف ما وراء البحار بأكس بروفنس ومن خلال تعاونهم معي في الأوقات الضيقة.

كما أتقدم بالتشكر لرئيس القسم و رئيس المجلس العلمي و جميع أساتذة القسم، و لا يفـوتني أن أنوه بالمساعدات القيمة من المسئولين بدور الأرشيف بوهران وتيارت والعاصمة وجميع المكتبات العمومية و البلدية.

وأخيرا أسال الله التوفيق والتسيير.

قائمة المختصرات

باللغة العربية:

الرمز	معناه
م	التاريخ الميلادي
هـ	التاريخ الهجري
تر	ترجمة
ج	الجزء
(د.ت)	دون تاريخ
س	السنة
ص ص	الصفحات
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
ق.م	قبل الميلاد
كلم	كيلومتر

باللغة الأجنبية:

Signification	Signe
Archive de direction cadastrale de chalef	A.D.C.CH
Bulletin officiel de l'algerie	B.O.A
Bulltien sosyologi géographique d'afrique de nord	B,S ,G,A,A,N
Bulltien sosyologi géographique d'afrique de la provaince d'oran	B,S ,G,A,A,P,O
Bulltien Agricole de la région de tiaret	B,A,T
Centre des archives d'outre mer	C.AO.M
Commune de plein exercice	C.P.E
Commune mixte	C.M
Direction des Archives de wilaya d'Oran	D.A.W.O
Gouvernement générale de l'Algérie	G.G.A
Gouvernement Général de l'Algérie	G.G.A
Ibidem	IBID
Moniteur Algérien	M.A
Numéro	N
Page	P
Pages	P P
Sunatus consult	S. C
Tableaux de la situation établissement francais dans l'Algérie	T .S.E .F.A
Tiaret Agricole	T, A

مقدمة

مقدمة:

إن المتتبع للسياسة الاستيطانية المطبقة في منطقة تيارت، سيلاحظ بأن فرنسا قد اعتمـدت على العديد من الوسائل والأساليب بمختلف الصيغ والحيل الاستعمارية في أشكال متنوعة، والـتي أحدثت بدورها تغييرات مست مختلف الميادين التي كان يعيشها سكان المنطقة في تلـك الفتـرة، وبالرغم من هذا، نجد الأهالي دائما حاضرون وصامدون في وجه تلك الإجراءات "القانونية" وحتى العسكرية، من خلال ردود أفعالهم ومشاركاتهم المتواضعة ضمن المقاومات الشعبية.

فمنطقة تيارت هي الاخرى لم تسلم من سياسة الاستعمار الفرنسي سـواء باراضـيها او حـتى باهاليها وما انعكس ذلك على الجانبين، ولهذا الغرض، سنحاول بيان طابع السياسة الفرنـسية في المنطقة من خلال دراستنا الموسومة ب: الاستيطان الفرنسي في منطقة تيارت مـن سـنة 1840-1890، وتم تحديد الفترة الزمنية بهذه الأخيرة لأنها تناولت مرحلة الاستيطان في المنطقة باسـتعمال الأدوات العسكرية السياسية، البشرية والتشريعات "القانونية".

بداية، سندرس منطقة تيارت منذ سنة 1840، باعتبارها السنة التي تمكنت فيهـا قـوات الجيش الفرنسي من دخولها، بإشراف الجنرال بيجو الذي عين كحاكم عام وقائد أعلى للقـوات العسكرية الفرنسية بالجزائر، بالإضافة إلى أنها السنة التي خطط لها كانطلاقة فعليـة للمـشروع الاستعماري في المنطقة، وأنهينا البحث سنة 1890، والتي تعتبر سنة انتهاء واكتمـال المـشروع الفرنسي في منطقة تيارت، من خلال العديد من الهياكل والأجهزة التي قامت السلطة الفرنـسية بتأسيسها، ودخولها مرحلة جديدة تمثلت في اعتبارها مركز مدني، بتوسيع الوجـود العـسكري الاستيطاني.

فسنحاول البحث في تاريخ منطقة تيارت انطلاقا من عدة تساؤلات، تحتاج إلى إجابـة عنها، ومن أهمها: لماذا ركز الاستعمار الفرنسي على المنطقة في تبني سياسة استيطانية؟، وماذا كان يريد من وراء تضمينها لعدة أساليب وصيغ قانونية؟، وهل بقي سكان المنطقة مستسلمين لقدرهم لهم قابلية للاستعمار؟، وما هو الدور الذي قاموا به في مقاومة القوانين والتـصدي للاسـتيطان بنوعيه العسكري أولا ثم المدني ثانيا بعد 1870؟.

وضمن هذا الإشكال العام، تدور في خلدنا مجموعة من التساؤلات، والعديـد مـن الفرضـيات الفرعية ومنها:

- ما هي الوسائل التي استخدمتها فرنسا في تطبيق سياستها الاستيطانية؟
- ما هي انعكاساتها المختلفة على الجزائريين؟
- ما هي المواقف المختلفة، تجاه تلك الإجراءات الاستعمارية؟

ولقد استعنا في دراسة موضوع الرسالة بمجموعة من المناهج التاريخية حسب محاور الفصول، فكان المنهج النقدي التحليلي فيما يتعلق بمحاولات الاستعمار ترسـيخ وجـوده وتجـسيد مـشروعه الاستيطاني، ثم اعتمدنا المنهج الإحصائي لدراسة تطبيقات السياسة الاستعمارية.

أما أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فهي عديدة:

إن دراسة قضية الاستيطان في منطقة تيارت، يجعلنا نقف قليلا للنظر في بعض القـضايا، والـتي كانت من أهم الدوافع للكتابة فيها، فلقد اخترنا هذه المنطقة لأنها لم تلقى الاهتمام الكافي من قبل المؤرخين رغم انها هدف الاستعمار، إلى جانب ادعاء البعض منهم أن المنطقة كان لهـا قابليـة للاستيطان.

- غياب دراسة أكاديمية تتناول المنطقة، حسب ما اطلعت عليه في المكتبات الوطنيـة ومراكـز البحث، ولم تحظ بالاهتمام الكافي من طرف الباحثين في تاريخ الجزائر حسب علمنا.
- إضافة إلى الرغبة في تسجيل تاريخ المنطقة وموقعها من مجمل الأحداث الاستعمارية في تلـك الفترة.
- تتبع عملية تطبيق السياسة الاستيطانية باختيار نموذج منطقة تيارت بهدف معرفـة انعكاسـاتها وردود الفعل المختلفة.

إن اهتماماتنا بدراسة تاريخ منطقة تيارت، حلم راودننا منذ الصغر، فقـد ولـدنا في إحـدى مرتفعاتها الشامخة، وتعلقنا بأخبارها الشفوية، التي كانت بمثابة النداء الخفي الذي دفعنـا للبحـث فيها، وإلى جانب دوافع كثيرة من أهمها:

- الانتماء الجغرافي للمنطقة وواجبنا التعريف بالمنطقة وتاريخها انطلاقا من اختصاصنا وفي إطـار أكاديمي وتحت سقف جامعة كبيرة مثل جامعة وهران التي نتشرف بالانتماء إليها.
- تشجيع الأساتذة الكرام والذين كانوا دوما يدفعوننا للبحث في تاريخ المنطقة بما يحقق الفائـدة العلمية وعلى رأسهم أستاذنا الدكتور غازي والدكتور موفق محمد والدكتور محمد بليل.
- ميولي واهتماماتي حيث ينتابني شعور بأن أقدم الجديد في بحثي عن المنطقـة بحكـم الانتمـاء الجغرافي والاجتماعي.

وسوف نحاول أن نجيب على هذه الأسئلة وغيرها بالتركيز على المنطقة انطلاقا من طابعها الفلاحي والرعوي، واهتمام الاستعمار بالاستيطان الزراعي فيها لحل المشاكل التي يواجههـا في أوربا، إضافة إلى إبراز دور منطقة تيارت في التصدي للاستيطان، ورفضها للسياسة الاستعمارية، ومقاومتها له بكل الأساليب فقد كان لها حـضور قـوي وفعـال في مقاومـة الأمـير عبـد القادر والثورات التي تلته في الجنوب الغربي.

وخلال قيامنا ببناء خطة البحث والإعداد لحيثيات تحليل عناصرها المعتمدة، ارتأينا الاعتماد علـى مصادر ومراجع متنوعة، أرشيف الإدارة الاستعمارية بدور الأرشيف للمركز الوطني بفرنسا بمـا فيها مداولات المجلس العام لوهران، إضافة إلى الأرشيف العسكري بفرسان، إلى جانب أرشيف ولاية وهران والمجالس البلدية و مداولات المندوبيات المالية، التي أعطتنا صورة كبيرة وهامة عـن تاريخ منطقة تيارت في الفترة الاستعمارية، والتي عرفتنا بكم هائل من التشريعات الاسـتعمارية المطبقة على الجزائريين بالمنطقة، حيث قمنا بالتطرق لنماذج منها على سبيل المثـال لا الحـصر، بالإضافة إلى عرض حالات سكان المنطقة خلال تلك الفترة.

كما استفدنا من مصادر متخصصة لها علاقة بالاستعمار والاستيطان في القطاع الـوهراني، وضحت لنا بشكل مفصل تاريخ المنطقة وموقعها من ظاهرة الاستيطان الفرنسي، معتـبرة ذلـك إنجـازا اسـتعماريا وتفوقـا حـضاريا ومنـها:- دراسـة عـن نتـائج الاسـتيطان" لبيرمنهوف"(Pyermhoph)، ومنطقة تيارت "لجون بيار اولوند" (Jon Pier oléandre)[1] حيث تعتبر الدراسة الأولى علمية من حيث المعلومات التي جاء بها عن المنطقة إلى جانب الإحـصائيات

[1]) – يمكن اعتبار هذه الدراسات دراسات علمية وموضوعية من خلال معالجتها لأهم تفاصيل المنطقة

الدقيقة عن المراكز الاستيطانية في تيارت، والتي تأكدت ودعمت بمعلومات أخرى من دراسة جون بيار والذي يعد قائد عسكري سابق، عايش الفترة الاستعمارية مـن 1843-1876، فـضلا إلى حضوره في العديد من المداولات المجلس العام لوهران.

أما عن الصحف، فكانت بدورها حاضرة حسب سنوات البحث، حيث وردت فيهـا مقالات تناولت أوضاع الجزائـريين، مـن بينـها: اكـو تيـارت(Eco Tiaret)[1] تيـارت الفلاحية(Tiaret Agricole)[2]، المبشر(Moniteur)[3]، أما باللغة العربية فلدينا على سبيل المثال لا الحصر: رزاقي عبد الرحمان الضرائب في الجزائر ما بين 1871- 1914[4]، الذي يعتبر مفتـاح الكتابة في موضوع الضرائب في منطقة الجزائر عامة ومنطقة تيارت بصفة خاصة، إضافة إلى مراجع مختلفة عبارة عن دراسات تاريخية وقانونية، متعلقـة بـالوجود الاسـتعماري، أمثـال"تتـوان(Agèron ¡"Tintoin) أجرون و"ياكونو" و(Yacono)، إلى جانب دراسات جامعيـة أكاديميـة عبارة عن أطروحات لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر أو رسائل ماجستير منها أطروحة بن داهة عدة "الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنـسي1830-1962"[5]، وبليل محمد"التشريعات الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على الجزائريين بين سـنتي 1881-1914 القطاع ألوهراني نموذجا"[6]، التي وضحت لنا الخطوط العريضة للعقـار وتطبيـق التشريعات في الجزائر، إلا أن أطروحة الباحث عدة بن داهة لم تتناول منطقة تيـارت بالتفـصيل وبالخصوص ما مظاهر السياسة الاستيطانية فيها، أما عن رسالة ماجستير بليل باعتبارها درسـت القطاع الوهراني خلال سنة 1881 فهي تدخل ضمن موضوع بحثنا خاصـة العقـار في الفتـرة الاستعمارية 1830 إلى غاية سنة 1890، إضافة إلى تطبيقات القانون المشيخي على قبائل منطقـة تيارت.

---

[1])- سنة 1890

[2])- من سنة 1890 - 1839

[3])- 1843-1858-1867-1869.

[4])- "مجلة الباحث"، فصلية تاريخية، نوفمبر، 1886، العدد3، صادرة عن الجيش الوطني الشعبي.

[5])- أطروحة دكتوراه، نوقشت بقسم التاريخ سنة 2008، ونشرت من قبل المركز الوطني سنة 2008.

[6])- رسالة ماجستير، نوقشت بقسم التاريخ سنة 2006، ولا زالت مرقونة على الآلة الراقنة.

ولهذا انطلق عمل بحثنا حول سياسة الاستعمار الفرنسي في منطقة تيارت وانعكاساته على الجزائريين بالمنطقة ما بين سنتي 1840-1890 الذي قسمناه إلى ثلاثة فصول، وخاتمـة وملاحـق متعلّقة بالموضوع، وقائمة للمصادر والمراجع، فكانت على النحو الأتي، ففي ما يخص:

المقدمة: تناولنا فيها طرح إشكالية الموضوع وأهميته، وأسباب اختيارنا له، مـع نقـد المـصادر والمراجع، والصعوبات التي واجهتنا، فضلا إلى المنهج المتبع وهيكل الموضوع.

الفصل التمهيدي: واقع المنطقة قبل الاحتلال الفرنسي

تعرضنا فيه إلى الطبيعة الجغرافية من حيث التضاريس والمناخ والموارد المائية، وكيف كانت أوضاعها قبل الاحتلال الفرنسي أي في ظل الوجود العثماني وما هي محددات الكيفية التي كانت عليها الملكية العقارية قبل 1840؛ والتركيبة السكانية القبلية الموزعة بين عدة قبائل منـها قبيلـة الأحرار بفروعها وقبيلتي أولاد سيدي خالد وأولاد قاضي، ودورها في الأزمـات الـتي عرفتـها المنطقة، وخاصة المشاكل الناجمة عن السياسة الاستعمارية الاستيطانية.

الفصل الأول: الوجود العسكري الاستعماري ما بين 1840 - 1851.

وقد تم تحديد الإطار الزمني من بداية الوجود الاستعماري الفرنسي في منطقة تيـارت إلى مرحلة التوسع الاستيطاني 1851؛ لأنه بتاريخ 16فيفري من نفس السنة تمت المصادقة على قـانون الملكية في الجزائر، وهذا القانون يؤكد أن الملكية حق مضمون للجميع بدون تمييز بين الملاك مـن الأهالي والملاك الفرنسيين، وتتجلى لنا أهمية هذا القانون في كونه لأول مرة خاصة مادته الحاديـة عشرة بين أراضي الملك التي هي موضوع الملكية الخاصة الفردية وتكّون جزءا لا يستهان به مـن التل الجزائري، وأراضي العرش التي يمارس فيها حقوق التمتع الجماعي للقبيلة فقط، ومن ثم هـذا الاخير يهدف أساسا إلى تقسيم أراضي العرش السمة الغالبة على أراضي منطقة تيارت وإقرار نظام الملكية الفردية التي يتماشى مع ما جاء في نصوص التشريعات الاستعمارية، ولأجل هذا دخلـت منطقة تيارت مرحلة جديدة من السياسة الاستيطانية الفرنسية مـن خـلال مـنح الامتيـازات للمستوطنين الجدد، والذي سبقه بفترة التوسع العسكري في منطقة تيارت و ما تخلله من جـرائم وإبادة ودمار لا زالت تحفظها الذاكرة إلى يومنا هذا، فقد تنوعت الجرائم الاستعمارية، وكانـت

أخطرها مجزرة بني مايدة، إلى جانب تدمير مدينة تاقمت التي لم تنج منها حتى الكلاب الـضالة، خلال اكتشاف القوات الفرنسية لمكانها.

الفصل الثاني: الاستيطان المدني بالمنطقة من 1851 – 1890

درسنا فيه الاستيطان المدني من خلال التشريعات القانونية الاسـتعمارية المتعـددة، منـها القانون المدني، وقانون وارني الذي كان يهدف إلى إثراء التعمير، ثم انتقلنا إلى المشاريع الاستعمارية الموجهة لاستيطان المنطقة من خلال اضطهاد سكانها الأصليين وقهرهم وتهجيرهم، وجلب اليـد العاملة الأوروبية عن طريق استقبال الوافدين الجدد، وإدخال الأساليب الزراعية الجديدة.

كما تناولنا تنظيم المنطقة وتهيئتها من خلال السياسة التي اتبعها الجنرال بيجو وغيره، باسـتعباده لسكان المنطقة وذلك بإلزامهم بأعمال السخرة في إنجاز المشاريع الاستعمارية، فضلا عن محاولـة إدراج المنطقة ضمن المكاتب العربية، وتطبيق قانون سيناتوس كونسلت على قبائل تيارت.

الفصل الثالث: نتائج الاستيطان الفرنسي على الجزائريين بمنطقة تيارت

تناولنا فيه أثار سياسة الاستعمار الفرنسي في مختلف الميادين، بما فيها الجانب الـسياسي والعسكري، ثم الاقتصادي والاجتماعي.

وفي رد فعل السكان فقد حاولنا إبراز مظاهر المقاومـة، مـن انعكاسـات الـسياسة الاستعمارية على منطقة تيارت من خلال الكوارث التي حلت بالمنطقة والأضرار الكـبيرة الـتي أصابت المجتمع الفلاحي والرعوي، ودائما في إطار رد الفعل بالمنطقة، فقد عرجنا على نماذج من مشاركات قبائل تيارت إلى جانب الثورات التي عرفها القطاع الغربي، كمقاومة الشريف بومعزة، وأولاد سيد الشيخ، مبينا دورهم وتمسكهم بوطنهم، وتعلق سكان المنطقة بالأفكـار التحرريـة الرافضة للاستعمار.

وأنهينا البحث بخاتمة، حاولنا من خلالها الإجابة على مختلف الانـشغالات المطروحـة في إشكالية هذا البحث والنتائج التي توصلنا إليها، وذيلنا هذا البحث ببعض الملاحق التي تعبر عـن تطور السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على الجزائريين.

لكن هذا لايمنع من القول أننا واجهنا في عملي هذا، العديد من المشاكل، مـن بينـها المـشاكل العلمية المتعلقة ب: قلة المصادر التي تتناول المنطقة، فمعظم الذين كتبوا عن المنطقة لم يخصصوا لها

مباحث بل أشاروا إليها في مسار سرد التاريخ، وبقيت الكتابات التي تتناول المنطقة قليلة وغـير متوفرة إلا في حدود معينة، إلى جانب صعوبة الوصول إلى المصادر الأرشيفية التي تتناول المنطقـة ولرفض السلطات الولائية السماح بالاطلاع عليها، وغياب الدراسات المتخصصة واعتمادها على العموميات وصعوبة أخرى تتمثل في التعامل مع المصادر باعتبارها غير قابلة للاستعارة أو ممنوعـة من التصوير لأسباب تبقى خاصة، مما يصعب العمل الأكاديمي.

الفصل التمهيدي

منطقة تيارت قبل الاحتلال الفرنسي

1- الإطار الجغرافي والتاريخي للمنطقة

2- وضعية الملكية العقارية قبل 1840

منطقة تيارت قبل الاحتلال الفرنسي

الإطار الجغرافي للمنطقة :

تيارت على شكل مستطيل عشوائي، تحيط بها سهول و جبال من كل الجوانب، حيث يحدها من الشرق "منابع طاقين" إلى غاية "ضاية ماقتة الرجلة" وجبل "قبور العشي"، ومن الغرب ابتداء من منحدر "شلخة طوال البايلة"، قاطعة الشط الشرقي إلى غاية أسفل "ضاية عش الشليب" التي تضم منطقة واسعة من الهضاب العليا حتى إلى الجنوب أما شمالا، فتبدأ من "واد الفرات الحسن"، على شكل خط متعرج[1] والتي تتقاطع بجملة من التضاريس من أهمها: "جبل كرمس"؛ "حسينة"؛ "جبل لخضر"؛ "جبل عايشه"؛ "سيدي لحسن"؛ "جبل العلق وجبل الزريقة"، وهي جبال قوية حديثة إلى حد ما، لكنها معرضة للظواهر الطبيعية الشديدة، والتي تصل إلى ارتفاع 300م فوق سطح البحر على شكل خط ممتد من الغرب إلى الشرق، لتكون أول تضاريس ما يعرف "بجبل عمور"[2]، تصل مساحتها إلى 1155000هكتار[3]، إن هذه المنطقة تقع على بعد: 197 كلم جنوب مستغانم، 138 كلم شرق معسكر، 100 كلم جنوب غليزان و236 جنوب شرق وهران.[4]

لعل من أهم الجبال هو، المربع المعروف ب" جبل سيدي العابد" و كذلك السلسلة الجبلية "الناظور" التي يصل ارتفاعها إلى 1530م الواقعة في قمة "رأس فرطاس"، المنطقة التي احتمى بها الأمير عبد القادر عند فقدانه لعاصمته الزمالة[5] ؛ تشكل هذه الجبال المصدر الرئيسي لمياه "وادي مينا"، "واد رهيو"، "نهر واصل"، "نهر الشلف"، "وادي العناصر"، "وابن حاجة"، "وادي

---

1) - Le livre d'or de Loraine, dépôt D'Archive d'Oran, p : 30.

2)- Barlette Henri ," Monographie de région de Tiaret" , B , S , G ,A , de l'Afrique de nord , 17 éme année 1912 , 3 éme trimestre , p : 287 – 348 .

3)- Fabre , "Monographie de la commune mixte indigène de Tiaret-Aflou" , B , S ,G , A , de la province d'Oran, tome XXII, 1902 , pp: 260-262 .

4) - Barlette, Tiaret et sa région d'après l'Afrique du nord,collection africa nostra 1928-1931, p: 360.

5)- Aguila Clément, Tiaret de ma jeunesse, Nice, édition: jacques Gandini, 2002, p:35.

كربوت" "ووادي بوعكروف" [1]، وفي أسفل المنطقة بالجنوب الغربي، تمتد الجهة التي نشأت عليها تيارت ويطلق عليها "سيدي خالد" والتي يخترقها "وادي طلبة" أو ما يسمى (وادي تيارت)، مـا يشكل السلاسل الجبلية التي تسقي حدائق المنطقة وتمول الأودية المحلية، وفي الغرب يوجـد(وادي مسقيدة)؛ حيث تسير مياهه في الغابة المسماة ب: " حنفية جيبو" [2]، وتمتد أيضا إلى غاية جبـل "قزول" بارتفاع 1086م[3]، إذ تصل مرتفعات الجزء الأعلى للممر الجبلي ل"قرطوفة" إلى 1196م و 1221م "بسيدي خالد"، مما أهلّها أن تكون ذات مناخ صحي لكنه شبه جاف[4] و تتـراوح درجة الحرارة بها شتاء ما بين 4° و 13° و ما بين 25°و 38° صيفا و قد تـصل إلى 43°¡ إلى جانب تعرض المنطقة إلى جملة من العوامل الطبيعية، كريح "السيروكو" (♣) في بعض أيام الصيف، و أحيانا إلى تساقط الثلوج بحوالي 94سم.[5]

أما ما يخص المرتفعات والجبال فلدينا سهل "السر سو"، حيث تعددت حوله التـسميات بتعدد الروايات، ففي معجم البلدان كلمة السر سو تعني المنطقة التي ترتفع عـن مجـرى الـسيل وتنخفض دون الجبل، وهذا ما ينطبق على جغرافية السهل، بينما يعتمد بجاجة (BAGEJA) على الأسطورة التي تتداولها المنطقة وتروي أن قبيلتين تقاتلتا في جنوب جبال تاهرت، فرت إحـداهما ليلا بحثا عن مأوى يكفيها شر الهزيمة، ولما طال بأفراد القبيلة السير دون توقف، سألوا شيخهم أن يحدد وجهتهم فأمرهم بالسير والسكوت بقوله (سرو وسو) والتي تحولت إلى سرسـو[6]، هـذا الأخير سهل واسع، يشكل جزءا من السهول العليا للجنوب الغربي الوهراني تحده السهوب مـن الجنوب، "وجبال الونشريس" من الشمال وسهول "قصر البخاري" من الشرق والسهول العليا من

---

[1])- Barlette Henri, op cite, p : 260

[2])- Fabre, op cit, p: 260.

[3]) - C, A , O , M , 2m 181, notice historique sur la région de Tiaret.

[4])- Aguilla clément, op cit, p : 36.

♣- رياح رملية تهب من الجنوب إلى الشمال تكون مصحوبة عادة بزوابع رملية، تحجب الرؤية وتلون السماء بالأحمر، ينظر، الموسوعة الطبيعية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت1981، ص: 267.

[5]) - Henri Barlette, op cit.

[6])-M .Bajaja, Au pays de moisson ,édition Fontana, Alger, 1948, p:117

الغرب، فالباحث بحاجة يقدره بـ: 320000هكتار[1]، في حين يعتبره يـاكونو (YACONO) جزء من المنطقة التلية [2]؛ فيسود السهل مناخ يميل إلى الجفاف أكثر منه إلى الرطوبة بحيث ترتفـع الرطوبة في أقصى شماله وتقل كلما اتجهنا جنوبا، وتتراوح ما بين 455 ملم و319 ملم شتاء بينما صيفا؛ يعرف حرارة شديدة حتى أطلق عليه المستوطنون"الصحراء الصغرى".

مما يبرز أهمية المنطقة، توفرها على عوامل وظروف طبيعية تساعد في اسـتقرار المـستوطنين الأجانب فيها من مختلف الأجناس، فهي معروفة منذ العهود الغابرة خاصـة سـهلها المعـروف بالسرسو الذي أضفى شهرة عليها، وقد أشار إلى ذلك الجغرافيين العرب والمسلمين والأجانب(*)

الإطار التاريخي للمنطقة :

تعتبر منطقة تيارت ذات عمق تاريخي، تعود إلى فجر التاريخ، فقد أكدت الحفريات علـى وجود الإنسان بها، الذي مارس الرعي والصيد و الزراعة، وعرفت أيضا وصول الرومان إليها [3].

كما اشتهرت بعدد هائل من الأطلال [4] مثل: "عين دزاريت"، "عين القصور"، "خربت بن سارة" "وراس فج الله" "والعبيود"، "عين ملاكـو"، "الوهاصـي"، "الخربـة"، "التامورجـان"، "الفارشة" "الرمشية"، "البنية"، "وبوتشت"، "بوتشية" "والشغاية"، والتي هي بقايـا لتجمعـات سكانية أو قرى، تدل على تواجد الاستعمار الروماني في المنطقة خـلال الـسنوات 533- 428

1)- Claude lamboley, Une colonie Franc-Comtoise en Algérie au IXX siècle , Académie des sciences et lettres de Montpellier ,séance du 14/06/2004 Conférence 3870, pp : 1-21.

2)- Xavier Yacono, les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du tell allègerons, Edition: Larousse, Paris, 1953, p :30.

*يذهب عدد من الجغرافيين العرب إلى تعريف السهل المسمى بالسرسو أمثال ابن حوقل في كتابه "صورة الأرض" و ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان" و عبد الحق البغدادي في "مراصد الاطلاع" ، في حين الجغرافيين الأجانب نجد: نيل اديلو (Nile Adil) في كتابه جغرافية الجزائر وضواحيها، وادوارد شارون (Edward Charon) بالإضـافة إلى والي سـتري (Walé Styrie) في كتابه حول العالم.

3) - Berllet, " note sur la ville romaine de Tiaret 1900" , B , S, G, A, de la province d'Oran , tome XX, 1900, n 20 , PP :45- 47

4)- canal j, " Tiaret : monographie ancienne et moderne ", B, S, G, A, de la province d'Oran, tome XX, 1900, p : 18

ق.م[1]، كما لوحظ تجمع وتمركز البربر في جبال لواتة وتاجوين إلى جانب تمركـز الكاثوليـك بداخل المنطقة، والتي كانت تسمى نسبة لهم رومان تيقرتا وبربر تيـارت[2] زمـرورا بالمرحلـة الرستمية والتي يصفها الإدريسي بأنها:" ...بين مدينة تيهرت والبحر مراحل، ومدينة تيهرت كانت فيما سلف من الزمن مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة، والقديمة من هـذه هـتين المدينتين ذات أسوار، وهي على قمة جبل قليل العلو، وبها ناس وجمل من البربر ولهـم تجـارات وبضائع وأسواق عامرة..."[3]، وأيضا يصفها البكري بقوله:" ...مسورة لها أربعة أبواب: بـاب الصفا، وباب المنازل، وباب الأندلس، وباب المطاحن، وهي سفح جبل يقال له جـزول، ولهـا قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة، وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهـو في قبلتها، ونهر أخر يجري من عيون تجتمع، تسمى تـاتش(بالـضم)، ومنـها شـرب أهلـها وبساتينها...وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج..."[4]، حيث ذكر شعوب المنطقة بأنها تبدو كل صباح على أهبة مشروع جديد حتى سميت بتيارت الجديدة، يسكنها من الجنوب قبائل لواتة والهوارة، ومن الغرب نجد زواقة، وفي الشمال، المطماطة، زناتة والمكناسة.[5]

تمكن المسلمون من فتحها سنة سنة160 للهجري/777م[6]، لذلك عرفت تيارت ميلاد أول دولة إسلامية ببلاد المغرب الإسلامي المنفصلة عن الخلافة المركزية العباسية ببغداد، أيام الرستميين بتهرت هؤلاء الذين أسسوا مدينة تاقدمت، ذات المذهب الإباضي[7]، كما تجاذب إليها العديد من

---

[1])- Barlette Henri , " Monographie de la région de Tiaret" , B ,S , G , A, et de l'Afrique du nord , quinzième année , 1912 , Alger , 1913, p: 289 .

[2])- canal, " note sure la Ville romaine et barber ", B, S, G, A, de la province d'Oran, n 28, 1908, pp : 77 – 79.

[3])- الإدريسي الحسن ، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق وتعليق، إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص ص: 255- 256

[4])- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء مأخوذ من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد العراق، 1857، ص:67.

[5]) - canal, op cit, p : 291.

[6])- توجد العديد من القبائل التي سكنت منطقة تيارت ومن أهمها : لواته، مزاته، وسدارة وغيرهم، ينظر: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستمين، القرن الثالث الهجري، تحقيق وتعليق :محمد ناصرو إبراهيم بحـاز، دار الغـرب الإسـلامي، بـيروت – لبنان،1406-1986 ص: 47.

[7])- Haneri Barlette, ibid. p : 298.

القبائل العربية والبربرية وأقامت العلاقات مع مختلف الممالك والدول التي برزت بشكل كبير آنذاك كالفاطميين والمرابطين والموحدين، ثم في العهد العثماني أصبحت مدينة داخلية تابعة لبايلك الغرب إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر[1]، كما نجد مجموعات عربية أخـرى والـتي تمتلـك ألاف الهكتارات من الأراضي في تيارت مثل "الشاوية" و"العكرمة" في الشرف، والثانيـة في الـشمال، والباقية من "الصحاري" و"أولاد سيدي خالد"، فتعيش في الغرب بطابع الهجوم والقوة، في خـيم تحت اسم مغاربة والتي تتشابه مع قبائل "الأحرار الغرابة" في الكثير من العادات والتقاليد[2] فيـبين ذلك؛ أن المنطقة ذات وجود ديموغرافي غني ومتنوع.

ولدراسة الجزائر عامة ومنطقة تيارت خاصة في الفترة العثمانية، لا بد من معالجتها ضمن نطاق ما يعرف ببايلك الغرب الذي امتد الحكم إليه عام 1516م، بعد أن تم اختيار مازونة مقرا للبايلك فيما بعد معسكر فوهران، بعد تحريرها من الأسبان عام 1792م[3]، فمن الغرب نجد وادي ملويـة الفاصل بينه وبين المغرب الأقصى ومن الناحية الشرقية، تصل حدوده إلى بوحلوان التي تفصله عن دار السلطان في حين شمالا، يحده البحر المتوسط وجنوبا تمتد إلى الواحات الصحراوية [4].

وعند دراسة أوجه النشاط الاقتصادي والحياة الاجتماعية للقطاع الغربي عامة ومنطقـة تيـارت خاصة خلال فترة الحكم العثماني، يلاحظ على النشاط الاقتصادي والسلوك الاجتماعي والـذي بدى واضحا في الأرياف وأطراف المدن تأثير تجارة المحاصيل الزراعية والحيوانية.

1- وضعية الملكية العقارية قبل 1840

أ- لدراسة وضعية الملكية لابد من التعرض إلى الوضع الاقتصادي للمنطقة بحيث:

---

1) -Jan Pier " nouvelle inscription de Tiaret ", B, S, G, A, de la province d'Oran, n°:32, 1912, Pp : 547-548.

2) -Gladu dame, " la monographie village commune haute plateaux ", B, S, G, A, de la province d'Oran, n 55, 1973, pp : 639- 652.

3)- Waslin Esterhazy,la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, édition, Charles glossine, paris,1840¡p :126

4) -Aberbrugger, des frontières de l'Algérie, Alger: 1859_1960, P:413.

عرفت تيارت بإنتاج نوع معين من المحاصيل الزراعية وهي الحبوب وكان القمـح أكثرهـا شهرة[1] والذي كان بدوره ينافس محاصيل الدول الأجنبية في الأسواق العالمية[2]، هذا ما أكـده القنصل الأمريكي في الجزائر شالر بقوله:«...هذا القمح مشهور في الأسواق العالميـة الايطاليـة ويفضله التجار على جميع أنواع القمح الأخرى بسبب جودته، تصنع منها المكارونة وغيرها مـن العجائن...»[3]، مما يبرز الإنتاج والاستهلاك الوفير والواسع للقمح لسكان المنطقة، وهذا يؤكـد غنى تيارت بهذا الأخير وأن اقتصاد المنطقة يقوم على مادة القمح بالدرجة الأولى.

إلى جانب زراعة الشعير التي كانت مهيمنة هي الأخرى، لأهميته وشروط إنتاجه المتـوفرة، فالشعير لا يحتاج إلى تربة خصبة جدا، كما يعتبر غذاء للإنسان والماشية ومردوده أكثر من القمح، وهذا ما نستشفه من تقرير بوتان (Boutan) لسنة 1808؛ وان مردود الأرض الزراعية من الحبوب بأنواعها يتراوح بين ثمانية وستة عشر قنطارا في الهكتار الواحد في الناحية الغربية في عهد محمد بن عثمان الباي الأول لوهران حتى أشيع بأنه كان يزرع لحسابه الخاص[4]؛ بحيث تراوح الإنتاج في منطقة تيارت بين ثلاثة(03) ألاف قناطر إلى أربعة(04) ألاف قناطر سنويا، في حين تجاوز الشعير مردود القمح بكثير بحوالي اثنتي عشر(12)ألف قنطار في الهكتار إلى ثلاثة عشر(13) ألف قنطـار سنويا[5]، كما اهتم بايلك الغرب بتربية الحيوانات خاصة في المناطق الريفية والجبلية[6]، بحيـث لا نجد في غالب الأحيان أسرة لا تملك مجموعة من الأغنام والأبقار والمـاعز والحمـير والـدواجن وخلايا النحل خاصة في منطقة الهضاب العليا ومشارف الصحراء حيث توجد المراعي الـشاسعة،

---

1) - Tiaret agricole, "Le blé dénaturé excellent aliment pour le bétail ", organe de défense agricole de la région de Tiaret et sersou, 22 décembre 1939, deuxième année, n° 590, dépôt d'archive d'Oran.

2)- Algérie. Conseil supérieur de gouvernement, Procès-verbaux des délibérations des Tiaret, Alger, 1834- 1939, p : 265.

3)- شارلر، مذكرات شالر، قنصل أمريكا في الجزائر، 1982، ص:30، وينظر أيضا:

- Bulletin Agricole, organe officiel des associations officielles agricole mutuelles de la région de Tiaret (1932 – 1935), dépôt d'archive d'Oran, p: 49

4)- Manquené Jules, l'Oranie et ses richesses agricoles, Oran, 1930, pp: 41- 58, Et Venture de paradis, op cite ;p: 127.

5)- Venture de paradis, Tunis Alger xvii siècle bib arabes sindibad, paris 1983, p : 64

6)- Poirmeur, « les possibilités agricole du sud oranais », B, S, G, A, O, tome xxvi, 1906, p: 343 - 353.

في حين أن تربية الخيول، فتعد تيارت من أهم المناطق رعاية لها[1]؛ وهذا ما تجسد في قول حمدان بن عثمان خوجة: "هؤلاء السكان يحبون الخيل حبا جنونيا، ولا يفكرون إلا في مضاعفة أعدادها وهم يفرقون بين أنواعها ويحفظونها بعناية وتستعمل السلالات الوضيعة للحصول على البغال، وهناك سلالات تختص بالحرث، ولكن أحسن الأنواع، أي الجياد، فإنها للسباق وللحرب ولا تباع إلا نادرا"[2]، وكذلك يقول الإدريسي:" ...وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن..."[3].

إن منطقة تيارت معروفة منذ الوجود العثماني باقتصادها الوفير من حبوب سواء القمح والشعير ذو نوعية ممتازة، وإنتاجها الحيواني بمختلف أنواعه خاصة تربية المواشي والاهتمام بالخيول، والذي سيستمر إلى غاية فترة الاحتلال الفرنسي.

إن النشاط الزراعي تحدده طبيعة ملكية الأراضي، وأنواعها وطرق استغلالها باعتبارها العامل الأساسي في تحديد العلاقات العامة السائدة، سواء بين الإدارة والمجتمع أو الأفراد فيما بينهم، فوضعية الأراضي الزراعية في الجزائر عامة خلال العهد العثماني أضحت تتصف بمظاهر الصراع الخفي والاحتكاك المستمر بين أسلوبين من الإنتاج ونمطين مختلفين من المعيشة احدهما يرتكز على الارتباط بالأرض وحيازتها والأخر يمتهن الرعي والعزوف عن خدمة الأرض، حيث كانت الأراضي الزراعية في الفترة العثمانية تنقسم إلى عدة أقسام:

ملكية البايلك :

كانت معظم الأراضي الخصبة تابعة للبايلك، تعود ملكيتها للدولة وهي في كثير من الأحيان أراضي تتنازل عنها الدولة لصالح بعض القبائل أو لأشخاص لغرض الانتفاع منها دون أن يكون لهم الحق في التملك، سعيا منها الى كسب ولائهم ومساندتهم وضمان طاعتهم، وبذلك تبقى ملكية الرقبة للدولة، وتسند مهمة تسيير ومراقبة هذه الأراضي إلى موظف سامي يدعى خوجة

[1]) - Mrozet, voyage dans la régence d'Alger, ou description de pays occupé par l'armée française, T 3, paris, 1830, p : 292.

[2])- ايت حبوش حميد ، المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830 على ضوء المصادر الاوروبية، نقلا عن كتاب ل: حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، نوقشت بتاريخ 2008-2009، بقسم التاريخ، بلعباس، ص: 154.

[3])- الإدريسي الحسن ، المصدر السابق.

الخيل[*]، وكان البايلك يستغلها بنفسه أو بمساعدة القبائل المخزنية، من خلال نظام الخماسة[**] أو عن طريق ما يسمى بالتويزة[***]، عن طريق وسائل الإنتاج المتمثلة في المحـراث والحيوانـات والبذور بمنح خمس الإنتاج كحق المزارعين أما الباقي يجمع في مطامير البايلـك[1]، كمـا يملـك البايلك أراضي شاسعة يمكن تشبيهها بالدومين، بالإضافة إلى أخرى معروفـة باسـم الأراضـي الموات، وتخص المساحات غير المنتجة منها والتي لا مالك لها، على وجـه الخـصوص الغابـات وأراضي الحلفاء، وهي أراضي يمكن تملكها عن طريق الاستصلاح مع احتفاظ البايلك بحق ضمها إلى أراضي البايلك أو منحها في شكل امتياز[2]، ويكون للقبائل حق الرعي فيها بالاتفـاق معـه حول المساحات التي يحق لهم استغلالها حسب احتياجاتها، كما للبايلك أراضي تعرف باسم العزل؛ وهي أراضي القبائل المتمردة على سلطته فتتم مصادرتها.[3]

كما نجد نوع أخر من الملكيات وهو ما يعرف بأراضي الملك، تعطي الحـق للمالـك في الاستغلال والتصرف فيها بشكل مطلق وهي بالتالي أراضي ملكية فردية، وهي السمة الغالبـة في منطقة التل[4]، وتنتشر بكثرة في المناطق الجبلية خاصة(منطقة تيارت ولأوراس وسهل الـسرسو)، والتي عرفت بها كل من قبيلة "أولاد فارس" و"أولاد بوغدو"، وهما من اصغر القبائـل البربريـة،

---

*)- خوجة الخيل: المكلف بقبض الضرائب ومراقبة أملاك البايلك، وتموين الموظفين العثمانيين والفرق العسكرية بمدينة الجزائر بالمواد الغذائية ، كما ينظر في القضايا الخاصة بالجزائريين ينظر: أديب حرب،التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القـادر الجزائري(1808-1847)، الجزء الأول، الطبعة الثالثة 2007، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ص: 270.

**)-نظام الخماسة: شكل من أشكال الإنتاج كانت له السيادة في المجتمعات الزراعية، يرتبط بظهور إقطاعيات كبرى وبـلا تكافؤ على مستوى التملك العقاري، وهو نوع من أنواع التعاقد غير المكتوب بين مالك الأرض والخماس، ومقتضاه يستفيد هذا الأخير من خمس المحصول الزراعي ينظر:

Ahmed Benaoum, les lois fonciers ,et leurs effets en algerie 1830-1930, RASJEP, volxn, 1973, p : 23

***)- نظام التويزة: ترمز إلى التعاون والتضامن بين عناصر البنية الاجتماعية، والتي تتخذ شكل هذا الأخير سواء في خدمـة الأرض كالبناء وجني المحصول أو في أعمال أخرى ينظر: Ahmed Benaoum, les lois fonciers, Ibid,p :19

1)- Calville Marcel, êtas de la propriété rurale en Algérie, édition, André Emil, Alger, 1935, p :7

2)-Sarri (DJ), Déposition des Fellahs, SNE.D, Alger, 1975, pp: 9.

3)-,(CH,A) Agèron, Les Algérien Musulmans et la France,1871-1919,P.U , 2t , p:1296.

4)- Poncet Jean, " Quelques problèmes de l'agriculture algérienne vus à travers l'exemple du département de Tiaret ", tiers – monde, n: 18, avril – juin 1964, p : 211-233,

و"بني مدين" من أصول عرب الشاوية[1]، كما أن هناك بعض الحضر الذين يملكون بعض الأجنة والأحواش بضواحي المدن والتي يستغلونها بواسطة الخماسين.

وعليه الملاك الحقيقيين والمعروفين بالملكية الفردية(أراضي الملك)هـم كـل مـن "أولاد بوغدو""وبني مدين"و"أولاد سيدي خالد" و"أولاد فارس" نظرا لامتلاكهم لعقود الملكية حسب ما هو مذكور في العلب الأرشيفية الخاصة بالمركز الوطني بفرنسا.

ملكية العرش:

وهي الأراضي التي يشترك فيها كل أفراد القبيلة، كانـت تـستغل جماعيـا في الزراعـة والرعي[2]، من طرف القبيلة وتنتقل حيازتها بين أفراد الأسرة، عن طريق الميراث دون أن يتملكها أصحابها بسندات رسمية وليس لهم حق التصرف سواء عن طريق البيع أو المبادلة، تعـرف باسـم "السبيقة" في بعض الاقاليم كوهران ومعظم أراضي منطقة تيارت، فيتميز نظام العرش بمـميزات عديدة(*)، تتعلق معظمها بالطابع الجماعي والمنفعة المشتركة، وكذلك بالنسبة لأراضي الرعي تنظم أيضا إلى الملكية الجماعية، هذه الأخيرة ينتفع أفرادها من استغلالها الدائم وبصورة تقليدية، فلـم تكن لها صيغة قانونية وثائقية، فيتولى أعيان الجماعة بتسليم الأرض لممن يقوم بخدمتها، وتـسمى كذلك بالأراضي الممتنعة عن السلطة لأنها بعيدة عن السلطة المركزية[3]؛ أما عن الضرائب فهـي سنوية تتغير تسميتها حسب الجهات تعرف باللازمة أو الغرامة.[4]

---

1)- C, A, O, M, 2M181, Tiaret notice historique et statistique.

2) - A.ben Achenhou, formation du sous développement en Alger, 1978, p:27.

*)- من أهمها: لا يحق لأي فرد إجراء معاملة عقارية، ويحق للقبيلة التصرف في حالة وفاة المنتفـع بـالأرض، فتعـرض المنازعات الخاصة بالأراضي على الجماعة وعلى موظفي البايلك والرياس، ينظر: رشيد فارح، المحطات الرئيـسية لتأسـيس الملكية العقارية أثناء فترة الاحتلال واثر ذلك على البنية الاجتماعية التقليدية للمجتمع الجزائري، العقـار في الجزائـر إبـان الاحتلال الفرنسي 1830- 1962، أعمال الملتقى الوطني الأول والثـاني، الجـزء الأول، منـشورات وزارة المجاهـدين، الجزائر،2007، ص: 91

3)-Gouvernement générale de l'Algérie, commission de la protection de la propriété indigène, Alger, 1899, pp: 6- 7.

4) - Hamadi (gh), La Législation Foncière en Algérie Avant l'Indépendance, RALSP, sept, 1971, v8, N°3, Alger, 1971, p p : 723-734.

أما أراضي الوقف(*)، وتشمل الأملاك العقارية والأراضي الزراعية، وتـضم العديـد مـن الدكاكين، الفنادق، الأفران، الضيعات، المزارع، البساتين، العيون والآبار والمطاحن، وقد تكاثرت الأوقاف العامة في المدن الكبرى، وهي أراضي تابعة لما يعرف بالمؤسسات الدينيـة كالمـساجد والزوايا أو الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة[1]، كان يتولى أمرها الوكيل، أما بالنسبة لأراضي الزوايا فقد تكونت أغلبيتها حول ضريح ولي صالح، تقدم لهم الهدايا والهبـات وتحـبس عليهم الأملاك، فتكونت بذلك لكل منهم ملكية[2]ز ففي منطقة تيارت خاصة، نجد ما يعرف بقبة مرابط سيدي مولاي عبد القادر الجيلالي، حيث يتميز هذا الموقع بأنه مكان خاص تحيطه عـدة هكتارات، يقصده العديد من قبائل المنطقة لأغراض متعددة كالعبادة وغير ذلك مـن الأعمـال الخيرية التطوعية[3].

وعليه إن الوقف أو الحبس ركيزة أساسية حافظت على ارتباط الناس بالعقيدة الإسـلامية والتراث الإسلامي الذي يخص على فعل الخيرات ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعـالى وكـذلك حافظت على الأوضاع الاجتماعية الراهنة آنذاك، بتضامن المجتمع وترابطه وتوزيع ثرواتـه علـى فقرائه والعجزة منهم.

وباعتبار التجارة إحدى القنوات الرئيسية التي تنتقل من خلالها الأموال والمعارف الاقتصادية والخبرة والتأثيرات المختلفة بين المجتمعات كما أنها تساعد على تطوير المنشات القاعدية في المـدن والأرياف مثل طرق المواصلات، فقد مارس بايلك الغرب الجزائري بما فيه منطقة تيارت في العهد العثماني نشاطا تجاريا واسعا، فمنها ما تم في المناطق الشمالية التلية والأخرى بين القبائل الجنوبيـة

*)- كانت الأوقاف في الجزائر العثمانية تتوزع على عدة مؤسسات خيرية ذات طابع ديني وشخصية قانونية، ووضع إداري خاص، ومن أهم المؤسسات:مؤسسة الحرمين الشريفين، مؤسسة أوقاف سبل الخيرات الحنفية ، أوقاف مؤسسة بيت المـال، مؤسسة أوقاف الأندلسيين،أوقاف الزوايا، أوقاف المرافق العامة، أوقاف الجند والثكنات، ثم الحرمين الشريفين، سبل الخيرات الأولياء والأشراف وأهل الأندلس وغيرهم ينظر: خديجة بقطاش، أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830، مجلة الثقافة، العدد 66، الجزائر، 1981 ص:77

[1])- للمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع ينظر:

Claude Colot , les instruction du l'Algérie durant la période coloniale 1830- 1962 édition du c,n,r,s , et édition du o,p,u , Alger , 1987 , p: 3)

[4])- Louis maillot, extrait de l'œuvre législative de la France en Algérie, paris, 1987, p:24.

[3])- barlette Henri, " Monographie de la région de Tiaret", op cit, p : 332.

الصحراوية، بحيث تعقد أسواق أسبوعية في مختلف المناطق التلية، فلقد أرغمت الظروف الطبيعيـة القبائل الجنوبية على التنقل في مواسم معينة إلى المناطق التلية باحثة عن المراعي لمواشـيها وعـن أسواق لاقتناء الحبوب وبيع إنتاجها، فكانت القبائل التي تتوافد على "سوق اللوحـة" بـضواحي تيارت أمثال:(الشعابنة وسعيد عطبة والمخادمة، الأربعاء وأولاد يعقوب وزرارة) ملـزمين بـدفع ضريبة "العسة"

أو "الحصة" وضريبة "حق العبور"(*) لشيخ "أولاد خليف"، ممثل الإدارة العثمانية في تلك الجهة.[1]

إن بايلك الغرب كان يحتوي عدة أسواق أمثال: "سوق الجعفرة بسعيدة"، سوق "أولاد عيـاد" و"أولاد الأكراد" بالشلف، وسـوق "أولاد الـشريف" بثنيـة الحـد، إلا أن أهمهـا سـوق اللوحة(تيارت)[2]، وكانت القوافل الصحراوية القادمة إليه تصل حتى إلى منطقة الشلف حيـث يسمح لها بالاستقرار وزراعة الحبوب في الأراضي التي كانت تمنح لهم مقابل مبلغ مهم تتفق عليه مع البايلك، وهو عبارة عن رسوم ثابتة تدفع مقدما، وقد كانت هذه القبائل تدخل أسواق المنطقة حيث يتم استغلالها وتسخيرها من قبل تجار التل الذين كانوا يديرون بعناية فائقة أثمـان القمـح والشعير في مقابل تخفيضهم لأسعار الصوف، كما كان يتم استبدال مكيال من الشعير أو نـصف كيلة من القمح بثلاثة مكايل من التمور مما يدر أرباحا كثيرة بالنسبة لسكان التل[3].

النظام الجبائي المطبق على الأراضي ألفلاحية لم يخرج في أساسه عن مبدأ الـضريبة في الإسلام (الخراج)، فالسلطة العثمانية تحدده من خلال جودة الأرض وما تنتجه من حبوب أو ثمار، إلى جانب طريقة السقاية سواء من الأمطار أو قنوات المياه أو أبار[4]، والتي كانت تتم عن طريق:

---

*)- ضريبة العسة ، ضريبة يدفعها الأهالي، والمعروفة أكثر في المناطق الصحراوية، حيث كانت تدفع عينا، ثم أصبحت تدفع عينا، أما حق العبور، ضريبة يدفعها أصحاب السوق، وملاك الأراضي، أمثال: أولاد سيدي خالد، أولاد خليف، وغيرهـم، ينظر: Calville Marcel, êtas de la propriété, op cit, p : 22

1) - Calvell Marcel, ibid , p:9.

2) -Carette M.e, du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les êtas barbaresque Imp, du roi, paris, 1844, p:20

3) -Ernest-picard: la Monnier et le crédit en Algérie depuis 1830, édition, juls carbonel, Alger, 1930, p:20.

4)- الحنبلي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص: 167

عندما رفع الحكام الإنتاج الزراعي بالالتجاء إلى الحملات العسكرية لإرغام السكان على تقـديم المزيد من المحاصيل الزراعية وباحتكار تجارة الحبوب وتسخير الفلاحين بالأرياف لخدمة الأرض.

والجدير بالملاحظة، أن العثمانيين قد عملوا جاهدين على الاحتفاظ بالأوضـاع الـسائدة فابقوا في غالب الأحيان على ملاك الأراضي، واقروا العشائر المتعاملة معهم التي استحوذوا عليهـا بغية الحصول على تأييد شيوخ القبائل، ومساندة رؤساء الزوايا لهم، ولم يهتم بصفة خاصة إلا بما تذره الأرض من إنتاج وجباية، وعليه منطقة تيارت في الغالب عبارة عن أراضي ملك والتي تتركز في الجبال، وارضي عرشية يمتلكها أصحاب القبائل أمثال أولاد سيدي خالد وأولاد عزيز قبيلـة الأحرار بشقيها وغيرهم من القبائل التي تشكل اتحادية الفلاحين.

وعليه يوجد نمطين من الملكية العقارية في منطقة تيارت، ملكية الدولة وملكية الفـرد في صورها المشاعة وبالتالي فكرة الإقطاع وأملاك العرش دخيلة على المجتمع الجزائري.

التركيبة الاجتماعية بمنطقة تيارت:

تكون سكان لمنطقة تيارت خلال العهد العثماني من ثلاثة قبائل: المخزنية، قبائـل الرعيـة والقبائل الممتنعة أو المستقلة عن السلطة ولكن الشيء الملاحظ عن العلاقات بين هـذه الأخـيرة والسلطة العثمانية هي قضية الضرائب، فعند التزام الطرفين(القبائل والسلطة) بدفعها ساد الأمـن الاستقرار في البلاد والعكس صحيح، وهو ما يتجسد في فكر فونتير وهو أن الوجود العثمـاني في الجزائر كان مقتصرا على دفع الضرائب[1]، فعن القبائل المخزنية، هي مجموعة أفـراد تتواجـد في المناطق التلية، وتحتل أراضي زراعية خصبة، مكونة من عناصر غير متجانسة، سواء من عبيـد تم عتقهم أو فارين هم وعائلاتهم نظرا لقساوة الظروف سواء الاجتماعية والاقتصادية علـيهم ممـا جعلهم يعيشون تحت خدمة العثمانين، كما تخضع لتنظيم محكم من قبل الإدارة العثمانية، يعـين على رأس كل قبيلة شيخ وقائد أغا وخليفة، في مقابل ذلك تمنح امتيازات لأفرادها كاسـتقلالها قضائيا، وللتقليل من نفوذ هذه القبائل اضطرت الإدارة العثمانية إلى سياسة المصاهرة مع بعض اسر القرية أمثال، أل القاضي بتيارت[2].

1)- Venture de paradis ,op cit, p:194

2)- E, Mercier, ibid.

فيذكر ألمزاري أن مخزن وهران يتشكل من قسمين: شرقي وهو المكاحلية وأولاد سـيدي العربي وأولاد العباس وغيرهم من مينة إلى وادي الشلف والغربي، الدواوير والزمالة الـتي تنتـشر فروعها في نواحي تيارت والسوقر وحتى فرندة، إلى جانب الغرابة والبرجية[1]، في حـين يـذكر استرهازي أن مخزن وهران يتشكل من 17 قبيلة هي: الدواوير الزمالة والغرابة والبرجية والحـشم وبني شقران وسحرارة وبني غدو والمكاحلية وأولاد احمد وعكرمة وأولاد سلامة وعبيد الـشراقة وغيرهم، بحيث تمتلك قبائل الدواوير 129 منزلا، تشكل 23 تجمعا سكنيا، وللزمالة 30 قريـة أو ضيعة تحوي 161 منزلا، وللغرابة 138 منزلا تكون 23 قرية، فقائد الزمالة يسير خمـس قبائـل: الزمالة، الغرابة، واليعقوبية ومجاهر وحميان[2].

إن قبائل المخزن تقوم بعدة ادوار في الريف، وهي بمثابـة الجهـاز العـسكري والإداري والاقتصادي[3]، فعسكريا، تشارك في الحملات التأديبية ضد القبائل "المتمردة" ومراقبة الطرقـات واستغلال الأراضي، أما إداريا فهي تعتبر همزة الوصل بين الإدارة العثمانية (الحكام) والأهالي مـن خلال توفير الأعوان الإداريين لجمع الضرائب مع مراقبتها وإحصاء أفرادها[4]، في حين اقتصاديا، لعبت دور جد مهم تمثل في استغلال الأراضي الخصبة التابعة للبايلك مما ساعد على جمع مختلـف أنواع الضرائب مثل الزكاة ، العشور وغيرها.[5]

إضافة إلى ذلك توجد قبائل رضيت بالوجود العثماني وتسمى بالرعية[6]، تقيم في القـرى والدواوير وفي الأماكن الملائمة للزراعة، التي كانت تراقبها قبائل المخزن[7]، هذه القبائـل هـي

---

[1])- المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخازنها الأسود ، تحقيـق: يحـي بـوعزيز،ج 1، دار الغـرب الإسلامي، بيروت: 1990، ص: 275 .

[2]) -Waslin Esterhazy ¡ op cit ¡ p:266.

[3])-Barlette Henri, ibid.

[4]) - E¡Mercier, la question indigène en Algérie au commencement du XXe ,siècle, paris, 1901, ibid, p: 06

[5])- E, Mercier, ibid, p : 7.

[6])- M Renaudot, Alger, tableaux du royaume de la ville d'Alger et ses environs, librairie universelle de p. Mongie Aine, Paris, 1830, p: 118-119.

[7])-J ¡Vallaire, mémoire sure la forme du gouvernement d'Alger et sur les mœurs et faculté des peuples qui habitent le royaume, France, 1979, p:20.

الأخرى كانت ملزمة بدفع الضرائب بكل أنواعها في شكل عيني أو نقدي، فعند خروج الأغوات والقياد إلى الأرياف، على قبائل الرعية استضافتهم بكل ما لذ وطاب من المأكولات، إضـافة إلى حرث أراضي البايلك وحصدها بإتباع نظام الخماسة في استغلال أحواشيها الخاصـة فيـزودون بقطعان من الأغنام والجمال والثيران مقابل خمس الإنتاج، وهي منتشرة في مناطق متعـددة بـين فرندة وتيارت، وهي على عدة أشكال[1]، منها رعية الفليتة، وهي عبارة عن بطـون وعـشائر عديدة تتركز بين تيارت وغليزان وتضم 21 بطنا أهمها: "سويد" وأولاد "رزين" وأولاد "بوعلي" و"العنترة" وأولاد "سيدي علي" و"عكرمة الغرابة والشراقة" و"الحساسنة"، تشرف عليها عائلـة سيدي العربي[2]، أما "رعية الخليفة" مهمتها ضمان المواصلات إلى الجزائر، من أهمها قبائل "حلوية" التابعة لأغا الزمالة، و"شكلة"، و"البصرة"، و"مطماطة" و"الونشريس"، كما نجد رعيـة قبائـل "جندل"¡ يمتد نفوذها إلى ثنية الحد إلى أقصى شرق الونشريس حيث نجد قبـيلتي أولاد "عنتـر" وأولاد "هلال" و"عبيد سدرة" و"بني معيدة" و"بني بو راشد".[3]

ومن خلال مجموعة من الوسائل التي لجأ إليها الحكام العثمانيين، تمكنوا مـن ضـمان ولاء قبائل الرعية لهم إلا أن هناك بعض القبائل المعروفة بالقبائل المستقلة، التي شـقت عـصا الطاعـة وثارت ضدهم خاصة في أواخر سنوات حكمهم، نتيجة اشتداد وطأة الحكام على قبائل الرعيـة وإرهاقها بالضرائب مما أدى إلى تضاعف عددها، فهي قبائل جبلية امتنعت عن دفـع الـضرائب وعدم الالتزام بواجباتها نحو السلطة، نظرا إلى موقعها الجغرافي وصعوبة تضاريسها وبعـدها عـن مركز الإدارة [4]، إضافة إلى نشاطها الاقتصادي، إذ تعتبر أراضيها من أفقر الأراضـي، ونـشاط سكانها يكاد يقتصر على القليل من الزراعة لتلبية الحاجات الخاصة وتربية المواشـي والـدواجن والتجارة التي تنشط في جنوب الهضاب العليا بالنسبة لسكان الونشريس وتيارت، فاغلـب هـذه القبائل تتخذ الترحال وسيلة للعيش أمثال "الأحرار"، بني ماند، وبني مايدة، وهي منطويـة علـى

1) - F. Accordo, op cit.

2)- Iacler "Monographie commune mixte de mina ", B, S, G, A, de la province d'Oran, n : 22, 1902, pp : 125 - 236.

3) - Waslin Esterhazy, op cit, p: 198.

4) - F. Accordo, op cite, p: 333.

نفسها، محافظة على حريتها[1]، حيث يغلب على العلاقات السائدة بين هـذه القبائـل والإدارة العثمانية طابع الصراع والحروب طوال العهد العثماني.[2]

وقبل الحديث عن تاريخ قبيلة الأحرار، نذكر انه وقعت حرب ما بين الـشاوية وعكرمـة، حيث أن القبيلة الأولى ذات الأصول الشرقية، والقبيلة الثانية من الشمال، هذه الأخيرة اختلطـت مع فروع قبيلة الصحاري والتي استقرت لفترة قصيرة في منطقة الشرق، لتستقر بعدها قبائل أولاد سيدي خالد، في خيم صغيرة هشة، والتي تطورت فيما بعد تحت اسم المغربة [3]، لتسمى تيـارت الجديدة (Tiaret la neuve)، والذي يعني مولد السيد الجديد أو الإنسان الذي سـيحيى حيـاة جديدة، وكذلك تعرف بتربية المواشي خاصة الأغنام حمراء الرأس (Harrar) والمنتـشرة بكثـرة بنواحي فرندة [4]، وبعد مرور سنوات ثلاث، قدم إلى البلدة أولاد "بوعيفف" فتشكل ما يعـرف باتحاد المنطقة.

وبهذا نجد أن المنطقة صممت على النحو التالي: أولاد "بني الأحمر" في الغرب، وجبل شبكة في الوسط، أما في الجنوب نجد "أولاد الشايب"، وفي الشرق قبائل الصحاري التي استقرت بسهل السرسو، في حين الأحرار وجدت لنفسها مكان في وسط البلدة ما بين قوديـل والحمـيرة، ذات طابع استقلالي تملك أراضي كثيرة إلى جانب أنها عرفت بصقل الألماس وامتلاكهـا للـذهب[5]؛ ولكن بقدوم العثمانيين إلى المنطقة بقيت قبيلة الأحرار وغيرها على ما هي عليه، أما بقية القبائـل فقد عملت السلطة العثمانية إلى إحداث سبع تقسيمات في شأنها كانت على النحو الأتي: قـسم خاص بأولاد زيان، وقسم "الكعابرة والدهالسة"، والأخر باسم "أولاد بوغدو"، وقـسم لأولاد "بوعفيف"، وقسم "الشاوية" و"الحسينات" وقـسم "أولاد عزيـز"، وقـسم أولاد"زوي وأولاد بالحسين".[6]

---

1) - Barlette ," Monographie de la région de Tiaret" ,op cit , pp : 327 – 330.

2)- B, O, G, A, quinzième année, 1874, pp: 197 - 199.

3) - C, A, O, M, 2M181.

4) - Berlette, op cit, p : 78.

5) - Fabre op cit , pp: 283-284.

6) - Fabre, ibid.

أما عن السلطة الفعلية في الأرياف، فقد كانت في يد القوى المحلية المتمثلة في قبائل المخـزن والزعامات القبلية بينما وجود العثمانيين في الريف كان مقصورا على ممثليهم من القياد والأغوات، ومن مظاهر وجود السلطة العثمانية، الحملات العسكرية التي كانت تجوب الأرياف في المواسـم، مما أدى إلى تزايد المقاومة الداخلية واتساع دائرة المعارضة وبالتالي ضعف الحكم العثماني وزوالـه وبداية الوجود الفرنسي في الجزائر.

في الفترة الاستعمارية ومن خلال تقرير رسمي مؤرخ في ديسمبر 1849؛ يذكر بـان دائـرة تيارت كانت تضم كل من المالكين الحقيقيين، الذين بحوزتهم سندات الملكية وهم: "أولاد فارس" و"أولاد بوغدو" التي هي في الأصل قبيلة صغيرة ذات أصول بربرية، إضافة إلى قبيلة "بني مـدين" وهم عرب الشاوية[1]، بالإضافة إلى "أولاد خليف" المتواجدين بمنطقة فرندة إلى غاية جبل قـزول صحاري وفي التل وصولا إلى "واد ريو" نجد مرابطين "أولاد سيدي خالد" والتي تعود جذورها إلى تاريخ طويل، إلى جانب قبيلة "الأحرار" التي استقرت في الجهة الغربية من المنطقة بجانـب "أولاد خليف" و "أولاد سيدي منصور" إلى غاية غابة الناظور، أما قبيلة "العكرمة" فأخذت من مـشرع الصفا موطنا لها بالضبط بديار الكاف وبالتالي فإن الدائرة العسكرية لتيارت مقـسمة إلى ثلاثـة بياليك: أغاليك التل (تيارت)، والتي تضم 11 قائدا، وأغاليك جبل عمور والتي تنطوي علـى 17 قائدا، إلى جانب أغاليك الأحرار والذي يضم 13 قائدا.[2]

ما يمكن أن نستنتجه: أن أهم ما يميز منطقة تيارت خلال فترة الحكم العثماني هو عـدم تمكن السلطة من إخضاعها بصفة نهائية، فبعد تحويلها إلى قبائل مخزنية عن طريق القوة سرعان ما تعود الأوضاع إلى حالها الأصلي، بمجرد شعور القبائل بضعف الإدارة، مما كان يرغم البايـات على استعمال القوة ضدها لإجبارها على دفع الضرائب، وعليه ما يمكن قوله أن طبيعة العلاقة بين الإدارة العثمانية والبايلكات الثلاث حددتها الضرائب فالقسم المتعاون معها، قبائل المخزن والقبائل المتحالفة، كانت تستفيد من بعض الامتيازات في حين القسم الخاضع والمعادي لها، قبائل الرعيـة والممتنعة، فكانت تتحمل كل الأعباء، أما عن النشاط الاقتصادي، كان ذي طابع زراعي رعوي يعتمد في الغالب على التسوق من المناطق الصحراوية المجاورة.

1) - C, A, O, M, 2m181, notice historique sur la région de Tiaret.

2) - C, A, O, M, 2m181, notice historique sur la région de Tiaret, ibid.

الفصل الأول

الوجود الاستعماري بالمنطقة من 1841- 1851

1-أهمية المنطقة

2 – التوسع الاستعماري بتيارت ونتائجه

الوجود الاستعماري بالمنطقة من 1841- 1851

1- أهمية منطقة تيارت:

ترتكز الأسس الاقتصادية للمجتمع الجزائري بصفة عامة ومنطقة تيارت بصفة خاصة على زراعة الحبوب وتربية الماشية اللتان تؤمنان جزءا كبيرا من الغذاء، نظرا لموقعها ضـمن المنـاطق الداخلية وما يسمى بالهضاب العليا، فتيارت ميدانا للإنتاج الفلاحي خاصة زراعة الحبوب الـتي تشكل القاعدة الأساسية للزراعة في المنطقة، والتي تتحكم فيها كمية تساقط الأمطار إضـافة إلى ظروف المناخ وعلى حسب أيام الفصول سواء الخريف أو الربيع.

فالاقتصاد الزراعي في المنطقة لم يكن يعتمد زراعة واحدة بل متعددة[1]، مـستفيدا مـن تجارب القرون الماضية والتي أعطت نتائج لا باس بها، كزراعة الحبوب، فالقمح مثلا مـادة غنيـة بحبيبات النتروجين التي تساهم في نمو الإنسان، لذلك كان الدقيق منه غنيا بمادة بروتينية تـسمى الجلوتين، التي تجعل العجين مرنا، إضافة إلى البروتينات، الفيتامينات، معدن الحديد والفوسـفور، كل هذا يتلاءم والظروف المناخية الجافة[2]، كما ينمو القمح بصورة جيدة في أنواع التربة الـتي يطلق عليها الطفالية، الطينية، الغرينية التي تتوفر على نسبة عالية من المادة العضوية المتحللة، حـتى توفر الغذاء لنبات القمح وفي حالة النقص تعوض العناصر الغذائية في صورة سماد[3]، حيث بلغ هذا الأخير أرقاما أكثر ارتفاعا خلال سنوات الثمانينات[4].

وهذا ما يظهره الجدول رقم "1" الذي يبين نسبة محصول القمح بمنطقـة تيـارت لـسنة 1848[5].

---

1)- Tiaret agricole, op cit.

2)- T, A, "Le blé dénaturé excellent aliment pour le bétail", organe de défense agricole de la région de Tiaret et sersou, 22 décembre 1939, n °25, dépôt d'archive d'Oran.

3)- Archive de wilaya de Tiaret, monographie du village de Tiaret, direction régionale ouest, édition : 1890-1900, succursale de Tiaret, p : 05

4)-Clavenad, ingénieur des ponts et chaussées, une Mission dans le Sud oranais, 1888, p : 37.

5)- Aguila Clément, op cit, p: 44.

السنوات	القمح الصلب	الإنتاج (ه)	القمح اللين (ه)	الإنتاج (ه)
1848	40	440	20	180
1853	116	1160	26	234
1858	324	3240	70	490
1863	367	3670	78	780

يتضح من الجدول السابق، أن كمية زراعة القمح الصلب تتفاوت مـن 1الى 4 قنطـار وذلك أن إنتاج هكتار واحد منه يفوق إنتاج هكتار من القمـح اللـين خاصـة وان الأهـالي يستخدمون المحصول الأول في طبقهم المفضل وهو الكسكس في حين يفضل الأوروبيون القمـح اللين لصنع الخبز، بدليل انه وصل إنتاج الهكتار الواحد منه إلى 29 قنطار، وفي سنة 1863 نحو 30 قنطار للهكتار الواحد[1]، فإلى غاية القرن الثامن عشر(18) وبداية القرن التاسع عشر(19)كانـت منطقة تيارت، بلدا مزدهرا ومدنها آهلة بالسكان وقراها غنية بقطعانها ومطامير حبوبها، تـستفيد منها القوافل الصحراوية المارة من كل الاتجاهات سواء من معسكر، سعيدة، ثنية الحد وأفلو نحـو مقاطعة الغرب وهران[2]؛ لكن هذا لا يعني أن المنطقة مقتصرة على زراعة القمح فقط، وزراعـة الشعير تحتل هي الأخرى مكانة هامة بالنسبة لاقتصادها، حيث ترتكز على كبريـات الـسهول الصالحة لزراعة الحبوب ما يعرف بسهل السر سو[3]؛ يتميز هذا الأخير بأراض فلاحيـة خـصبة يتوزع المنتوج الفلاحي على مساحتها، لذلك عرفت المنطقة بأكبر المطاحن على مستوى ترابهـا، إضافة إلى مطاحن الرحوية أو كما تسمى موندغلفي (montagolphi)، نسبة إلى الإخوة اللذين سقط منطادهما في هذه المنطقة، فعدت بذالك من أكبر مصدري القمح في شمال إفريقيا سواء كان قمحا صلبا أو لينا، شعيرا وخرطالا وغير ذلك من علف المواشي[4].

انطلاقا من هذه الأرقام نستطيع أن نؤكد الفكرة التي تضع منطقة تيارت ميدانا لزراعـة الحبوب بمختلف أنواعها إذا ما علمنا أن كميات هائلة من هذه الأخيرة، تصدر إلى مناطق مختلفة

1) -Ibid.

2)- Délégation générale du gouvernement en Algérie, direction générale de la fonction publique et de l'affaire administrative, annuaire de l'administration départementale, dépôt département d'Oran, D, A, W, O, documentation territoriale, décembre 1912, p: 235.

3)- Manquené Jules, opcit, p : 87.

4)- le réveil de rélizan, histoire des héros de rahouia, 1913, n: 153.

من بينها فرنسا، التي تعتبرها مصدرا أساسيا في هذا الميدان، إلى جانب تربية الماشية والدواجن، التي كانت ناجحة بسبب اهتمام الأوروبيين بذلك، هذا ما يبين في الجـدول الأتي رقـم" 2" لـسنة 1847 : [1]

الحيوان	الأحصنة	الخروف	البقر	ماعز	عجل	رث	المجموع
العـدد	14	79	20	35	200	98	8140
التكلفة	1800	3950	1000	210	200	980	فرنك

مما يكشف لنا أهمية منطقة تيارت ونشاطها الاقتصادي المتنوع بحكم تعـاطي فلاحيهـا الزراعة وتربية المواشي المكملة لها، ما جعل تيارت محط أنظار وأطمـاع الاسـتعمار الفرنـسي والتوسع العسكري بها فيما بعد.

تتوسط المنطقة سلسلة جبلية هامة، من أهمها "جبل سيدي عابد" و"الناظور"، الذي يـصل ارتفاعه إلى 1530م في قمة رأس فرطاس وجبل قزول بارتفاع 1086م، جبـل قرطوفـة بحـوالي 1196م وسيدي خالد نحو 1221م[2]، إضافة إلى "جبل عمور" الذي يتشكل من عقد جبلية كثيفة متسعة جدا قريبة من منابع "سيدي الناصر" باتجاه شمال الجنوب الغربي للمنطقة تجاورها سلـسلة "إيراد" أما شرقا، نجد "قصر الشاصول"، "عين بوشكوى"، "جبل تامدة"، "جبل علاق" "جبـل مريرس" و"جبل سيدي بوزيد"[3]؛ كما تعرف تيارت بجبل أخر يسمى "بالكاف المالح"(*)، يمتد إلى الجهة الغربية الجنوبية لمقاطعة وهران، ولكنه غير مشهور لقلة الكتابة عنه، وبعـده عـن تخـوم الصحراء، حيث يبعد بحوالي 176كلم عن "تيارت – أفلو" ومن الشلف ب: 120كلـم، لـذلك تعرف المنطقة الأهلية (تيارت- أفلو) "ببلد الملح" نظرا لوقوع "ألوادي المالح" على حدودها فيصب

1) - C, A, O, M, 2m181, état de culture de région de Tiaret.

2) - Le livre dore de Oranie, D, A, W, O, op cit.

3)- Etienne Ritter, le djebel Amour, carte géologique de l'Alegria 1901, Alger, dépôt D'archive d'Oran, D, A, W, O, p : 55

*)-على شكل منحدر صخري به مصاطب ملح عمودية وأفقية إذ تبلغ حوالي متر لكل واحدة وأحيانا عدة أمتار تـزن في بعض المرات 2كيلوغرام لدليل على كبر حجمها ، كما تبدو وكأنها كريستال نظرا لشدة لمعانها، ينظر:

D Romy, montagne de sel de djebel amour, imprimerie typographique et lithographique, I, fougue, Oran, D, A, W, O, 1902, p : 04

النهر في العديد من الوديان، فعلى سبيل المثال لا الحصر مجمع "واد العمويد" وواد "القبلـة" "وواد زرقون"، طول الكاف يصل نحو800م وانخفاض يتراوح من 200م و250 م، والتي كانت تابعـة لأملاك الدولة.[1]

فقد أجريت تحاليل كيميائية من قبل أحد الخبراء الفرنسيين؛ السيد فيـشور (M, ficher) بمساعدة الخبير دمورقو(M Doumergue) وبحضور السيد أوغستن برنارد(Auguste Bernard) لنوعية هذا الملح وما مدى صلاحيته، نظرا لأهمية هذا الأخير بالنسبة لسكان منطقة تيارت ومـا جاورها[2]، سواء في الحياة اليومية أو حتى في حياتهم العملية والاقتصادية، خاصـة وان حـصن تاقدمت كان معروفا بمادة الملح خلال عهد الأمير عبد القادر الجزائري، انطلاقا من معـايير جـد مهمة ليصل إلى المعلومات الموضحة في الجدول الأتيرقم" 3"[3].

المـــــــادة	القيـــــمة
كلوغيوم الصوديوم (NA)	97,801
كلوغيوم المغنزيوم (mgcle)	0,0004
سلفات المغنزيوم (somg)	70
سلفات الحرارة (so4ca)	680
أزوت الصوديوم (Azo3na)	3
المـــــاء (h2o)	612

نلاحظ مما ذكر سابقا، كثرة الكلوغيوم والصوديوم والمغنزيوم دليل على انه ملح ذو جودة رفيعة إذ أن معظم أهالي جبل عمور يستعملونه لأغراض غذائية، كما يعتمدون عليه كدواء مـن أمراض الحيوانات، جرب الخروف والجمال عن طريق الغسل بمياه ألواد، ولتنظيف البشرة بأنواعها وحتى للأجسام ودباغة الجلود، كما يدخل ضمن مبادلاتهم التجارية فيباع في أسواق افلو بأثمـان

1)- D, Romy, ibid

2)- ibid.

3)- ibid.

مختلفة تصل أحيانا إلى 5 فرنكات لكل كيلو، ينقل إلى غرداية والاغواط والعديـد مـن قبائـل الصحراء وجنوب الشلف وأهالي جبل صحاري والجلفة[1].

يتضح مما سبق أن الملح من أساسيات حياة ومعيشة السكان في منطقة تيـارت سـواء في التغذية أو التداوي وحتى في علاقاتهم الاقتصادية، لذالك ركز الاستعمار الفرنسي عليها كمركـز وقاعدة عسكرية تنطلق منها الحملات العسكرية ومصدر تموين للمستوطنين الأجانب، مما يتـبين الطبيعة المعقدة التي تتميز بها، والتي تعرقل التوغل الفرنسي بها، وفي المقابل تفتح المجال أمام الأهالي لإبراز دورهم ضد قوات الاحتلال.

وفي الحديث عن العلاقات الاقتصادية؛ نذكر أن تيارت كانت تعرف بسوقها التجـاري، الأول بالجنوب الغربي تقصده معظم القوافل الصحراوية لمبادلة منتجاتها بالسلع التلية[2]، خاصة يوم الاثنين من كل أسبوع، تباع فيه جميع أنواع الثمار، المواشي، الخيول والجمال، وبيض الـدجاج، إضافة إلى بيض النعام ومختلف الأقمشة والألبسة التقليدية، ما يعرف منها بالحايـك ، الجلابـة، البرنوس ومستلزمات صناعة السروج ودباغة الجلود، كما توجد به محلات صغيرة على شـكل خيم لبيع الذهب حسب ما أكده احد المترددين على هذا السوق وما تقدم به من إحـصائيات لبعض الواردات التي وصلت للمنطقة بتاريخ ماي لسنة 1848 وهي مبينة في الجـدول التـالي رقم"4"[3].

السلع	القمح	الشعير	عجل	بقر	خروف	ماعز	حصان	سجادة	لباس عربي
القيمة	965	1600	1176	336	21500	1870	168	274	1520

يكشف لنا الجدول أن منطقة تيارت قد عرفت نشاطا تجاريا كبيرا ومتنوعا خـلال فتـرة الاحتلال الفرنسي من خلال قيمة وحجم السلع الواردة إلى سوقها ، لهـذا لم يكـن الاهتمـام التجاري الأوروبي ينحصر في الشمال بل امتد أيضا إلى الجنوب ومناطق الهضاب العليـا، وعليـه أصبحت مبعث إغراء التجار والمغامرين ومن ثم صارت دافعا مساعدا للتوسع الفرنسي.

1) - D, Romy, ibid , p : 08.

2) - Barlette Henri, op cit, p : 322- 323.

3)- Aguila Clément, op cit , p: 67.

وقد أكد دوماس(*) على أهمية التجارة بالجنوب الجزائري بما فيها منطقة الهضاب العليا بقوله:" تعد بسكرة مركزا هاما للتجار العرب والوافدين من بوسعادة وأولاد نايل وتوقرت ووادي سـوف، مثلما تعد بقية المدن الأخرى وهي سبدو، سعيدة، فرندة، تيارت وتبسة وغيرها، من أهم المركـز التجارية الداخلية ولهذا فالظروف تقتضي توسيع احتلالنا من اجل تطـوير تجارتنـا إلى داخـل إفريقيا"[1]، فتيارت كمركز تجاري؛ مفتوحة على أهم الطرق التجارية من كل الاتجاهـات نحـو معسكر ،سعيدة ، ثنية الحد وأفلو من خلال تجارة القوافل.[2]

إن واقع تيارت خلال الفترة الاستعمارية يفرضه الطابع الاقتصادي الذي اشتهرت به بالرغم من مجازر الاستعمار الفرنسي خاصة سنتي 1841- 1843؛ ونشاطات الأهالي في مختلف الميادين من زراعة الأرض وطبيعة المبادلات التجارية المعروفة آنذاك.

تترامى على أطراف عاصمة الرستميين حظيرة تربية الخيول تسمى شاوشاوة تقع على الطريق المتجه إلى ثنية الحد، إذ نلاحظ بها موقعين للمياه، أحدهم على بعد 506 كلم، والثاني يقع نحو 6 كلـم يسار سفح التل لواد قزول، حيث أنشئ المركز سنة 1887 بهدف إنتاج وتحسين سلالة الخيول في شمال إفريقيا[3]، ومع مرور الزمن بدأت تصل خيول من بلدان عربية كسوريا، نحـو 65 فـرس وأحيانا من 200 إلى 250 فرس[4]، خاصة وأن إختيار المركز يعود إلى ما توفره المنطقة من بيئـة ايكولوجية(*) ممتازة، وما تنفرد به من خصوبة سهوبها و ثراء مراعيها، وكذا توفر كميات هائلـة من الماء الشروب، فتمتد الحظيرة على مساحة بحدود 876 م على طول الشريط السهلي لمنطقـة تيارت[5]، دليل على أهمية المركز ومكان تواجده، وتحيط بالمركز غابات كثيفة وأشجار تقابلـها

*)- ضابط فرنسي يمثل مدير الشؤون العربية الجديدة ، ساعد الجنرال بيجو في إعادة تنظيمه الإداري، انطلاقا من نظام الامير عبد القادر ينظر، شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصر، 1830- 1976 ، تر: عيـسى عـصفور، ط 2، ديـوان المطبوعات الجامعية ، 1986، ص: 38.

1) - Barlette Henri, op cit, p : 304

2)- Barlette Henri, ibid.

3)- Montpellier, op cit, p :25.

4)- Henri Barlette, op cit.

*)- وهو علم يدرس علاقة الكائنات الحية بالبيئة الطبيعية، بمعرفة مدى تأثره بهذه الأخيرة وتأثيره فيها، الموسوعة العلميـة، المرجع السابق، ص: 355.

5)- Barlette Henri, op cit.

من الشرق مجموعة من السكان، يشهد هذا الأخير أهم واكبر عملية لتربية الخيول، حيث تجلـب مجموعة من الأمهر الصغيرة سواء من الجزائر أو تونس ليتمكن فيما بعد مزاوجتهم بـأنواع مـن الخيول العربية الأصيلة[1]، فيعتبر بذلك مركز شاوشاوة اكبر مركز وأول مخبر علمي عربي لتربيـة الخيول.

كما تطل تيارت على أهم سهل وهو السر سو؛ يضم ألاف الهكتارات تتجاوز 125كلم، فضلا إلى وفرته على جملة من مصادر المياه والتي عززت من قيمة السهل كواد نهر واصل[2]،الذي يغذي تقريبا 30000 رأس من الخروف بحجم 275 ملم على عمق 6 إلى 12 م فيتم جلب من 500 ل إلى 1500ل يوميا[3]، حيث ينقسم إلى منطقتين؛ تقع الزراعية منها بالشمال الغربي بطـول 80 كلم، ومن الغرب إلى الشرق بطول 40 كلم، ومن الجنوب الشمالي 300000 كلم، في حين نجـد المنطقة الرعوية، في معظمها أراضي فلاحية، ما جعل هناك نقص في وفرة المحاصـيل الغذائيـة، إذ تقدر مساحة هذه المنطقة ب: 700000هكتار باعتبارها مساحة مشتركة بين الأراضي المـستعمرة الواسعة والشبه الصحراوية للقبائل الرحل في الجنوب.

كما تعرف المنطقة بكثرة الأعشاب والنباتات كالحلفاء مثلا، وهي نبات عشبي ذو رائحة عطرية زكية تشبه في الغالب رائحة الورد، والتي تعتبر من أملاك الدولـة بمـساحة تقـدر ب: 1؛291؛181هكتار، بصفة جماعية سواء كانت حقول أو بساتين، نظرا لأهمية هذا النبات في العديد من الاستعمالات الخاصة بحياتهم اليومية[4].

دون أن ننسى الأهمية السياسية لمنطقة تيارت من خلال مكانتها في الأحداث السياسية التي عرفتها الجزائر أثناء القرن الثامن عشر، فقد كانت ضمن نفوذ الأمير عبد القادر الجزائري ما بـين

---

1) - Barlette Henri, Tiaret et sa région, d'appris l'Afrique de nord 1928- 1931, collection africain nostras, p : 27.

2)- Le Réveil républicain, organe du Républicain pour la défense des intérêts de la région de Tiaret et du sersou, 1900, p: 67.

3) -Hiloire furgier , monographie de la commune burdeau - Bourlier , département de Tiaret, centre de documentation de conservation des archives département d'Oran , 1928, D, A, W, O, pp : 4-9

4) - Mathieu, l'alfa dans le département Oran', conservation des forets a Oran, rapport de mission 1886, Alger, 1887, D, A, W, O, p : 31.

سنتي 1832 إلى غاية 1847؛ وباعتبارها جغرافيا تنتمي إلى القطاع ألوهراني، الذي انطلقت منه المقاومة الوطنية بزعامته، لذلك ساعدته مجموعة من القبائل، بما فيها "الأحرار" بفرعيها (الشراقة والغرابة) و"أولاد خليف"(*)، لطبيعتها السياسية في استقلالها الداخلي وخضوعها الاسمي للسلطة المركزية بدفع الضريبة السنوية.

ويمثل الجدول الأتي رقم" 5" أهم عروش وقبائل منطقة تيارت وهي موزعة على النحو الأتي:[1]

الأحرار الشراقة	الأحرار الغرابة	أولاد خليف
أولاد سيدي خالد	أولاد حدو	أولاد بورنان
أولاد زوي	الدهالسة	أولاد خروبي
أولاد بوعفيف	المرابطين الغرابة	صحاري الشراقة
الكعابرة	أولاد زيان الغرابة	القنادزة
الشاوية	الغوادي و الحسنات	المارزهن
أولاد بلحسن		
أولاد عزيز		
أولاد زيان الشراقة والغرابة		

إضافة إلى قبائل أخرى، منها "عرش العجالوت" الذي يضم قبيلة "أولاد سيد احمد بن سعيد" و"أولاد الناصر" و"أولاد سيد إبراهيم" ، كما نجد "عرش لاقواز" هو الآخر يضم العديد من القبائل كأولاد "مومن" و"أولاد عويسات"، "الماقنة"، "أولاد سيدي حمزة"، "أولاد سيد الناصر" و"أولاد يعقوب الغابة"، "الشمامطة" و"أولاد علي بن عمر وتاجرونة"، إضافة إلى دوار "الصدامة" الذي يتشكل من "أولاد بوزير"، "أولاد سدي حليمة المهاودية"، "الخلافة الشراقة"، "الغرابة"، "بني ونجدل" و"الحاورات"، بالإضافة إلى دوار "بني هلال" الذي يضم قبيلة "أولاد

(*)- تنتسب قبائل الأحرار إلى سيدي خالد بن عبد الكريم من الأشراف الأدارسة ، تنقسم إلى شطرين، الأحرار الشراقة والغرابة والتي تضم كل واحدة منها مجموعة من القبائل في شكل عروش، وكذلك أولاد خليف ينتمون إلى البيت، تتشكل من عروش هي الأخرى، ينظر: farbe, op cit, p:243

1) - B, O, G, A, 1875, Alger, 1876, D, A, W, O, p: 741

يعقوب" و"زارة الشراقة" و"الرزيقات"[1]، كلها قبائل منطقة تيارت إلا أنها اشـتهرت بالقبائـل الثلاث السالف ذكرها[2].

لذلك عرفت تيارت بكثرة عروشها وقبائلها سواء في العلاقات المتنوعة فيما بينهم، وحتى في شكل الملكيات التي اتخذت طابع الجماعة، والتي كان لها دور كبير في مقاومة الأمير عبد القـادر خلال فترة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر الثاني.

عندما قرر الأمير عبد القادر نقل عاصمته- بعدما دخل الفرنسيون مدن الشمال والهجـوم على عاصمته الأولى معسكر وتخريبها كليا في ديسمبر1835- انتهى به الأمر إلى اختيار نـواحي منطقة تيارت وتحديدا حصن تاقدمت- المدينة الرومانية القديمة- لعدة أسباب نذكر منها علـى سبيل المثال لا الحصر(والتي كانت هي الأخرى دافعا في توسع دائرة الاستعمار الفرنسي إلى المناطق الداخلية الجنوبية) موقعها الذي يتوسط القبائل المساندة والخاضعة له، فضلا عن الحصانة الطبيعيـة التي تتمتع بها تاقدمت، وتوفرها على الموارد الطبيعية والمادية التي تحتاج إليها المقاومة مـن ميـاه وغذاء للقبائل والمواشي وغيرها[3]، مما أهلها أن تكون قاعدة عسكرية هامة لانطلاق الحمـلات العسكرية منها، سواء التأديبية ضد القبائل التي أظهرت العصيان وعدم الخضوع، أو ضد التوسـع الفرنسي بالمنطقة.[4]

وبالتالي فإن قبائل المنطقة اقتنعت بأن التوسع الفرنسي سيقصي مكانتها ونفوذها السياسي، الأمر الذي دفعها إلى الدخول تحت طاعة الأمير عبد القادر، ودعم مشروعه في المقاومـة ضـد الوجود الفرنسي بالمنطقة، مما يبرز الدور الديمغرافي الذي لعبته قبائل منطقة تيارت خلال مـسار الأحداث السياسية.

تبعد مدينة تاقدمت حوالي 290 كيلو مترا جنوبي شرقي وهران، كانت مركزا للحكومـة وبها مدرسة ثانوية؛ خرجت علماء وشعراء لذلك تعتبر من أهم المواقع العسكرية، مما أدى بالأمير إلى اختيارها فضلا إلى وجود قبائل مناصرة له، متحمسة للجهاد منها قبائل "بني تاجوين" و"أولاد

---

1) - B, O, G, A, Alger, 1874, p: 88.

2)-Fabre, monographie de la commune mixte, op cit , p: 365

3)- C, A W, O, Notice sur expéditions qui s'est terminée par la prise de smalah d'Abed -El-Kader, le 16 mai 1843 ,op cit, p:14.

4) - Canal J, " Tiaret : monographie ancienne et moderne opcit, p : 32.

شريف" بجبل قزول، "أولاد لكرد" "أولاد عمار"، و"أولاد بسام"، و"الكرايش"، فضلا عن موقعها المنيع[1]، حيث يصعب على المحتل الوصول إليها لمنحدراتها الوعرة والبعيدة عن الـساحل، كمـا توجد بها شعابا ومضائقا كبيرة وجبال شديدة الانحدار، فهي محمية طبيعيا لتكون معقلا أمنا للأمير عبد القادر ومساندیه، إلى جانب أنها تمثل محطة تجارية تربط التل بالمناطق الساحلية[2]، وفي نطاق أسوارها تقع دار لصناعة الأسلحة، مبنية على جانب جدول يصب في نهر مينة، والذي أنشا مـن طرف خبير فرنسي استقدمه الأمير عبد القادر من باريس على أساس عقد، يقضي بأن يقوم هـذا الأخير بتعليم الجزائريين وتدريبهم على صنع الأسلحة بناء على عقود تنتهي بعد تلقي كل واحـد منهم هدية كبيرة بالإضافة إلى المبالغ المستحقة في شكل مرتبات، كما نجـد معمـلا للنجـارة ودكاكين ومصنعا للنسيج، بعدما حول الأمير سراديب الرومان القديمـة إلى مخـازن للـذخيرة والكبريت والنحاس وغيرها [3]، إضافة إلى غنى المنطقة بما يعرف بمطاحن روسو، مبنية بطابع جميل، والتي كانت من صنع السيد بيقور (M, Bigorre) نتيجة إلى أزمة اقتصادية حلت بالمنطقة، فبات من الضروري بناء هذه الأخيرة بهندسة متينة ذات ثلاثة رفوف، الأول منها يعمـل باسـطوانات تدور بشكل جيد وعملي، بخلاف باقي الرفوف[4].

نستنتج مما ذكر سابقا أن تيارت منطقة اقتصادية بالدرجة الأولى، عسكرية باعتبارها مركز عسكري ومحمية طبيعية، لذلك كانت من اهتمامات سلطة الاحتلال الفرنسي، بهدف توسيع دائرة وجوده ومن ثم التوغل إلى المناطق الداخلية وضرب قواعد الأمير عبد القادر والقضاء على مقاومته في أي مكان وجدت.

2- التوسع الاستعماري بالمنطقة:

يعد الاحتلال الفرنسي للجزائر من اكبر النماذج الاسـتعمارية الاسـتيطانية في تـاريخ الاستعمار الأوروبي الحديث، حيث أصدرت الحكومة الفرنسية قرارها المعروف بتاريخ 22 جويلية

---

1)- Pyermhoff , Enquetes sur les Rusultat de la colonisation officiale de 1871 à 1895 , tome II, Alger , 1900 , p : 85.

2)- Notice sur expéditions qui s'est terminée par la prise de smalah d'Abed -El-Kader, op cit, pp : 6-8.

3)- Notice sur expéditions , ibid .

4)- Le livre d'ore de Loraine , op cit , p: 510.

1834 القاضي بإلحاق الجزائر بفرنسا[1]، ليصبح هذا الاحتلال حقيقة واقعة بصفة رسميـة بتـبني قرارات استعمارية وسياسة استيطانية، أساسها مصادرة الأراضي وفتح باب الهجرة إلى الجزائر على مصراعيه وتقديم التحفيزات والتسهيلات للمستوطنين، فتردد عليها العديد من القادة العـسكريين والجنرالات الفرنسيين من بينهم الجنرال بيجو(*).

إن عملية الاحتلال الفعلي لمنطقة تيارت ذكرها الجنرال بيجو في مشروعه الذي أعلـن أمام البرلمان بتاريخ 1840/01/15[2]، أن فرنسا إذا أرادت أن تستعمر الجزائـر لا تبقـى علـى السواحل بل تضع حاميات قوية دورها دفاعي، ويجب على القوات الفرنسية أن تبادر بـالهجوم على قواعد الأمير عبد القادر حسب ماجاء في خطته؛ فاعتمد في احتلاله لمنطقة تيـارت علـى الجانب العسكري والذي تميز بالمجازر الدموية التي تعرض لها سكانها، وبالرغم من مكانة وأهميـة المنطقة فقد ظلت قلعة حصينة ومنأى عن الاستعمار والأكثر من ذلك أصبحت قاعدة لمواجهـة الجيش الفرنسي سواء غربا وشرقا أو شمالا، وتحول جنوبه إلى عاصمة مقاومة الأمير عبد القـادر لسهولة الاتصال بجميع الاتجاهات ولوقوعها على حافة الصحراء[3].

فالاحتلال الفرنسي في نظره مشروع شامل(*) ما يؤكد فكرة الاستيطان الكلي والكامـل، والذي يتمثل في التوغل إلى المناطق الداخلية بما فيهم المنطقة المدروسة، وفي إطار خطته دائما، قام

---

1)- Recueil des actes administratifs du département d'Oran, n17, D, A, W, O, p: 234.

*)- هو توماس روبار بيجو دولا بيكون ري (tomas robert Bugeaud de la pionneriez)، ولد في شهر أكتوبر من سنة 1784 بمدينة ليمونج وهي مدينة داخلية في الوسط الغربي من فرنسا ، تبعد عن المحيط الأطلسي بنحو 190كلم ، ينظر: Larousse , atlas général,1883,p :50 ، عين برتبة ملازم ثاني في حرس نابليون الإمبراطوري في سبتمبر مـن سـنة 1805 ،درس العديد من العلوم كالتاريخ والتحق بالتكوين العسكري ، لتبدأ مقاومته العسكرية في الجزائـر منـذ1836 بالمواجهة التي لاقاها من جانب الأمير عبد القادر في العديد من المعارك، توفي سنة 1849، ينظر :

Delfrassy , colonisation de l'Alger par le système du maréchal Bugeaud , association ouvrier , Alger,1871 ; p : 24

2)- fournie Henri, la colonisation et la connsecion des terres, domaniales en algerier s-a, op cit, p: 19.

3) - conseil générale, Exposé du préfet sur la situation du département et sur l'état des différents services publics : 2éme session ordinaire de 1900, Tiaret, 1900, dépôt d'archive d'Oran, D, A, W, O, pp : 154-165.

*)- ما إن أنجز بيجو مهمته بالتوقيع على معاهدة التافنة ، بات يتطلع إلى ممارسة دور اكبر ، فالجهة الغربية لم تعد تتناسب مع الحجم السياسي والعسكري الجديد ، بل عمل على تحقيقه وسعى جاهدا لبسطه على جميع الأراضي الجزائرية .

بتوزيع المهام على العسكريين بحيث أوكل مهمة الزحف على أهم مدينة من مدن الأمـير عبـد القادر- تاقدمت– إلى الجنرال لامورسيار(**)، يهدف من خلالها إلى وضع حامية عسكرية دائمة لمراقبة المنطقة، وتتضمن وضع جدار دفاعي ثاني بعد الجدار الأول الذي وضعه الجنرال كلوزيـل على السواحل ويتمثل في ضرب واحتلال قواعد الأمير، إذ جاء في تعقيب للكولونيل أسـكوت أن الجنرال لامورسيار كان طريح الفراش[1]، ولهذا تولى الجنرال بيجو مهمة الزحف إلى تاقدمت على رأس قوة عسكرية من مستغانم بتاريخ 15ماي 1841 ليتمكن من الوصول إلى هنـاك بعـد مسافة ثماني أيام، في يوم 25 ماي من نفس السنة[2].

ونظرا لوقوعها في تضاريس جد معقدة وصعبة ما عرقل سير القوات الفرنسية إليها، لدليل على صعوبة طبيعتها، وهو ما أكده السيد بيرمهوف [3]، وقبلها كان الأمير قد أعطـى أوامـره بالجلاء عنها وحمل ماخف من الذخيرة الحربية والمؤن التي كانت فيها بأقصى ما يمكن من السرعة والنظام، فساد العملية جو من الهدوء، وبعد الظهر تمت عملية التدمير من قبل سـكان المنطقـة بإحراق القلعة ومصنع الأسلحة فتحولت إلى كتل هائلة من الدخان والرماد، التي تركها الـسكان تحية للجيش الفرنسي[4]، ولما وصلت الجيوش الفرنسية إلى مشارفها حصلت مجابهة قصيرة بينـهم وبين الفرسان الجزائريين غير أن نتائجها كانت لصالح الفرنسيين الذين دخلوا تاقدمت وتوزعـوا بين منازلها المهدمة وعلى طرقاتها المهجورة، عندها أمر الجنرال بيجو سلاح المهندسـين بـتفجير الألغام لتدمير تحصينات المدينة، من بينها سورها الذي يبلغ سمكه أكثر من متر والذي لازال قائما،

**)- كريستون لويس ليو جيشودي لامورسيار، Christophe louis Léon de La Moriciere¡ جنرال فرنسي ورجل دولة من مواليد نانت باريس 1806- 1858اصغر ضابط برتبة كولونيل في الجيش الفرنسي، اهتم بتسيير شؤون الأهـالي لسنة 1833 ثم حاكما على وهران، تولى مهمة الهجوم على مدن الغرب الجزائري ألتحق بالجزائر 1831 شارك في الحملـة الفرنسية على الجزائر عين لتسير شؤون الأهالي 1833 ثم حاكما على وهران، قاد الحرب على مدن عديدة مـن الغـرب الجزائري للمزيد من التفاصيل أنظر، ينظر : P , Azan , les grands soldats , publication du comité national métropolitain du centenaire de Algérie, Alger ,1930 ,pp : 80-88

[1])- أسكوت، مذكرات الكولونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر، 1841، ت: إسماعيل العربي الـشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 97.

[2])- Berlette Henri ,"monographie de la région de Tiaret ",opcit, pp :399-400

[3]) - pyermhoff , ibid .

[4])- Lion roches, trente deux ans à traves l'islam, 1839-1864, tom 1, édition firivn didot, paris, 1884-1885, pp : 292-296.

فلم يجد الجيش الفرنسي من يقاتله فصب جام غضبه على الكلاب حسب ماجاء في شـهادة أدلى بها الكولونيل أسكوت: « لو أراد الملك لويس فيليب مكافأة جيشه الباسل على الحملة التي شنها على تاقدمت فإني أنصحه أن يصدر لهذه الغاية ميدالية ينقش على احد وجهها عبارة تاقـدمت و الأخر صورة كلب»[1]

إن بشاعة الاحتلال الفرنسي المطبقة في المنطقة لم يستسلم منها الأهالي ولا حتى الحيوانـات التي كانت الضحية الوحيدة خلال هذه الحرب، مما يظهر جرائم الاستعمار الفرنسي أينما حـل، ولكن السؤال المطروح هنا؛ لماذا رفض الأمير عبد القادر الاشتباك مع بيجو خلال هذه الفتـرة؟، يعود الموقف إلى اعتبارين أساسين: أولاهما قوات العدو التي ركزت كل عملياتها في ولاية وهران أصبحت الآن من الضخامة و لا يمكن أن تتعرض لها قوات المقاومة مع آمل ضعيف في النـصر، ففضل الأمير المحافظة على قواته ليضمن بها طاعة القبائل، أما المعركة فيدخلها في الوقت المناسـب وليس في الظروف التي يفرضها العدو، والاعتبار الثاني؛ ذو طابع استراتجي، إذ تـرك الفرنـسيين ليتوغلوا في الداخل ويمددوا خطوط مواصلاتهم وتموينهم إلى أقصى حد ممكن، ومـتى تراكمـت الصعوبات أمامهم من المشاعر العدائية والحصار الاقتصادي فسيضطرون للعودة إلى الشواطئ.

إن مجزرة تاقدمت تضاف إلى المجازر الرهيبة والوحشية التي قام بها الجيش الفرنسي، ولكـن تتميز عن غيرها أنها تمثلت في إبادة جماعية كان ضحاياها كلاب مشردة، وإحـراق للمحاصـيل الزراعية.

وهذا حسب ما ذكره الكولونيل أسكوت الذي لازم الأمير خلال سنة1841[*] كما كـان من نتائج هذه الواقعة توسيع دائرة النفوذ الفرنسي، إذ تمكن الفرنسيون مـن احـتلال تاقـدمت وخضوع الكثير من القبائل واعتراف شيوخها بالسلطة الفرنسية منها قبائل "الأحرار" رغم أنها من كبار القبائل و"أولاد إبراهيم"، "الفليتة"، "بني زروال"، "البرجية" و"أولاد عزيز" وإرغامهم علـى دفع الضرائب[2]، خلالها أيقن الأمير عبد القادر باستحالة الاحتفاظ بعاصمة قارة وثابتة، فكـان

[1])- الكولونيل أسكوت، المصدر السابق، ص: 101.

[*]) - يدلل الكونت سانت أرنو على هذا الفعل المتوحش والذي قام الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بقولـه : "... في سنة 1841 بقينا نحارب جيش الأمير عبد القادر، ندمر المدن ونحرق المحاصيل، أينما حلت الجيوش الفرنسية فهناك لهيـب النيران... " ينظر: J marcel, calendrier des crimes, version 15 avril, 2005, p :46

[2])- Farbre , op cit , p : 370.

سقوط حصونه الدفاعية والعسكرية والاقتصادية كتاقدمت، إيذانا بعهد جديد في دولته، فلجا إلى إنشاء عاصمة متنقلة لاستمرار المقاومة تسمى "الزمالة".

تعرف هذه الأخيرة بأنها مجموعة من الخيام يسهل إقامتها ورفعها عند الضرورة، وهي عاصمة إدارية متنقلة إذ تنقلت بين "وادي المالح" السابق الذكر، و"أولاد نايل"، في شكل تجمع لخيام كثيرة موجودة قبل سنة 1841[1]، وتعتبر هذه السنة حسب تسلسل الأحداث؛ الفترة التي دمرت وخربت فيها تاقدمت وقرية القيطنة مسقط رأس الأمير؛ بداية لظهور النواة الأولى والرئيسية لتنمو تدريجيا وحاجة الجيش للسلاح والذخيرة بعد ضياع المراكز القارة لصناعتها، كان سببا إضافيا في نشوئها، كما تتميز بنظام محكم وترتيب متسق، على شكل دوائر أصغرها في الوسط ثم الأربعة الأخرى الواحدة داخل تابعتها وفق تركيب مضبوط لا يتغير، أما الوسط يعرف بالدائرة المركزية حيث يوجد الأمير وعائلته وتعرف بدوار السلطان، والدائرة الأولى فهي للخليفة ابن التهامي(*) صهر الأمير عبد القادر والخليفة السابق لمعسكر والميلود بن عراش وغيرهم من المسؤلين، وكانت الثانية للخليفة محمد بن علال على مليانة وغيره، والثالثة من نصيب قبائل "الحشم" الشراقة والغرابة في حين الرابعة، خصصت للقبائل الرحل من الهضاب العليا وزعيمها الخروبي كاتب الأمير.[2]

وبعبارة أخرى اشتمل نظام الزمالة على ثلاثة أقسام، الزمالة للأمير وحاشيته، والدائرة لعامة الناس، أما المحلة فهي المكان الذي ينزل فيه الجيش، وللمحافظة عليها انشأ الأمير بها عدة مضارب وأخبية، فكانت مكانا أمنا للأشخاص المؤيدين له، فأعد بها مجلسا أعلى للبت في القضايا العالقة، وخصص مكانا لعقد الاجتماعات العامة وانتظام المجالس الرسمية، ولانتصاب ديوان العدالة، ومسجدا للصلاة، وشملت أيضا معظم مؤسسات دولته، فكانت بها الدواوين، وخزائن بيت المال، ومتلكات رجال الإمارة الشخصية، والخلفاء، ووجدت بها مصانع للأسلحة ومخازن صيانتها

---

1)- Barlette Henri , op cit .

*)- مصطفى بن احمد التهامي ولد حوالي 1796 م ، كان معلما بوهران عين على رأس ديوان الإنشاء ، يعتمد عليه الأمير في شؤون الدولة نظرا لسداد رأيه، كما يعد من كبار العلماء والكتاب في عصره، ينظر : الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير, سيرة ذاتية كتبها في السجن 1849، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون ، ط: 4 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2004 ، ص: 166

2) - Notice sur expéditions, op cit.

وتصليحها، مزودة باختصاصيين من مختلف الدول، كالأسبان والفرنسيين، فكان بهـا مدرسـون وعمال السروج، الخياطة، الحدادة والدباغة، بالإضافة إلى أسواق تجارية، يقوم بحمايتـها أربعـة فرق[1] من الجند المتطوعة، نحو44 جندي وفرقة أخرى من الجيش النظامي نحو 57 جندي. (*)

وانعكس هذا الواقع على كبر الزمالة عددا ومساحة، يتراوح عدد سكانها عندما اسـتولى عليها الفرنسيون سنة 1843؛ مابين 60 إلى 70الف نسمة، تنتشر خيامها في المنطقة التي تمتد بـين تاجوين وأعالي الشلف فكانت من السعة بحيث أن الشخص الذي يفقد فيها احد أقاربه قد يقضي في البحث عنه يومين أو أكثر، ما يؤكد قول الأمير:«...لقد كانت الزمالة تمتد من طاقين إلى جبل عمور فإذا صادف أن أضاع العربي أسرته فيها يظل باحثا عنها يومين أحيانا قبل أن يجـدها»[2]؛ خاصة وأنها تتألف من 12قبيلة أهمها:"بني هاشم"، "بني مديان"، "بني شريف"، "عكرة"، "هدامة" و"أولاد شعيب"[3]، لدليل على ولاء قبائل المنطقة للأمير عبد القادر، وعليه يمكن القول بان الزمالة كانت الحل الأمثل في مثل هذه الأوضاع، ولكن نتساءل ماهو واقع السياسة الاقتصادية في منطقة تيارت خلال هذه الفترة؟.

ما كان سائدا في هذه الأخيرة، سياسة الاحتكار والقيود على النشاط التجـاري، حيـث أوجد الأمير خلال تواجده بمنطقة تيارت نظاما اقتصاديا موجها عززه الأمن والنظام، ففي مجـال الزراعة، بما أن المنطقة فلاحية والمنتج الأساسي هو الفلاح، فسهل له شروط التنمية، وألغى ضريبة الخراج التي كانت تطال الأرض ومحصولها، وشجع هذا التدبير الفلاح علـى العمـل، فـاعتنى بممتلكاته واستعان بأدوات بدائية لحراثة الأرض، فكان يستهلك مع أفراد عائلته قسما من محاصيله ويودع الزائد في مخازن لينفق عند الضرورة على الأغراض العسكرية[4]، لكن الشيء الملاحـظ أن المحاصيل خربت بسبب حربي 1841 و1842 نتيجة سياسة الأرض المحروقة، بتنفيذ غزوات علـى القبائل بغية حرمانهم من محاصيلهم والاستيلاء على أراضيهم، وهو ما جاء في خطـاب وجهـه

---

1) - Paul Azan, , op cit, p: 185

*)- جملة العسكريين الموجودين في الخدمة الفعلية والمتطوعين في ثلاثة أسلحة ؛ الخيالة أو القوم الراكبون إلى جانب المشاة أو العسكر المحمدي فضلا عن المدفعية أو الطوجية والحرس الأميري، ينظر أديب حرب، المرجع السابق، ص: 328

2)-C, A W, O, Notice sur expéditions, op cit , p : 379

3)-B.O.G.A, op cit, p : 88.

4)- Paul Azan , L'émir Abed - el - Kader 1808 -1883 , du fanatisme musulman au patriotisme français , paris , 1925 , p: 154

لعناصر جيشه يقول فيه: «...ليست مهمتكم أن تجروا وراء العرب فهذا غير مجد، إن مهمتكم أن تمنعوهم من أن يبذروا أو يحصدوا أو يرعوا، والحرب التي سنقوم بها ليست حربا تعتمـد علـى طلقات البنادق إنما هي أن نحرم العرب من مواردهم التي تنتجها أراضيهم...اذهبوا إذن واقطعـوا القمح والشعير...».[1]

هذا وعن الصناعة عمد الأمير عبد القادر القيام بمحاولات جدية لتنظيم هذا النشاط الـذي منح الأولوية فيه للصناعات الحربية، فاستقدم خبراء فرنسيين، وانشأ مصانع للأسلحة وذخيرتها في تاقدمت، ولم يكتف بذلك، بل اوجد مصانع للنسيج تنتج أنواعا رفيعة المستوى وأقمشة شعبية[2]؛ أما في تازة، فقد نشطت التجارة فيها وانتشرت أسواقها، من الجمعة إلى الاثنين، أما عن الحيـاة الثقافية، فقد عرف التعليم في المنطقة ثلاث مراحل: الابتدائي، الثانوي والعالي، فكانت المرحلـة الأولى غنية بالتعليم من خلال الزوايا والخيام، كخيمة الشريعة يشرف عليها مؤدب يختاره سكانها وينال نحو فرنكين أجره في اليوم، أما التعليم الثانوي والعالي فليس هناك فصل واضح بينهما يسمى الأستاذ الذي يدرس هذه المرحلة عالما[3]، كما عمل عبد القادر جاهدا لتأسيس المكتبات وجمـع المخطوطات، فانشأ مكتبة عامة في تاقدمت، بحيث أمر أفراد وحداته العسكرية إحضار كل ما تقع عليه أيديهم من مخطوطات أثناء الغزوات والحروب، إذ يمنح كل من يعثر على وثيقة أو كتـاب مكافأة مالية وترقيات[4]، دليل على الوعي الثقافي السائد في هذه الفترة.

وعليه يمكن القول: إن طبيعة ونوعية بنية الزراعة الريفية وخصائصها بالمنطقة قد حـددتها وضعية الأرض بموجب قوانين الإمارة الداخلية، فكانت في مظاهرها انعكاسا لهذه الوضعية وذات فائدة كبيرة لبيت المال أما الصناعة؛ لم يكن لها دور محددا في وضع ونوعية بنائها، في حين النشاط التجاري، كان له الدور الأكبر في إمداد خزينة الأمير بالأموال اللازمة لتأسـيس دولتـه وبنـاء جيشه.

1)- Landmann, M,Mémoires au Roi sur la colonisation de l'Algérie, paris, 1845, Pp: 41- 53.

2)- Paul Azan , ibid .

3)- T.S.E .F .A. 1842 , paris , 1842 , D, A, W, O, p : 233.

4)- Berlette, op cit, p : 321.

ب- الاستيلاء على الزمالة:

بعد أن علم الفرنسيون بأهمية الزمالة وما تحويه من موارد ضخمة، صمم الجيش الفرنسي بقيادة حاكمه العام الاستيلاء عليها والقبض على زعيمها، إذ أصبحت المدينة المتنقلة الهدف الرئيسي لنشاطه، فاصدر بيجو تعليماته لضباطه بمراقبتها وضرورة التفتيش عنها وعن مكان تواجدها مهما كلف الأمر، فلم يتوقف ضغط القوات الفرنسية خلال بقية سنة 1843؛ حين افتتح الجنرال لامورسير في مطلعها الحملة باحتلال تاقدمت[1]، وهنا بلغ الجواسيس الأمير بأنه قاصدا الدائرة يتعقب تحركات الزمالة لإنهاء وجودها، فاستعد الأمير وسار إليه بقوة وعدد من الراجلين لكن بوصوله إليها علم أن الجنرال الفرنسي لا يزال في معسكر فمكث هناك ثم تحرك هذا الأخير نحوه، وقعت معركة بينهما، فاقتتلا قتالا عنيفا تكافأت فيه القوات، فجميع ما استولى عليه لامورسير من الزاد والذخيرة يقدر بحوالي 2000 بعير، ورغم هذا أعاد الجنرال الفرنسي الكرة مرة ثانية لكن الأمير تصدى له وعلى إثرها قام بإعداد خطة، الغاية منها اتقاء العدو وقواته فاصدر امرأ بانتقال الزمالة إلى ناحية الجنوب(جبال عمور) حيث الغذاء أوفر وظروف الأمن أفضل، وراح يترقبهم من مقره في جبال السر سو بقوة تقدر ب: 1500فارس[2].

أما خلفاؤه فكانوا بدورهم ينشطون في الجهة الأخرى، فنجد ابن علال، يترصد تحركات قائد مقاطعة معسكر في جبال الونشريس وابن التهامي يراقب قبيلة "أوراغ" وكذالك ابن الخروبي على قبيلة "الفليتة"(*) في جوار سطيف، كما وضع حراسا ومراقبين على مداخل المنطقة بمسافات بعيدة عن المخيمات، في حين لم يكن هناك احد من خلفائه منشغلا بتحركات ابن الملك الدوق دومال(*)، وأثناء غياب الأمير عبد القادر مع كبار قادة جيشه عن الزمالة، سعى الفرنسيون

---

1)- Aguila Clément, op, cit, p : 69.

2)- Notice sur expéditions, op, cit .

*)- مجموعة من الأهالي تقطن بين أغاليك الغرابة ومجاهر أغاليك الشراقة بوادي الشلف على نهري مينة ومنداس وتضم 21 بطنا منها العتاترة والمحال وأمية والشرفة وأولاد سيدي يحي والحرارثة بقيادة ميلود بوطالب ابن عم الأمير، ينظر: j,n robin, la grande Kabylie sous le régime turque , présentation et note de mahe, bouchéne ,paris,1998,p :173

*)- الابن الرابع للملك لوي فيليب من مواليد باريس (1822- 1897) برز اسمه في حملة الجزائر استولى على زمالة الأمير عبد القادر عام 1843 ، فهو جنرال ومؤرخ فرنسي ترك مؤلف مشهور بعنوان تاريخ أمراء كوندية ،ينظر مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص: 191

جاهدين للتعرف على مكانها بعد أن استعملوا كل الوسائل والوسائط حتى استمالوا قلوب بعض القبائل التي انحازت للفرنسيين بعد تلقيهم رشاوى من الجيش الفرنسي، فتعهد لهم بعض الأشخاص منها بترصدها ودلهم على مكان تواجدها، خاصة وان طوابير بيجو خلال هذه الفترة كانت تحت قيادة الجنرال يوسف (yousef)(**) الذي كان يقوم بدور السائس أمام قوات الـدوق دومـال، وكان كعادته يفضل حسم الأمور بسرعة فائقة، ويقال أنه كان يتمتع بخدمات أحسن في مصلحة الاستخبارات في الجيش، ومن بين طرقه في الحصول على المعلومة قطع رؤوس احد عشر سـجينا من أجل حمل الثاني عشر على الإدلاء بما لديه من أسرار ومعلومات[1]، وهكذا أخبر عمـر بـن فراح، أغا قبيلة بني عياد المعروفين بسطوهم ونهبهم قوافل الصحراء الدوق، أن الأمير منـهمك في مراقبة تحركات لامورسير وبالتالي فلا خوف من أن يتعرض لحملة عسكرية يقودها ضابط أخـر للاستيلاء على الزمالة، وما إن ابلغ الدوق عن وضع مدينة الأمير حتى سارع إلى تنظيم خطـة[2]؛ وفي العاشر من ماي، غادر مركز بوغار على رأس جيش قوامه 1300 راجل و600 فارس ومدفع ميدان، وأبقى في المنطقة حامية تصل نحو 250 جنديا بإمرة النقيب موته (mottel) للدفاع عنـها عند الحاجة، وتوجه نحو كوجيلة، ولما وصل الفرنسيون في 14 من نفس الشهر، حينـها وصـلته أخبار مفادها أن مدينة الأمير تتمركز على مسافة 20 كلم إلى الجنوب الشرقي للمنطقة، وعلـى ضوء هذه الأخبار رأى دومال أن يتابع السير إلى أن وصل إلى ضواحي عين الغيلتين(***).

وبتاريخ 15 ماي قسم القائد الفرنسي قواته إلى مجموعتين:الأولى بقيادته شخصيا والثانية بقيـادة العقيد شاديصون(*) (chodyssone)، وحوالي الساعة السابعة من ليل 15 ماي سارت المجموعتـان

**)- من خلال اسمه، على الأرجح أن يكون يهوديا تجنس في فترة متأخرة يوم 02 مارس 1839، يملك سـجلا حـافلا بالجرائم وحروب الإبادة في حق الكثير من القبائل الجزائرية التي أبادها عن أخرها ، كما شجع الدوق دومال على مطـاردة عاصمة الأمير عبد القادر، ينظر: أديب حرب، الجزء 2،المرجع السابق، ص: 445

1)- Moniteur Algérien le 25 mai 1843, tom 2, " Rapport officiel adressé par le duc d'Aumale. Au général de bar. du bivouac des chammou niah sur l'oued ourek" . Le 20 mai 1843, D, A, W, O, p: 425-430.

2)- M, A, le 25 mai 1843, tom 2, ibid.

***)- أخر ينابيع جنوبي كتلة كوجيلة الجنوبية نحو نبع طاقين في اتجاه جبال أمور، ينظر: مذكرات الأمير، المصدر السابق، ص: 176

*)- جنرال فرنسي، ساعد الدوق دومال في الإغارة على زمالة الأمير عبد القادر،ينظر: أديب حرب، المرجـع الـسابق، ص:290.

نحو نبع طاقين، رغم الظروف الطبيعية القاسية، ولكن عندما وصل الدوق دومال، علم أن الزمالة تتجه جنوبا ودون أن يضيع الفرصة أسرع في نفس الاتجاه رفقة الجنرال يوسف وفرسانه تاركـا وراءه ما تبقى من مجموعته بإمرة العقيد السابق الذكر[1]، وبعد مدة من البحث الشاق وشـعور القائد الفرنسي وجنوده بخيبة العثور على مدينة الأمير، إذا بالوضع يتغير فجأة فقرابة الساعة الحادية عشر صباحا لمح الدوق دومال الخائن عمر العيادي الذي سبق ذكره وهو يقـصده ليخـبره أن الزمالة تتمركز على مسافة كلم واحد من عناصره، وأنه شاهد جمعـا مـن الرجـال والنـساء والأطفال، ومن أقعده العذر أو العجز، أو ما تركه الأمير حولها من طائفة الحرس الذي لا يتجاوز عددهم 500 جندي منهمكين في ضرب الخيام كما رأى قطعانا من الماشية، وبعد اخذ ورد مـن مؤيد لعمر العيادي ومعارض له، انتهت الأمور بقرار من ابن الملك بضرورة الاستيلاء على قاعدة الأمير رغم وجود فرسانه، مبررا أن أي تأخر في اعتماد هذا القرار سـيعرض مهمتـه للفـشل، فالهجوم هو الحل الوحيد والمناسب حسب رأيه، لكن الخائن عمر حذره من مهاجمة الزمالة بهـذا العدد حتى ينتظر تقوية الجيش، ولما صمم الدوق دومال على الهجوم عليها أشار عليه عمر العيادي بإلباس فرسانه لباس الجنود الجزائريين وهي البرانس الحمراء.[2]

وعلى هذا الأساس قسمت الخيالة إلى تشكيلتين؛ تتكون إحداهما من العناصر المساعدة مـن الأهالي والسبايس[3] وضعت تحت إمرة العميد يوسف تقوم بالهجمات الأولى المباشرة، بينما تتألف الثانية من قناصة افريقية، ورجال الدرك وضعت تحت قيادة الكولونيـل مـوريس(Moris) [*♣] واحتفظ دومال لنفسه بمهمة توجيه العمليات تقضي الإحاطة بالزمالة من الجنوب والهجوم عليهـا من إتجاه الشمال[4] وما إن اقترب الفرنسيون منها عمد إلى الحيلة وحمل جيشه على تغـيير زيـه العسكري والتزي بزي الفرسان المجاهدين فتمت العملية في تاريخ 16 ماي 1843 فاغتر أهلها لهذا المظهر التقليدي الكاذب وخيل إليهم انه جيش الأمير عاد منتصرا من غزوة فاستقبله القوم بارتياح

---

1)- Paul Azan, les grands soldats …op cit , p : 90

2)- Lion roche, op cit.

3)- ويقصد فرقة فرنسية تعمل على المباغتة، ينظر: أديب حرب، المرجع السابق.

♣*)- قائد فرنسي من عملاء الكولونيل الفرنسي دومال، الذي لعب دور جد هام في الحركة العسكرية بنواحي منطقة تيارت لهذه السنة، ينظر:(أديب حرب، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص: 445.

4) - Paul Azan, ibid.

وهدوء تام، وما كادوا ينتبهون لهذه الخديعة، حتى انقض عليهم الجـيش الفرنـسي، فـأهلكهم وأكتسح الزمالة، فتعالت الصيحات من كل مكان، واختلط عويل النساء، وصـيحات الرجـال بأصوات الحيوانات، فالهجوم المفاجئ لم يترك للمدافعين الوقت للمقاومة [1]، فتم تنفيذ الخطة على النحو التالي: العميد يوسف مع مجموعته انقضوا على زمالة الأمير(دار السلطان) رغم المقاومـة، والعقيد موريس مع عناصره الذي هاجم قبيلة "بني هاشم" وقبائل الناحية الجنوبية، في حين النقيب داسبينو(D'asbino)؛ تولى المهمة بإمرة فرقة أخرى نحو الشمال بهدف قطع الطرق، أما الفـارين من الزمالة، فحاصروهم من جميع الجهات وضيقوا الخناق على دوائرها حتى استـسلمت عنـد الساعة الثالثة تقريبا من بعد الظهر يوم 16 ماي من نفس السنة.[2]

كان لسقوط الزمالة الأثر البليغ على الأمير عبد القادر، مقارنة بالفرنسيين:

1- على الجانب الفرنسي؛ يعتبر الاستيلاء على الزمالة اكبر انتصار سياسي وعـسكري حققتـه السلطة الفرنسية الاستعمارية، وعدت أيضا عاملا مكملا لأنواع السياسات الأخرى الممارسة في الجزائر، فبعد أن وصلت القوات الفرنسية إلى أخر معاقل الأمير عبد القادر وهو مرفأ تنس برهنت أن يدها طويلة، والدليل على ذلك أنها وصلت إلى غاية منطقة الهضاب العليـا، وبهـذا أصـبح الفرنسيون في موقع قوة يسيطرون على كامل الأراضي الجزائرية من جهة ومن جهـة أخـرى، فاستولت طوابير الجنرال بيجو بقيادة العميد يوسف على مدينة بوغار وهي أخر معاقل الأمير التي تحمي ظهره من الشمال.[3]

لما أقدم الدوق دومال على قرار الهجوم كانت بحوزته مجموعة من الفرسان في حين غابـت قواته المتكونة من الزواف(*) والمشاة، ولولا السرعة في تنفيذ المهمة لما كانت النتائج لـصالحهم، فالفرسان هم الوحيدون الذين نفذوا الهجوم ونجحوا في ذلك، أما المجموعتان الفرنسيتان وصلتا إلى مركز عين طاقين في أوقات متفاوتة، الأولى بقيادة شاديصون على الساعة 4,30 من بعد الظهـر والثانية عند غروب الشمس أين سيطرت القوات الفرنسية على ارض المعركة وتمت عملية دفـن القتلى وتنظيم الأسرى إلى وحدات، كما انتشرت في باريس مظاهر الفـرح وخلـد هـوراس

1)- Paul Azan , ibid .

2)- Moniteure Algerien le 25 mai 1843 et d'Ideville , opcit, pp : 426- 430.

3)- Notice sur expéditions …, op cit , p : 382 .

*)- فرقة مشاة من الجزائريين، ينظر: اديب حرب، المرجع السابق.

فيرني(*)(Horace Vernet) ذلك في لوحة، طولها 23 م وعرضها 14 م سنة 1845 وهي موجودة بقصر فرساي.

ولهذه الاعتبارات كلها سوف يتقلد بيجو رتبة مارشال فرنسا أي عصا المرشالية، ويتقلد دومال رتبة جنرال فيلق وكذا الشأن بالنسبة لكل من لامورسير[1] وشانغرنيه(**).

ب- الاستيلاء على ممتلكات الزمالة :

خرج الفرنسيون من المعركة وأكياس زادهم مليئة بالثياب الفاخرة ومن الذهب، اللؤلؤ، والأحجار الكريمة[2]، مما يتبين أن قناعة السلطة الفرنسية إنهاء قوة الأمير التي تبدأ بالقضاء على زمالته واهم الثروات التي كانت فيها.

ج- التوسع الاستيطاني:

صمم بيجو على استعمار الجزائر بالبندقية والمحراث، فيعتبر احد المنادين للاستعمار الاستيطاني ويرتكز في رأيه على صنفين من المعمرين، الجنود الفرنسيون بعد تسريحهم من الخدمة العسكرية، فهم في رأي بيجو قوة أو طاقة حية يمكن استثمارها، كما يرى أن غرس الأشجار المثمرة مثلا، وسيلة من أنجع الوسائل لشد المعمرين إلى الأراضي، وبالتالي من الصعب التخلي عنها وذلك من خلال تسهيلات مناسبة، وفي هذا يقول ألكسي دي طوكفي (Alexie Tocqueville):«...يخدم طرق الاستيطان مباشرة بإعطاء السكان الجدد إمكانات سهلة للتبادل فيما بينهم لتسهيل ولنقل بضائعهم إلى الأسواق التي يبيعون فيها بأسعار مرتفعة ...»[3]، حيث يحصل المعمرون في البداية على عقد مؤقت، أما العقد النهائي فهو محكوم حسب قرار 18 أفريل

*)- رسام فرنسي من مواليد 1780-1863، زار الجزائر عدة مرات، واشتهر برسم المعارك ومن بينها لوحته المعروفة عن معركة عين طاقين ومعركة وادي ايزلي بين المغاربة والفرنسيين سنة 1844، ينظر: شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص: 276.

1) - J,M, Landmann, op cit , p : 45

**)- جنرال فرنسي ورجل دولة من مواليد (1793-1877)، تولى منصب حاكم للجزائر ثم اعتقل اثر انقلاب نابليون3 سنة 1815 ، بعدها عاد إلى فرنسا سنة 1859 م، ينظر: les grand soldas de France ,op cit,p:213

2)- Legoyt, Alfred (pseud. de Hermann),De la Colonisation civile et militaire de l'Algérie , 1839 , imprimerie de E, d'épée à sceaux (seine) , p : 8 -13.

3) - Alexse de tocfille , opcit , p : 186 .

1841 بتثمين الملكية وتقويمها[1]، فاخذ يحول الضباط والجنود إلى فلاحين ومزارعين، على أساس أن الجندي اقدر على الحياة الجماعية والدفاع عن المزرعة إذا ما تعرضـت للخطـر، وإقطـاعهم أراضي، فكان يدعى الجندي فلاح وهذا دليل على الاستيطان العسكري الجماعي، كما أقام سبعة قرى نموذجية للاستيطان على شكل مزارع، كقرية الشريطة دعمها بقرار سـنة 1841؛ يقـضي بالاستيلاء على أراضي الأهالي الثائرين ليستفيد منها المستوطنون الأوروبيين، ومن الجدير بالذكر أن بيجو تلقى صعوبة كبيرة في تسمية هذا الصنف من المعمرين، خاصة وان الرأي العـام انتقـد بشدة كلمة الاستعمار العسكري، وبهذا كتب إلى صديقه جانتي(Gantie):«... إنني غيرت نظامي الخاص بالاستعمار العسكري بحيث استرضي الأذهان التي تنفر من ذلك، إنني سأنشر الاسـتعمار المدني بواسطة الأجناد الذين لن أخضعهم للانضباط العسكري سوى مدة ثلاثة(03) سنوات بعـد ذلك أسلمهم للإدارة المدنية...»[2].

على الجانب الجزائري (دولة الأمير عبد القادر):

مازال الأمير في أحراش السرسو يراقب تحركات القوات الفرنسية التي كانت تحت قيـادة الجنرال لامورسير، فلم يصله خبر سقوط الزمالة إلا بعد مضي ثلاثة أيام، حيث ابلغه من فر مـن أهلها بما جرى عليها فكان لذلك أثرا بالغا في نفس صاحبه، ومع ذلك قـام في جيـشه خطيبـا فقال:«...سبحان الله فقدنا كل شيء ... والآن صرنا أحرار... لا شغل لنا إلا مقارعة الأعداء... وما فقدنا من الرجال ... إنهم شهداء ... وأما الأموال فيخلفها الكريم...»[3].

النتائج المباشرة لسقوط الزمالة: كان لسقوط الزمالة أثار متعددة شملت مجالات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر من الناحية: الاجتماعية: بلغ عدد الشهداء من الجزائريين بعد سقوطها حوالي 300 من المهاجرين وحوالي 09 من النساء وبلغ عدد الجرحى12؛ أما الأسرى فقدروا بحوالي 300 شخص من بينهم أفراد عائلات الخلفاء كسيدي مبارك بن علال، ابنة ميلـود بـن عـراش

1)- Alexse de tocfille, ibid.

2) - J, M, Landmann, op cit, pp: 70 - 72.

3) - Notice sur expéditions ..., op cit.

وسيدي العربي احد أعوانه في حين أسرة الأمير نجت بأعجوبة[1]، خاصة وان عامل الجوسسة قد أدى إلى خسائر كثيرة والتي بسببها تضررت الزمالة ومتلكات أهاليها.

الاقتصادية:

هذا وعن الخسائر المادية فتتمثل في ضياع جميع ما فيها من الذخائر والنفائس من أموال الخزينة وودائع خلفاء الأمير التي تقدر بملايين الفرنكات والمجوهرات الثمينة، بالإضافة إلى تراجع الاقتصاد وإتلاف الإنتاج وتعطيل المصانع، فضلا عن أبطال صلاحيات الموظفين في تحصيل الضرائب، فمن أعمال التدمير التي ألحقها الجيش الفرنسي باقتصاد دولة الأمير، تحطيم مصانع البنادق وسبك الحديد وتوقف العمل في مصنع الملابس، ولعل نهب محلة الأمير في 16 ماي سنة1843 والاستحواذ على ثرواته، يعتبر الضربة القاضية للنظام الضريبي والمالي بعد إتلاف مخازن الدولة بتاقدمت[2]، كما قام الجنرال بيجو في هذه السنة بمصادرة معظم الأراضي الخصبة وتوزيعها على المستوطنين الأوروبيين واستولى على وسائل التجارة الداخلية وراقب خطوطها وحولها لفائدته فقلص من الصناعات والحرف[3].

الثقافية:

كانت مكتبة الأمير الجامعة من أهم النتائج الثقافية والتي تحوي أنفس الكتب، وتقدر قيمتها المالية بحوالي 500 ليرة ذهبية وفيها من الكتب المخطوطة نحو 5000 مجلد يقول عنها الجنرال بول أزان(Azan):«... كان الأمير عبد القادر وهو يتبع خطوات الفرنسيين نحو المدية يلتقط الأوراق المتناثرة من كتبه الثمينة على طول الطريق...فقد كانت هذه المكتبة ثمرة تعب أجيال في التمحيص والجمع والنسخ...»[4] ويقال انه بكى عندما شاهد رياح البادية تعبث بما تبقى من نفائس المخطوطات وروائع ما خطته أيدي كبار المتصوفين وعلماء القرون الماضية في غرناطة وقرطبة.

1)-T, S, A, en 1842, paris, 1843, p : 255

2)-T , S, A, ibid.

3)- M, A, le 25 mai 1843 et d'Ideville, op cit, p : 435.

4)-Démente Victor, la colonisation militaire sou Bugeaud, éditeur lilaire , conise 11, paris ,p: 83.

النتائج غير المباشرة:

قام الأمير قائلا:«...لماذا علينا أن نجبن...إن الفرنسيين قاموا بغارة ضد الزمالة ولكن علينا أن لا نفقد الشجاعة فنحن سنكون منذ ألان اخف حملا وأفضل استعدادا للحرب...»[1]، ومـن خلال هذا أصبحت المهمة الأساسية التي تواجه عبد القادر هي استعادة نفوذه وبعـث الثقـة في نفوس قومه بإعادة تنظيم ما تبقى من الزمالة، ويلمس هذا كذالك في تجنيده بسرعة والاسـتعداد لمواصلة الجهاد حينما كتب إلى خلفائه يخبرهم بما وقع له قائلا: «... ينبغي لنا أن لا نجـبن، بـل نكون اشد ما كنا عليه من قوة القلب وكثرة الاستعداد للحرب...»، فأقبل على غزو القبائل التي وقفت في صف الفرنسيين ضده فانشأ دائرة بدلا من المدينة الكبيرة المتنقلة.

مقتل مصطفى بن إسماعيل(*)

لما سمع لامورسير بان الأمير انشأ مخيمه- كما سبق ذكره – جهز فرقة بقيادة مصطفى بـن إسماعيل رئيس قبيلة الدوائر، لكن أهلها بلغهم النبأ فانتقلوا بها إلى جهة الصحراء، وأثنـاء عـودة الأمير وقواته من وهران وبعد تنفيذ إحدى المهمات مع فرقة العميد الـسابق ذكـره في منطقـة معسكر، لقيه الجيش الفرنسي واشتعلت نار الحرب بينهما في إحدى الممرات الضيقة في أراضـي الفليتة، كان خلالها النصر حليف الجزائريين، فمن بين القتلى نجد مصطفى بن إسماعيـل، وأثنـاء تبادل إطلاق النار بين الفريقين أصيب برصاصة في صدره على يد رجل من القبيلة ببلاد الرقايقية وهم بأرض منداس ما بين غليزان ومستغانم، والتي كانت تنتمي إلى افلو بعد عصر يوم 14 جويلية من نفس السنة[2]، وفي غضون هذه الفترة ازداد إصرار بيجو على مواصلة تعقب تحركات الأمـير لتحقيق هدفه الكبير وهو إلقاء القبض عليه، لكن الأمير ما إن لاحظ تحركات الفرنسيين وشـعر بعدم قدرته على المواجهة والدفاع، تراجع دون أن يحقق أي مكاسب.[3]

---

1)- Paule Azan , op cit .

*)- من مواليد 1796- 1843، يعود نسبه إلى أولاد بن عفان من محال أولاد بوبكر اللذين أطلق عليهم اسم الدوائر وكان عشية الاحتلال يشغل منصب أغا الدوائر والزمالة، إلى لقي حتفه في كمين نصب له في منطقة فليته فقطع رأسه وذراعه وحملا للأمير ، ينظر: مذكرات الأمير، المصدر السابق، ص: 151.

2) - Notice sur expéditions ..., op cit .

3) - M, A, le 25 mai 1843 et d'Ideville, note sur l'organisation de l'Algérie par le lieutenant générale de Lamoricière en 1846, cadastre de chalef.

مقتل ابن علال(*) :

يوم 6 نوفمبر من سنة 1843 رقي الجنرال بيجو إلى رتبة ماريشال فرنسا، فكلف جيشا من معسكره بقيادة الجنرال تامبور بمهمة مطاردة ابن علال الذي كان يتمركز مع ما تبقى من جيش الأمير النظامي في نواحي اليعقوبية بالقرب من سيدي يحي بمعسكر، فالتقى الطرفان بوادي المالح، فاشتدت الحرب بينهما وفي اليوم الأخير استشهد الخليفة وسقط في ميدان الجهاد في 11 نوفمبر من سنة1843 عن سن لا يتجاوز 35 سنة، خلالها استطاع الفرنسيون الاستيلاء على المعسكر وقتـل حوالي 400 من الجزائريين واسر نحو 360 شخص وهذا ما أورده الأمير عبد القادر الجزائـري في قوله:« ...وفي اليوم الأخير منها استشهد الخليفة، واختلفت مصافه وتمكن العدو من الاسـتيلاء على المعسكر، وقتل من المسلمين في ذلك اليوم أربع مائة نفس، وأسر ثلاثمائة وسـتون...»[1]؛ وبمقتل ابن علال فقد الأمير أقوى خلفائه وأخلصهم، ولم يكن هذا الأمر أقل تأثيرا عليه من سقوط الزمالة، لكنه لم يترك لليأس مكانا، وهم إلى تعين قدور بن علال- ابن أخيه - خليفة في موضعه، فأراد بيجو أن يستغل موت ابن علال إلى أقصى درجة فأمر باقتطاع رأسه وعرضه على القبائـل وفي ظل هذه الظروف جمع الأمير عبد القادر مجموعة من الأتباع المخلصين له، واختفى معهم لعدة شهور في الصحراء، وعندما تخلص الفرنسيون من حضوره تصوروا أن مقاومته قد انتهت وانـه انسحب من الميدان حينئذ صرح الجنرال بيجو أمام حكومته قائلا:« ... بعد حملة الربيـع سـنة 1843 كان يمكنني أن أعلق بأن احتلال الجزائر وإخضاعها قد انتهى...ولكن بعد معركة الحـادي عشر من شهر (نوفمبر)... التي قتل فيها أول وأشهر خليفة له.... فان الأمير لن يحاول أبدا أيـة حركة هامة من جديد...»[2].

*) - محمد بن علال سيدي مبارك، احد الرجال الصالحين بمدينة القليعة غرب الجزائر العاصمة ويطلق عليه عادة اسم سيدي مبارك وهو خليفة الأمير عبد القادر على مليانة وكان من الشخصيات العسكرية والسياسية البارزة بحيث يمكن عده من القادة الأوائل الذين تحملوا مع الأمير عبئ تنظيم حركة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي ، ينظر: مذكرات الأمـير عبـد القـادر الجزائري، المصدر السابق، ص: 166

1)- مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر نفسه، ص: 178.

2) – Paule Azan , op cit.

فيتبين مما سبق ذكره أن السلطة الفرنسية الموجودة بمنطقة تيارت قد أدت دورا عـسكريا كان له الأثر البليغ على سكان المنطقة، بالتوسع على كامل التراب بصفة مدنيـة، مـن خـلال إحداث قواعد وهياكل لها في المنطقة المحتلة، وهذا ما سندرسه في الفصل الموالي.

الفصل الثاني

الاستيطان المدني في منطقة تيارت 1851- 1890

1- تهيئة المنطقة (نماذج من التطبيقات)

2- بناء المركز الاستيطاني والقرى ألفلاحيه المجاورة

الاستيطان المدني في منطقة تيارت 1851- 1890

حاول منظروا الاستعمار وضع مفاهيم وتحديد قواعد وأسس لتطبيق السياسة الاستيطانية في منطقة تيارت، وتجسيد عدة إجراءات تخدم فرنسا فيها.

1- تهيئة المنطقة: (نماذج من التطبيقات)

إلى غاية هذه الفترة، يمكن القول بان الاستيطان في منطقة تيارت يبدو على قدر كبير من التوسع بما عززت به من القوانين التي تمنح امتيازات للمعمرين الفرنسيين بهدف استقرارهم في المنطقة، ما بين سنتي1851 إلى غاية سنة 1862[1]، فابتداء من عام 1850 شرعت السلطات الفرنسية في تركيز القبائل في المناطق الجبلية البعيدة ومنح امتيازات في شكل قطع أرضية خصبة للمعمرين.

حسب ما جاء في قانون 16 جوان 1851[*]، والذي دعم بالقانون المعروف لسنة 1848[**]على ضرورة منح الامتيازات في كل من مركز تيارت وسعيدة[2]، الأمر الذي انعكس على تزايد الهجرات الأوروبية إلى منطقة تيارت، فبدأت الدولة الفرنسية استخدمت كافة الإجراءات لتسهيل هذه العملية فهيأت الأرض الزراعية ومنحتهم تسهيلات، لذلك ستعمد فرنسا إلى تهجير أصحابها الشرعيين منها وتأمين مصادر العيش لهم.

---

[1]) - C, A, O, M, 2m 181, Notice historique et statistique de la commune de Tiaret, 31 janvier 1877, Algérie, département d'Oran.

*)- لتوسيع دائرة المستوطنين في المنطقة ،اقترح قانون 16 جوان 1851 والذي ينص على مصادرة أراضي الأهالي وتحويلها إلى الأجانب الفرنسيين ، وتشجيع عمليات منح الامتيازات لهم ، كما أن القانون أكد في المادة العاشرة منه والتي تقول : "أن الملكية حق مضمون للجميع دون تمييز بين ملاك الأهالي والملاك الفرنسيين أو غيرهم" ، كما اصدر وزير الحربية الجنرال لامورسيار والذي تقلد منصب إصدار أوامر للجنرال العسكري بمنطقة تيارت السيد maissoeri جاء في قوله : " الشيء الوحيد الذي يجعلنا نأمل في التمكن ذات يوم من تثبيت أقدامنا في الجزائر هو توطين معمرين مسيحيين يتعاطون الزراعة في هذه البلاد ... وينبغي أن نبذل جميع المساعي لترغيب اكبر عدد ممكن من المعمرين بالمجيء إلى الجزائر، وتشجيعهم على البقاء فيها بإقطاعهم أراضي زراعية فور وصولهم "، ينظر: Maxime Rastell , le calvaire des colons de 48 , paris , 1930, p 168

**)– نص القانون على ضرورة منح الامتيازات للمعمرين إلى جانب مصادرة الأراضي البور والرعي التابعة للعرش والقبائل الرحل.

[2])- C, A, O, M, f 80 1143, arrête de 2 avril 1846 et l'ordonnance de 2 janvier 1847.

ويبين الجدول رقم(1)[1] أهم الهجرات الأوروبية إلى منطقة تيارت خلال سنتي1851 إلى غاية سنة 1862:

السنوات	الفرنسيين	الأجانب واليهود	الأهالي	الرجال	النساء	الأطفال
1851	296	144	288	467	138	138
1852	322	168	336	506	151	151
1853	348	208	370	564	159	159
1855	391	254	411	630	186	186
1856	415	280	444	657	205	205
1858	467	326	498	750	238	238
1860	516	363	545	757	278	278
1861	533	397	562	761	301	301
1862	568	415	590	768	344	344

فيلاحظ من الجدول السابق تدفق المهاجرين الأوروبيين على منطقة تيارت خلال الفترة المحصورة ما بين 1851- 1862؛ مما حول البلد إلى مسرح استيطاني كثيف، بحيث أن نسبة المعمرين الفرنسيين يفوقهم عددا، فالعدد الإجمالي لهم على حسب الجدول يقدر ب:3856 فرنسي، كما نزل بتيارت المختلطة ما يقارب 2555 أوروبيين من جنسيات أخرى ويهود، اسبانيين، مالطيين وغيرهم، ما أهل المنطقة لان تكون قاعدة تؤمن مستقبل الكولون فيها فيما بعد، كما يتضح من الجدول انه خلال سنة 1862 نزل مهاجرون بمختلف أصولهم في منطقة سيدي خالد بالذات، حيث سجل في هذه السنة قدوم 562 فرنسي و415 أجنبي، ولهذا يمكن القول بان إدارة الاحتلال قد وجدت ضالتها من خلال تنفيذ خطتها في ترحيل مجموعات بشرية مجهولة الأصول والمهن من فرنسا إلى تيارت وتثبيتهم بها، خاصة وأن المنطقة ستشهد عمليات أخرى في اغتصاب الأراضي ومنحها للمعمرين الجدد، إلى جانب تأسيس مراكز استيطانية بها.

وفي إطار التهجير والتعمير بالمنطقة، فرض على الكولون المدنيين الراغبين في الحول على قطع أرضية زراعية أن يتقدموا بطلباتهم مباشرة إلى الحاكم العام للجزائر، أو بواسطة حكام

[1])- C, A, O, M, 2m 181, état de population par années depuis la création, centre de Tiaret.

المقاطعات على أن تصحب ملفاتهم طلب إداري عن الحالة المدنية، الصحية، المهنية، عدد أفـراد العائلة وعمر كل طفل، وذلك انطلاقا من الوثائق الأرشيفية[1] التي تمكنا مـن الإطـلاع عليهـا مباشرة، فعلى سبيل المثال، نذكر المعمر المدعو ديكوغت جون لويس(Ducrot Egine)[2] الـذي تقدم إلى مصلحة الشرطة المدنية التي بدورها اتصلت بالمكتب العربي المتواجد بمنطقة الـسوقر، وتم في الأخير الموافقة على طلب منح امتياز تمثل في منحه 3 قطع زراعية مساحتها 12هكتار في منطقة بورليو(Baurlieu) (ملاكو) بتيارت بتاريخ 13 ماي 1887م[3].

مما يكشف لنا الممارسات الاستعمارية الفرنسية في المنطقة، ومسالة الاستيلاء على الأراضي الزراعية كجزء من مخططاتها التي تهدف إلى توطين الأوروبيين والفرنسيين في منطقة الهضاب العليا، ولهذا تكفلت إدارة الاحتلال بكافة الإجراءات التي تضمن لمعمريها الاستحواذ علـى ممتلكـات الأهالي بأنواعها، فعلى سبيل المثال، نذكر مجموعة من المعمرين الفرنسيين الذين اسـتفادوا مـن أراضي زراعية سلمت لهم، موثقة ومدعمة بسندات ملكية لكل واحد منهم، ويمثل الجدول الأتي رقم "2"[4] البعض منهم:

إسـم المستفيد	مساحـة الأرض (تيارت)	رقـم المخطط
برتروند كلود(Bertrand Claud)	39 هكتار و66 أر	01
بروشارد غوني(Brochard René)	1 هكتار و43 ارو80 سنتأر	02
قوتو فيليا (Coto Josph Fulien)	44 هكتارو15أرو60 سنتأر	03
برنارد جوزف (Bernard Joseph)	20 هكتارو80ار و40 سنتأر	04

يبرز الجدول أسماء بعض المعمرين الذين منحتهم إدارة الاحتلال الفرنسي أراضي بقـصد التخفيف عن أعباء وتكاليف تهيئة الأرض واستصلاحها، فضلا إلى أنه إجراء سياسي الغرض منه خدمة الأرض ومن ثم الاستقرار فيها، وبمقتضى القانون السابق ضمت أراضي عديدة إلى أمـلاك

[1])- للمزيد من التفاصيل عن سير العملية ينظر : C, A, O, M, 3M, 559

[2])- من مواليد 14 أوت 1862 في تلمسان إقليم وهران، فرنسي ومتزوج بديت أميلـي (Dite Émelie) بتـاريخ 05 نوفمبر 1884، وله 03 أطفال، يعمل في الزراعة وله خبرة قديمة فيها، كما جاء في التقرير المفصل عن المعلومات الشخصية، انه بصحة جيدة أما من الناحية المادية، فيتقاضى مرتب قدره 4000 فرنك، ينظر:C, A, O, M, 3M, 559, ibid

[3]) - C, A, O, M, 3M, 559, ibid.

[4]) - C, A, O, M, 3M, 559, ibid.

الدولة من خلال امتلاك المعمرين لهذه الأخيرة، والذي يمكن القول عنها أنه انطوى تحت ستار ومبرر المنفعة العامة ومجرد قبول أصحابها بالتعويضات المادية، خاصة وان هذه العملية ستعزز من بناء مراكز استيطانية في المنطقة محور موضوع العنصر الموالي، وأما الأهالي نجدهم كذلك استفادوا من امتيازات عقارية متعددة، سواء بالنسبة للأراضي أو حتى منازل كانت مهجورة منذ حادثة الزمالة لسنة 1843 م، باعتبارهم المقربين من فرنسا وهم من أبناء المنطقة، تمكنوا من الحصول على ممتلكات أرضية عن طريق الامتياز، ومن الأمثلة البارزة نذكر على سبيل المثال لا الحصر: منح سلطات الاحتلال الفرنسي أربع قطع زراعية مساحتها 49أر و20سنتأر بالجهة الجنوبية لمنطقة تيارت للمدعو بوريط جون، والملاحظ أن منح الامتياز كان دائما مدعما بسند ومخطط،[1] في الأخير يتبين أن الاستيطان كان بنوعين، عن طريق المعمرين الأوروبيين وعن طريق الأهالي، فبالضفة الشمالية لمنطقة تيارت، استفاد المدعو بن خالد قادي (ملازم في فرقة السبايس ومزارع بمنطقة تيارت) من مساحة زراعية تقدر ب: 59 هكتار و90 أر بتيارت مرفق هو الأخر بمخطط توضيحي للمساحة الأرضية، بتاريخ 05 ماي 1856م، كما استفاد المسمى إدريس بن الجيلالي وبن عودة بن إسماعيل باعتبار الاثنين مزارعين بالمنطقة بمساحة زراعية تتربع على 02أر و28 سنتأر[2].

إلى جانب هذا تعزز القطاع الاقتصادي بالمنطقة خلال سنة 1851؛ والذي أصبح عاملا مساعدا على التجارة الخارجية بالخصوص إلى فرنسا، فقدرت زراعة القمح الصلب ب:102 هكتار تنتج 17قنطار للهكتار الواحد، والقمح اللين مساحة 25 هكتار تنتج 15قنطار للهكتار الواحد، أما الشعير فتقدر مساحة زراعته ب:70 هكتار والتي تنتج 19 قنطار للهكتار الواحد [3].

أما في سنة 1855؛ ارتفع إنتاج القمح الصلب إلى 22 في مساحة تصل إلى 205 هكتار وعن القمح اللين بمساحة 48 هكتار تنتج 20 قنطار، الشعير بمساحة 120 هكتار تصل الغلة 25 قنطار للهكتار الواحد وفي سنة 1857 فنلاحظ ارتفاع ملحوظ في إنتاج القمح الصلب الذي وصل إنتاجه إلى 29 قنطار للهكتار الواحد في مساحة تقدر ب: 268 هـ، في حين القمح اللين يقدر

1) - C, A, O, M, 3M, 559, ibid.

2) - C, A, O, M, 3M, 559, ibid.

3) - C, A, O, M, 2M181, état de culture puis les années de création, cercle de Tiaret.

إنتاجه ب:59 قنطار للهكتار الواحد في مساحة 25 هكتار[1]، والشعير وصل إنتاجه حـوالي 32 قنطار للهكتار الواحد في مساحة تقدرب: 163هكتار[2]، وذلك بسبب العدد الكبير للامتيـازات التي منحت للمستوطنين في المنطقة، ولكن ما هو ملاحظ في السنوات القادمة تذبذب في مردودية الحبوب الخاصة بمنطقة تيارت، نتيجة الإجراءات التعسفية الذي طبقتها الإدارة الاستعمارية بها(*)

ولما كان موضوع الطرقات يرتبط عضويا بمجمل المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر بصفة عامة وفي تيارت بصفة خاصة، كان لابد من التعرض له، خاصة وان إدارة الاحـتلال ولأجـل إحكام قبضتها على الأراضي الزراعية وتأمين سيطرتها عليها، وجب ربط سياستها بـشبكة مـن الطرق ولهذا ستعزز المنطقة بجملة من الخطوط التي تربطها بمدن كثيرة، والذي يعتبر من ضـمن مشاريعها الكبرى في البلاد خاصة في المنطقة المدروسة، وتحقيقا لهذه الغايـة، أنـشأت مـصالح طبوغرافية مجهزة بمفتشين فرنسيين وأجانب ومهندسين وأعوان إداريين، بلـغ عـددهم بتيـارت 134عام 1860؛ من بينهم 100 فرقة مستقرة والبقية تدرج ضمن الفرق المتنقلة، والـتي أنـشأت خطوط تربط بين سبعة مدن داخلية: تيارت، غليزان، معسكر، فرندة أفلو، ثنية الحـد وعمـي موسى[3]، والتي توزعت على النحو الأتي: الطريق الرابط بين غليزان وتيارت، الطريق الثاني يربط بين معسكر وتيارت عبر فرندة، أما الخط الثالث، يربط بين تيارت ومعسكر مـرورا بتاقـدمت، والطريق الرابط بين تيارت وثنية الحد الذي يعد الخط الخامس، في حين السادس منه، فيربط بـين كل من تيارت إلى افلو، والطريق الأخر يربط بين تيارت وعمي موسى.[4]

فيعتبر الطريق الأول من أهم واكبر مشاريع فرنسا في منطقة تيارت، يبلغ طوله 89 كلـم على نحو الخط الوطني الرابط بين وهران والجزائر، أما مشروع الخط الثاني، فيبلغ طوله 155 كلم والذي برمج في سنة 1868، بدأ العمل فيه انطلاقا من مد طريق يربط بين معسكر وكاشرو على طول 20 كلم، في حين بقية الطرق الأخرى بقيت تحت سيطرة إدارة الاحتلال والاسـتيطان في

---

1) - C, A, O, M, 2M181, état de culture puis les années de création, cercle de Tiaret.

2) -ibid.

*)- للمزيد من التفاصيل عن الوضع الاقتصادي في منطقة تيارت وتطور إنتاج الحبوب بأنواعها ينظـر : C, A, O, M, 2M181)

3) -G.G.A, rapport générale, deuxième partie, commission de plans, département de Mostaganem, dépôt d'archive d'Oran, pp : 110-111.

4) - C, A, O, M, 2M181, notice historique et statistique de Tiaret.

المنطقة، حتى يسهل على المعمرين نقل محاصيلهم الزراعية داخل الأرياف، ودائما في إطار تعزيـز شبكة الطرق بمنطقة تيارت، تعددت البرامج الإنمائية التي عرفتها منطقة السرسو.

كما تم إنشاء الهياكل القاعدية لتسهيل تعميرها، ومن هذه المشاريع الإستراتجية مد طـرق المواصلات حيث تكفلت مصلحة الطرقات بوضع العديد من المشاريع التي تربط أجزاء المنطقـة، منها الأصنام، وبوغار، افريفيل، تيارت كما رافق هذه المشاريع بناء مجموعة مخابئ[1]على الطرق، بحيث تقطع المنطقة طوليا وعرضيا، فقد أشارت المحاضر[*]إلى بناء 27 مخبأ بين تيارت وأفريفيل بل تناولت حتى دواعي إنجازها[2]، وقامت شركات السكة الحديدية بربط سهل الـسرسو بخطـوط السكة، منها الخط الرابط بين غليزان والجلفة، بحيث تناولت الدراسات أهميـة ربـط المنطقـة بالمواصلات، تسهيلا لعملية الاستيطان فجاء في تقرير نشر لسنة 1880:" لكي ينتقل معمر مـن الجزائر إلى السرسو يستغرق يوم في القطار، وسبع ساعات في العربة، وخمسة عشر سـاعة علـى البغال"[3]، لكن بعد تسع سنوات نشر تقرير، أكد فيه استحالة مد خط حديدي بـين الأصـنام والسرسو رغم حيوية المنطقة، و قدم المبررات الطبيعية التي تعيق إنجاز المشروع فقـد جـاء: "إن طبيعة السطح الوعرة وصعوبة المناخ تشكل حاجزا لمد خط حديدي بين الشلف والـسرسو"[4]أ فمجرد دخول فرنسا إلى منطقة تيارت، تبين في تقاريرها العديدة، غنى المنطقة بمصادر المياه[5]، من أبار التي يبلغ عمقها 800 متر، دون أن ننسى المجاري المائية، ومن أهمها "وادي تيـارت"، "وادي زراق" و"وادي مسقيدة"[6]، إلى جانب تركز العديد من الحدائق، والتي تبلغ مساحتها ما بين 60 إلى 33هكتار، مما أدى بإدارة الاحتلال الفرنسي جعل مسألة الاستحواذ علـى المـصادر المائيـة والسيطرة عليها جزء من مخططاتها، ويمثل الجدول الإحصائي التالي[7] نتائج السياسة المائية المطبقة

---

[1]) - ينظر ملحق خاص بالمخابئ في منطقة السرسو رقم (03)

[2]) - C, A, O, M, 2M181.

[*])- يمكن الرجوع إلى العلبة رقم (H208) للمزيد والنظر أكثر في تفاصيل هذه المشاريع.

[3]) - C. Lamboly , une colonie franc-comtoise en Algérie au XIX siècle, Académie des sciences et lettres de Montpellier séance du14/6/2004 conférence 3870, p:13. "

[4]) - Claude Brezinski, Andre Louis Cholesky Laboratoire d'Analyse Numérique et d'Optimisation UFR IEEA M3, Université des Sciences et Technologies de Lille, p:48

[5])- C, A, O, M, 2M181, notice historique et statistique, op cit.

[6]) - Farbre , op cit .

[7]) -C, A, O, M, 2M181, état de culture puis les années de création, cercle de Tiaret.

في تيارت، من خلال ما حققه الاستعمار الفرنسي من توسيع الأراضي الزراعية بالمنطقة، خـلال مدة ست سنوات بفضل مصادر المياه المختلفة.

توسيع الأراضي الزراعية بمنطقة تيارت واستخداماتها (1856-1862)

المنتجات الزراعية		1856	1862	معدل الزيادة
القمح الليـن	المساحة بالهكتار	253هكتار	352 هكتار	1¡39
	الإنتاج بالقنطار	13 قنطار	18 قنطار	1¡38
القمح الصلب	المساحة بالهكتار	56هكتار	80 هكتار	1¡42
	الإنتاج بالقنطار	25 قنطار	15 قنطار	0¡6
الشعيـر	المساحة بالهكتار	163هكتار	173 هكتار	1¡06
	الإنتاج بالقنطار	32 قنطار	21 قنطار	0¡70

يكشف لنا الجدول[1] مدى تطور الأراضي الزراعية بتيارت، ويمثل دليلا علـى اهتمـام الإدارة الاستعمارية بهذا الميدان، وبنجاح السياسة المائية المطبقة، ولكن هذا لا يمنع من ملاحظـة تذبذب في مردودية الإنتاج وذلك لتواصل عملية الاستيلاء على الأراضي بتيارت خـلال سـنة 1863¡ خاصة وان الفكر السياسي الفرنسي خلال الفترة المدروسة وجد تعبيرا له فيما سـيأتي في التشريعات التي سنعالج أهمها والتي طبقت على بعض أهالي منطقة تيارت، والتي كانت مرتبطـة أوثق الارتباط بالهجرة والتعمير، وترمي جميعها إلى تحقيق هدف أساسي هو مصادرة أراضي مـن غير تمييز بين أنماط ملكيتها.

وبعبارة أخرى، فان التشريعات العقارية ساعدت كثيرا على تقوية الهجرة والاسـتيطان، وإن الفلاح الجزائري حسب هذه القوانين لا يصلح الا للعمل في الجيش وهو الأمر الذي اجبر عليـه باستثناء الدور العسكري الذي أجبر على تقمصه والبناء الماهر الذي تحتاج إليه فرنسا، يجـب أن يفسح المجال أمام الفلاح الأوروبي الذي عبر عنه قانون سيناتوس 1863.

[1]) - C, A, O, M, 2M181, l'agriculture de Tiaret, 1914.

قانون سيناتوس كونسلت 22 افريل 1863 :

يعرف في الكتب التاريخية بالقانون المشيخي وهدفه الرئيسي تفكيك القبيلة[1] والذي جاء فيه جملة من المواد والتي وردت في النشرات الرسمية[2]، نذكر البعض منـها، أولا معرفـة ديانـة المسلمين وملكيات العرب من جهة تحديد كافة التغيرات والأمور الجديدة على صعيد الحالة المدنية للأهالي والأوروبيين ما أكده القرار الرابع عشر[3]، كما جاء في القرار الثالث، عدم تحديد أراضي القبيلة، وفصلها عن القبائل الأخرى، واعتماد الملكية الفردية في داخل القبيلة، والتي تتكون مـن عناصر دخيلة أو من قبائل أخرى لجأت إلى القبيلة لأسباب مختلفة إلى جانب ضرورة تطبيقه على أراضي الأهالي، كما يهدف كذلك إلى استقبال الأوروبيين في إطار تعمير الجزائر.[4]

ففي رسالة وجهها الإمبراطور نابليون الثالث إلى الحاكم العام بيليسي*(pilisser) بتاريخ: 06-02-1864جاء فيها:« ...العرب فلهم تربية الخيل والأنعام ...أما النصارى المميزون بالفهم و النشاط في العمل فلهم جلب المنافع من الغابات و المعادن...»[5].

---

[1])- M bennoune , El Akbia un siècle d'histoire algérienne 1857 -1975, Alger,86,p:59

[2])- انظر مواد القانون B,O,A, 1863,P: 106

[3]) - C, A, O, M, service historique de la défense, département terre, H208, 1870, commission de l'Algérie, sénatus- consulte, réglant la constitution de l'Algérie, du article de 27 de la constitution de l'empire, 5 mai 1869, p: 05.

[4]) - C, A, O, M, service historique de la défense, département terre, H208, projet de S, C sur l'Algérie.

*)- Aimable Jean Jacques Pélissier duc de Malakoff (1794-1864) فرنسي الأصل ، درس في الأكاديميـة العسكرية "la Fleche " شارك في حملة اسبانيا في سنة (1823) وحملة الجزائر في سنة (1830) كان قائد للأركان حـتى حرب القرم ، أباد قبيلة جزائرية بأكملها في الظهرة بالقرب من مستغانم بتاريخ 18 جوان 1845، كما عـين في أعقابهـا حاكما عاما للجزائر الجنرال بيجو في رتبة جنرال، إضافة إلى انه شارك في حرب القرم سنة 1855، كما عين عضو في مجلس الشيوخ عقب عودته إلى باريس، تقلد منصب سفير لفرنسا بلندن بتاريخ (1858 – 1859)، وفي سـنة 1860 عـين حاكما على الجزائر، وتخليدا لاسمه بعد وفاته تم تسمية مركز استيطاني نسبة له بمستغانم (صيادة)، ينظر: عدة بـن داهـة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 – 1962، الجزء الثاني، طبعة خاصة مـن وزارة المجاهدين، ص: 491

[5]) - زوزو عبد الحميد ، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1900، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتـاب، 1984، ص:153.

مما تكشف لنا نية الإمبراطور الذي كان يرغب في جلب "الرفاهية والحضارة" للجزائريين، فانـه يكون مع ذلك قد نظر إليهم بعين الاحتقار عندما قسم المجتمع إلى فئتين، فئة خاملة حسب رأيـه تمتهن حرفة الرعي وتربية الماشية والخيول(حرفة الرعي)، كما حدد أماكن إقامتهم بل وعليهـا أن تتبع قطعانها في السهوب، بينما خص الأوربيين بالنشاطات الفكرية واستغلال الثـروات الغابيـة والمنجمية، إلى جانب انه أوكل لهم مهمة التعمير والبناء[1]، وهناك تقسيم ثان من خلال الرسالة؛ حيث استعمل مصطلح العرب بمفهوم ثقافي ديني، ويتجلى ذلك عندما يستعمل مصطلح النصارى في التعبير عن الأوربيين، وتتضمن الرسالة تحديد إقامة كل مجموعة من المجموعتين، فالأولى مادمت رعوية فهي غير مستقرة تمارس نشاطها في السهوب وأطراف الصحراء متنقلة، أما الثانيـة فهـي مستقرة في الشمال ويمثلها العنصر الأوربي وكان العامل الديني هو الذي حدد وسيلة التحول مـن الحالة الأولى إلى الحالة الثانية[2].

وبعودة نابليون إلى فرنسا ودراسته مجموع التقارير والاقتراحات الخاصة بالتعامـل مـع الأهالي المسلمين وتأثره بالأفكار السانسيمونية(*) ذات الطابع الاشتراكي الطوباوي، وجد نفـسه حسب تقارير المقربين منه ملزما بإدخال تعديلات على المراسيم السابقة، لكي تتمكن فرنـسا في هذه المرحلة من التحكم في الوضع الفلاحي، لأن أدواته هم الجزائريون الممارسون لهذا العمل، وأن فرنسا بأمس الحاجة إلى توفير المحاصيل الزراعية ودخول حركـة رؤوس الأمـوال[3]، وبالتـالي فالقانون سوف يعكس لنا تصورا "ليبراليا" في ثوب عسكري بصدور القرار المشيخي الجديد، اعتبر هذا القانون من أهم الوثائق الخاصة بالريف الجزائري، لأنه ارتبط بعدة عمليات مـست الفـلاح الجزائري وملكياته العقارية وألزمته بإجراءات عديدة [4]، وكان هذا تشريعا يخـضع لطموحـات

---

1)- C, A, O, M, H208, 1870, service historique de la défense, département terre, p: 08.

2)- زوزو عبد الحميد ، المصدر نفسه.

*)- هي حركة سياسية واجتماعية فرنسية، ظهرت في النصف الاول من ق19، تضمنت أفكارا اشتراكية، ينظر: Berlette, op cit,p :255

3) - Estoublon(R), Lefebure (A), Code Annoté de L'Algérie, T1 , 1830-1895 , Adolphe Jourdan ,1896 , pp : 269-276.

4) - Sarri (DJ), Dépossessions des fellahs, S.N.E.D, 1975, pp : 23-24.

أصحاب رؤوس الأموال الضخمة، بدفع العقار الجزائري نحو السوق العقارية لتتم عمليات التبادل بعد أن ينفذ إليها الأوربيون، ولن يتم ذلك إلا بإدخال نظام الملكية الفردية عليها.[1]

إن الهدف الأساسي والرئيسي الذي جاء من اجله قانون1863 تقسيم الملكيات الجماعيـة العرشية، والاعتراف بالملكية الفردية للمعمر الأجنبي وليس لمنفعة سكان المنطقة، كما ادعت بـه السلطات الفرنسية الاستعمارية.

ما توضحة بعض مواد [2] القرار المشيخي التي وردت في النشرات الرسمية الفرنسية:

المادة الأولى: تعتبر القبائل الجزائرية مالكة للأراضي التي كانت تتمتع بها بشكل دائم وتقليدي بأي عقد كان، وتثبيت جميع العقود الناتجة عن المعاملات بين الأهالي والدولة، والذي يكـشف لنـا إدخال نظام الملكية الفردية مباشرة داخل أراضي القبائل، بهدف إضعاف دور قادة العرب والقبيلة معا، والمادة الثانية، تتداول إداريا ما يلي[3]:

- تحديد أراضي القبائل (حصرها)

- توزيع الأراضي مابين مختلف الدواوير، لكل قبيلة في التل، وفي المناطق الأخرى الفلاحية حيث ستحتفظ بخصائصها كملكيات بلدية.

بمعنى أن القرار حدد ثلاث عمليات رئيسية وهي: تحديد أراضي القبائل و توزيع الأراضي المحددة إلى دواوير، بالإضافة إلى إدخال نظام الملكية الفردية داخل ملكية دوار.

ولذلك يبقى قانون السناتوس كونسلت بتاريخ 22 أفريل 1863 بأبعاده ونتائجـه، أحـد التشريعات الاستعمارية التي مهدت لأفكار جديدة، تهدف إلى فرنسة العقار الجزائري بصفة عامة ومنطقة تيارت بصفة خاصة، وبصدور المراسم الأولى لتطبيق تلـك القـوانين، سـتجد الإدارة الاستعمارية نفسها في مواجهة مشاكل عديدة، تحاول التصرف إزاءهـا بمختلـف التـصورات واستخدام وسائل وطرق عديدة لإنجاح مشروعها الاستعماري في المجال العقاري، ولهذا عـرف القطاع ألوهراني ومنطقة تيارت العديد من عمليات التطبيق للقانون الإمبراطوري1863؛ بهـدف

---

[5]) - Yacono (x), op cit, P: 161.

[2])- أنظر مواد القانون في: Bulletin Official Du gouvernement l'Algérie, Alger , 1863, p :106

[3]) - C, A, O, M, H208, service historique de la défense, département terre.

تثبيت أقدام المستوطنين فوق أراضي الجزائريين حالها حال باقي العمالات، مـن خـلال نفـس الإجراءات والعراقيل.

نماذج من تطبيقات قانون سيناتوس كونسلت 22 افريل 1863 بمنطقة تيارت:

تنفيذا لهذا القرار نفذت إدارة الاحتلال الفرنسي خطة اشتملت على عنصرين مهمين: تحديد أراضي القبائل ومن ثم توزيعها على الدواوير في شكل ملكيات صغيرة فردية(*)، والقيـام بهـذه العملية بمثابة فرز وتصفية لأراضي العرش، حتى يتم وضع حد للملكية المشاعية عن طريق إنـشاء الملكية الخاصة مثبتة بسندات غير قابلة للنزاع أو الطعون، وتحقيقا لهذه الغاية سوف نذكر أمثلـة على سبيل المثال لا الحصر، عن تلك العمليات التي مست العديد من قبائل منطقة تيارت خـلال سنة 1863 والمبينة في الجدول التالي رقم" 4":[1]

اسم المنطقـة	اسم القبيلـة
بلدية تيارت المختلطة (تيارت – أفلو)	- قبيلة أولاد خليفة - قبيلة شاوية أولاد بلحسين - قيبلة أولاد زيان ومرابطين غرابة - قبيلة أولاد زيان شراقة - قبيلة زاوي وأولاد بوعفيف - قبيلة أولاد عدو وأولاد خالد - قبيلة بن مختار

إضافة إلى قبائل أخرى والتي تأخر بها تطبيق قانون 1863 حتى في تاريخ 22 مارس 1865 وهي على النحو الأتي: "بني مدين"، "أولاد شريف الشراقة"، "أولاد شـريف الغرابـة"، "أولاد

*)- وهي في نظر المستوطنين الفرنسيين تشريعات استبدادية ، تهدف إلى القضاء على الروح الجماعية لمجتمع القبيلة المبني على أساس الروح الجماعية، وتبقى في نظر هؤلاء المستوطنين قانونا معاديا لطموحاتهم، لأنهم كانوا دائما ينتقدون فكرة "المشاعة" المعيقة للتطور حسب ما جاء في طيات القانون الفرنسي ، ينظر :

(ch.R), Agéron les Algerians Musulmans, T1 ,op cit, p :72

1)- GGA, Expose de la situation général de l'Algérie, Présenté par Lutaud , 1914, p :555.

مسعود"، "أولاد خالد الشراقة"[1]، كما نجد قبائل أخرى مسها قانون 1863 حتى في سنة 1867؛ تمهيدا لإنشاء المركز الاستيطاني بتيارت، وعلى سبيل المثال فنذكر: في منطقة تيارت طبق القانون على قبيلة "أولاد عويسات"؛ فعين لذلك الجنرال ليبرت[*] الذي قسم العملية إلى مرحلتين: الأولى منها تحديد إقامة القبائل ورسم خرائطها ورصد العيون والمصادر المائية من أودية ومجاري، ومن ثم تحرير تقرير مطول عن القبيلة[2]، والذي جاء فيه: تعريف القبيلة وتحديد موقعها، فتعد القبيلة السابق ذكرها من أوائل القبائل ذات الأصول البربرية في المنطقة والمعروفة بامتلاكها لأراضي ملك، والتي كانت خاضعة لفرنسا منذ سنة 1843؛ والتي شاركت في مقاومة بو معزة سنة 1845؛ إلى جانب ذكر مساحة الأراضي التي كانت تحت سيطرتها والتي تبلغ 21؛355هكتار و60 أر و45 سنتآر، يضم هذا الإقليم 1؛360 نسمة ساكن، كما أنها ذات ملكية فلاحية تقدر ب: 144 هكتار و6 أر بالنسبة لأراضي الحدائق[3]، ولتسهيل العملية تم إنشاء مجلس القبيلة يعين فيه القايد بقرار من طرف القائد العام للإقليم كما يعين نفس القرار أعضاء المجلس، بالمقابل تكفل حاكم القسم بالإقليم بتعيين قايد الدواوير وذلك بقرار صادر عنه ويعمل رئيس المكتب العربي بمنطقة ثنية الأحد بتنفيذه، لذا تطلبت عملية رسم الحدود مشاركة قياد القبائل وتوقيعهم فقط على رسم حدود القبيلة [4]، أما المرحلة الثانية، فسعت إلى تفتيت القبائل وهذا ما عرفته أيضا قبيلة أولاد عويسات، حيث عمل على تقسيمها إلى فرعين، واستعمل نفس الخطوات في تحديد القبائل، فأنشأ قيادتين؛ واحدة للقبيلة الأم وأخرى للقبيلة الجديدة، الأولى تحت اسم قبيلة "أولاد عويسات" والأخرى قبيلة "بو شدو" [5]، تحوز ملكية تقدر ب: 13؛488 هكتار و 8أر و 40 سنتأر وعدد سكانها 856 نسمة، في حين الثانية مساحتها : 7؛866 هكتار و71 أر، يسكنها 504 ساكنا[6] مما يبين نية المستعمر من وراء تطبيق هذا القانون، كما أن العملية أقرت بضرورة تقسيم أملاك بو شدو،

---

1)- B, O, G, A, premier partie, neuvième année, 1865, Alger, 1865, dépôt d'archive d'Oran, p : 67.

*) - ليبرت، (ارنست أندريان) ، جنرال فرنسي، ولد سنة 1810 التحق بالجزائر، و شارك في إخماد ثورة بني مايدة 1864 ، توفي سنة 1879، للمزيد من التفاصيل عد إلى : N f aucon ,(op cit), pp:398- 402

2)- B, O, G, A, septième année, 1867, Alger, 1868, p : 866.

3)- M, A, journal officiel, mercredi 29 septembre 1869, 9 année, n° ; 2

4)- B, O, G, A, ibid.

5) - M , A, op cit.

6) - M, A, ibid.

إضافة إلى ألأملاك العامة ما يقدر ب: 99 هكتار و57 أر، كما تم اقتطاع مساحة 6 هكتـارات بهدف إنشاء طريق يمر من تيارت إلى ثنية الحد.[1]

نستخلص مما ذكر سابقا، كيف كانت تتم عمليات التحديد والتقسيم الخاصـة بقـرار السيناتوس كونسلت 22 أفريل 1863؛ والتي نلخصه بما يلي: صدور المرسوم المحدد للقبائل الـتي تخضع للعمليات المنصوص عليها في قرارات مجلس الأعيان بناءا على اقتراح الحاكم العام وتقريـر وزير الحربية، فتباشر العمليات بواسطة لجان إدارية يعينها الحاكم العام ويساعدها في عملها تراجمه وأعوان من مصلحة الطبوغرافيا بالإضافة إلى أهالي يعينون من قبائلهم، بجمع كافة المعلومات عـن تلك القبائل، في تقرير إجمالي مرفق بمذكرة وصفية للحدود ومحاضر تنصيب علامـات الحـدود، فيرسل التقرير إلى الجنرال أو عامل العمالة حسب نوع الإقليم سواء كان مدنيا أو عسكريا، فيتم الرد على هذا الأخير بتقرير أخر مصحوب بمخطط تفصيلي حول نظامية العمليات، وبعد المباشرة في تقسيم حدود القبيلة، يتم المصادقة عليها من قبل الحاكم العام مع تحديد كل دوائر وتقسيمات الأراضي إلى ملكيات فردية، أملاك الدومين (الأملاك العامة)، الأملاك الجماعية الرعوية.[2]

والغرض منها، تحديد وتوضيح الطابع الخاص أو الجماعي للملكية الأهلية وفصل الأراضـي التابعة للدولة (أملاك الدومين أو العامة) والأراضي التي ستتوزع على الدواوير لأغراض فلاحيـة مختلفة، وبالتالي تتضح أملاك الدولة والمعمرين فيما بعد ورغم ذلك، يجب الإقرار بان الإجراءات التطبيقية للقرار المشيخي قد اصطدمت بعقبات منها اشتراك عدد كبير مـن القبائـل في الملكيـة الأرضية الجماعية الواحدة، أبرز ما ميز قبائل البلدية المختلطة (تيارت- افلو).(*)

وتحقيقا لهذه الغاية لم يبق لإدارة الاحتلال الفرنسي سوى توفير الأمن والحماية للكولون في المنطقة، بعيدا عن المدن الأهلة وعن المواصلات في نقاط لا تسمح أحيانا بتوفير الأمن، وعلى هذا

---

1)- ibid.

2)- A.D.C.CH, non classer.

*)- ينظر الجدول الخاص بقبائل منطقة تيارت في فترة البلدية المختلطة فمثلا أولاد خليف تنطوي تحتها العديد من القبائل إلى جانب أولاد الأحرار بقسميها الشراقة والغرابة ، للمزيد من التفاصيل ينظر: B, O ,A , 1863

الأساس ستعمل السلطات الفرنسية على بناء المسالك الضرورية بإنشاء السدود، فعلى سبيل المثال لدينا السد الفاصل بين "وادي نهار واصل" و"وادي بو شيف".[1]

ودائما في إطار الإجراءات التطبيقية للقرار المشيخي (1863)، نجد نفس المثال ينطبق على أولاد خليفة والذي طبق عليهم مرتين[**]، الأولى بتاريخ 20 نوفمبر 1863؛ حيث موطن القبيلة في البلدية المختلطة فرندة، والتي تبعد عن مركز تيارت ب:20 كلم[2]، والتي تضم كل من "أولاد بو رنان"، "الدهالسة"، "الحورات"، "حسينيات"، "الشاوية"، "بني وجدل"، "أولاد سيدي بن حليمة"، "أولاد سيدي خالد الغرابة"، "أولاد سيدي خالد الشراقة"، ويحدها من الشمال الشرقي دوار "أولاد بن عفان"، والتي تلتقي مع حدود قسم الجزائر، أما شرقا نجد قبيلة "أولاد زيان" و"أولاد خالد الشراقة"، ومن الجنوب، قبيلة "أولاد خليفة الشراقة"، ومن الغرب نجد قبيلة أولاد بورنان وأولاد بو زيري[3]؛ وبهذا الموقع يشكل الإقليم رقعة جغرافية جد إستراتجية تكسو سطحها سلاسل جبلية متوسطة الارتفاع على ظهر القسم الغربي من سلسلة الأطلس التلي، كانت تعمل على حراسة رؤساء المعمرين الفرنسيين في المناطق التابعة لجنوب القطاع الوهراني.[4]

كما يشير التقرير أن أبناء القبيلة كانوا يعتمدون في نشاطهم على تربية الماشية، الدواجن، وعلى زراعة الحبوب إلى جانب زراعة الحمضيات، ويضيف التقرير انه حسب الإحصائيات يقدر عدد سكان القبيلة 1673 ساكن، يتوزعون على مساحة تقدر ب: 20؛829 هكتار، تمتلك القبيلة 5000 هكتار أراضي ملك في السرسو، في حين البقية ذات طابع فلاحي، تعرف بالسبيقة[*](sabga).[1]

---

1)- ibid.

**) - في حين الثانية كانت بتاريخ 20 نوفمبر من سنة 1894 حسب ما جاء في المنشورات الرسمية لسنة 1894

2) - B, O, G, A, trente – deuxième année, 1892, Alger, dépôt d'archive d'Oran, 1893, p: 30.

3) - F, accardo , répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie dressé d'après les documents officiel sou la direction m myre , 1879 , p : 144.

4)- Mener ville, dictionnaire de la législation Algérienne, 2eme v, 1860-1866, Alger, paris, 1877, pp : 16-18.

*) - وهي أراضي ذات طابع جماعي تخضع لملكية القبائل ، فهي الأرض المشاعة التي تستغل جماعيا ، تسمى كذلك في القطاع ألوهراني وبأراضي العرش في الشرق ينظر : Gouvernement générale de l'Algérie , ,commission de la protection de la propriété indigène, Alger, 1899 , pp: 6-7

وفيما يتعلق بتطبيق القانون المشيخي 1863 وتقسيم القبيلة إلى دواوير، اقترح الحاكم الإداري ببلدية فرندة الإبقاء على الإقليم في شكله الطبيعي في صورة ملكيات جماعية موحدة ، بهدف التحكم في تسييره حيث قدمت اللجنة الإدارية في اجتماعها بتاريخ 20 نوفمبر 1865 مشروعا يقضي بتقسيم القبيلة إلى قسمين هما: دوار واحد "لوهو" والذي يبلغ عدد سكانه 1¡673 سكنا، والبقية ضمت إلى أملاك الدولة، وهي على الشكل التالي: الغابات 11¡470 هكتار وبنايات أخرى بمساحة 119هكتار و30 أر، إلى جانب العديد من السكنات التابعة للبلدية بمساحة 1¡271 هكتار و54 أر وجماعة من الملكيات الجماعية بمساحة 7¡445هـ و77 أر، إضافة إلى أملاك الدولة والتي قدرت ب: 523 هكتار و11 آر[2]¡ مما نتج عنه تناقص في المساحات الأرضية بالنسبة لقبائل المنطقة، فعلى سبيل المثال تقلصت مساحة قبيلة "أولاد عويسات" من 21¡355 هكتار و60 أر و45 سنتآر إلى 13¡488 هكتار و89 آر و40 سنتآر.[3]

إن ضمان السيطرة للعنصر الأوروبي الفرنسي من خلال امتلاك الأرض، والحد من إمكانية الأهالي من الحصول على عقود ملكية، هو الهدف الأساسي من وراء هذا القرار الذي يندرج ضمن دائرة مخططات إدارة الاحتلال الفرنسي في المنطقة، إن مثل هذه القوانين تعكس جميعها، الفلسفة السياسية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر مما جعلها عاملا أساسيا في إضعاف القبيلة والحد من نفوذها ومتلكاتها، خاصة وانه احتوى أغلب أشكال وصيغ النهب، ولهذا ثبت هذا القرار انه جزأ القبائل إلى أقسام تدعى دواوير، كما ضم اغلب الأراضي الشاغرة والتي خضعت للإجراءات التطبيقية لقانون 1863 إلى قطاع الدولة، مثل ما حصل لقبيلة أولاد خليفة، فضمن بذلك احتياطا ثمينا لتوطين الأوروبيين، تمهيدا لإنشاء المراكز الاستيطانية بالمنطقة، التي ستلعب دورا مهما في توسيع الاستيطان مدنيا.

---

1)- M. A, op cit.

2)- B, O, G, A, trente – deuxième année, 1892, p: 10.

3)- B, O, G, A, ibid.

2- بناء المركز الاستيطاني والقرى الفلاحية المجاورة:

أ- المركز الاستيطاني العسكري تيارت:

بسقوط الزمالة سنة 1843 انطلقت سياسة فرنسا القائمة على توطين الأوروبيين، بغـرض جعلها حقل استيطاني، فقد عرفت البلدية المستحدثة ثلاث عناصر أساسية من المستعمرين فرنسية، فئات أسبانية و يهودية، وهم من بين أصول أوائل الكولون الذين سكنوا المنطقة خـلال حـرب 1843؛ إضافة إلى توفر المنطقة على البنية التحتية و تنوعها، من بداية قرن العـشرين، متمثلـة في الكثير من مخازن الحبوب[1]، المنتشرة بين تيارت والمراكز الأخرى، كما عرفت المنطقة العديد من المشاريع، مثل مد الطرق و بناء الجسور بين مختلف الجهات، ووقوع المنطقة وسط عدد كبير من القبائل، كقبيلة "الأحرار" بفروعها "الشراقة" و"الغرابة" و"أولاد سيدي خالد"، إلى غير ذلك.[2]

كانت نواة المركز العسكري لتيارت هي ثكنة عسكرية في سنة1843؛ تتسع ل84 جنـدي و06 ضباط و مستشفى ل80 سريرا ومخزن للأدوات[3]، لتتوسع سنة 1844م، فأصبحت الثكنة تحتوي على 628 جنديا، منهم 300 رجلا مكلف بالمدفعية و 70 راكبي الخيل و55 رجلا مكلفا بالمعدات و27 عاملا إداريا[4]، حيث تبلغ المساحة الإجمالية للإقليم العسكري 241600هكتار، تتـوزع إلى 168450هكتار أراضي زراعية و73150 غابات[5]، غير أن المعمرين ومن خلال تصريح مؤقت من قبل قائد المقاطعة الجنرال لامورسير ساهموا في اختيار مكان التأسيس والبناء، بحيث يتضمن تشيد طاحونة مائية[6] و21 منزلا و3 مرابط الخيول و زريبتين بقيمة 100600 فرنك، وجمعيـات مـن اليهود والعرب والأوروبيين[7]، وفيما يخص إقامة البنية التحتية وتهيئة المنطقة لاستقبال المستوطنين، قام بالاستيلاء على الأراضي وإنشاء ورشات تقوم بتصنيع مواد البناء والحدادة لتهيئـة الظـروف

1) - C, A, O, M, 2m 181.

2) - C, A O, M, 2m 181, ibid.

3) - C, A, O, M, 2m 181, Tiaret notice historique et statistique, op cit.

4) - Aguilla, op cit .

5) - C, A, O, M, 2m 181, Tiaret notice historique et statistique.

6) - M, A, journal officiel de la colonie, 13 février 1858, n° 1.602, muser de zabana, Oran.

7)- Notice sur expéditions, op cit , p : 22 .

للمستوطنين، ولحل مشكلة المياه عِمل على بناء أول حاجز مائي وتطلـب ذلـك قطـع ألاف الأشجار، ونقل الرمال من منطقة "واد نهار واصل"[1].

ولأجل ذلك بدأ بمشروع الجندي الفلاح[*]، فاستنفر قبائل المنطقة وقسمها إلى مجموعات مختلفة المهام، تعمل على قطع الأشجار على شكل أعمدة، وثانية دورها البناء، وثالثة نقل الغرين، ورابعة ربط الأشجار، والأخرى فتل حبال بطول خمسين ألف متر إلى جانب نقل الرمال الرقيقـة لسد الفجوات بين الأعمدة الخشبية[2]، لذلك ستعمل الإدارة المحلية علـى تـشجيع الاسـتيطان بالمنطقة، ببناء المنازل والمزارع، وتوفير الأماكن لها لتتم فيما بعد منح عقود الأراضي للمعمرين، وتوسيع محيط الدائرة، إلى جانب توفير المياه ومد الطرقات وربط المدينة بكل من غليزان كأقرب نقطة إليها، مستغانم، معسكر، ثنية الحد، افلو وعمي موسى.[3]

وخلال هذه السنة، استقر بتيارت 104 ساكنا، من بينهم 18 فرنسيا و20 أجنبيا(مجهولـة الأصل)، في حين يقدر عدد الأهالي 66 ساكنا، يتوزعون نحو 88 رجلا، 10 نساء و04 أطفال[4]؛ وإلى غاية عام 1845 نجد سكان المنطقة يتألفون من 30 فرنسيا و اسبانيا و3 ايطاليين و28 مـن جنسيات غير معروفة و82 أهلي، أما عام 1846، بلغ سكان المنطقة 190 ساكنا، منها 53 فرنسيا و93 من الأهالي، يسكنون في الخيم والأكواخ بما فيها 141 رجلا و29 امـرأة و20 طفـلا [5]، و بتاريخ 2 أكتوبر1847، أعلن مكتب الاستيطان بمنطقة تيارت عن قدوم فئة من الأجانب بصفتهم عمال لحراسة المنطقة، في يوم 1 نوفمبر من نفس السنة، وصل عمال أسبان لإتمام إصلاح الأراضي خاصة وإنهم يتميزون بالخبرة والمهارة وصناعة القرميد، والى غاية هذه السنة من الاحتلال الفرنسي نجد أن سكان تيارت يتكونون من عمال وبنائين وبائعين في الأسواق[6]، وفي نفس الوقت يمتهنون

---

1) - Fabre, op cit.

*)- مشروع استعماري يقوم على الاستعانة بالعسكريين في تعمير المنطقة من مختلف الأجناس والفئات للمزيد عد إلى:
Bugeaud, La colonisation officiel de 1871-1895, éditeur comité Bugeaud Tunis, 1928, p p:26-27

2) -X avier, Yacono, op cit, p: 131.

3) - C, A, O, M, 2m 181, Tiaret notice historique et statistique.

4) - C, A, O, M, 2m 181, état de population par années depuis la création, centre de Tiaret

5)- Aguilla, op cit , p : 56.

6)- Fabre, op cit, p: 302.

الزراعة والاهتمام بالحدائق، ليرتفع عدد سكان تيارت من الأوروبيين في نفس السنة، إلى 223 شخصا، من بينهم 60 فرنسيا،62 يهوديا،7 سوسرين،53 اسبانيا، 15 اسبانية و3 مالطيين، في حين نجد أن عدد الأهالي يتكونون من 26 مغربيا و15 مزابيا و97 يهوديا و45 امرأة لم تذكر أصولهن و152 رجلا و26 طفل، فالمجموع 101[1]؛ ليرتفع عدد الفرنسيين إلى 181 و86 أجنبي و154من الأهالي لسنة 1848 أما في السنة الموالية، توزع بتيارت 524 ساكنا، فيها 230 فرنسيا، و111أجنبيا و183من الأهالي، والسنة التي بعدها وصل عدد الكولون الفرنسيين إلى 274 والمهاجرين الأجانب 135 في حين الأهالي213؛ بحيث وصل المجموع الإجمالي للسكان 622 ساكنا، تتوزع نحو 455 رجلا و105 امرأة و62 طفل.[2]

والى غاية هذه الفترة، كانت تيارت عبارة عن إقليم عسكري تتم فيه التجهيزات لأي عملية عسكرية في المناطق المجاورة سواء في القطاع الوهراني أو في الجزائر العاصمة، مما يظهر لنا انه لا يوجد أي تصريح بالتأسيس والتوسع في المنطقة، فسبق وأن أشرنا، بأن منطقة تيارت قد تأخر بها الاستعمار، لأسباب طبيعية وعسكرية، لكن ذلك لم يمنع قادة الاحتلال من وضع خطط إستراتيجية لاحتلالها، و جعلها قاعدة أمامية للتوسع بالمناطق الصحراوية، حيث اكتسبت منطقة تاقدمت و من بعدها تيارت مكانة هامة لدى مهندسي الاستيطان الفرنسي، بدليل قدوم فئات أجنبية بهدف الاستقرار بالمنطقة، خاصة إذا رجعنا إلى موضوع الاستيطان بتيارت، انطلاقا من سنة 1844 حين بدأت تطبق السياسة الفرنسية[3]، و لهذه الغاية عمل لاموسير على توفير جميع الإمكانيات لبداية بناء المستوطنة الجديدة بتيارت.

إن أفواج المعمرين الأجانب لم تتوقف، بدليل قدوم تلك الفئة، مما يعزز السياسة الاستيطانية الفرنسية المطبقة في المنطقة، ويؤكد المشروع الاستيطاني فيها، مما يظهر لنا أن ظاهرة الاستيطان الأوربي في الإقليم العسكري كانت بها محتشمة إلى غاية سنة 1860، والتي كانت تتوسع تدريجيا وتتقدم بشكل تصاعدي، ولكن بالرغم من ذلك وإلى غاية هذه الفترة، تيارت عبارة عن مركز عسكري في ضيعة صغيرة فلا هي مركز زراعي ولا هي مركز مدني، حيث تم منح امتيازات لعدد

1) - C, A, O, M, 2m 181, état de population par années depuis la création, centre de Tiaret.

2) - C, A, O, M, 2m 181, ibid.

3) - Xavier Yacono, op cit, p : 129

كبير من الكولون، فأبرز مثال لأحد المعمرين والذي استفاد من هذا الإجـراء، يـدعى الـسيد كوربرت مرفق بمخطط تفصيلي.[1]

أما عن الزراعة، فنجد حوالي 150 هكتار زرعت حمضيات وبقوليات من طرف المعمـرين بتفاوت في المنتوج وحسب السنوات، حيث نلقي نظرة عن الحياة الاقتصادية لمنطقة تيارت، خاصة وأنها معروفة بسوق أسبوعي يسمى عبد المداغ والتي تعرض فيه منتوجات الجنـوب وفرنـسا،[2] وتباع فيه مختلف المنتوجات الزراعية والحيوانية، من الخيول والأنعام والعديد من المحاصيل الزراعية، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر، خلال سنة 1849؛ كان سوق المنطقة يشتمل على 905 قنطار، الشعير1600 قنطار، البقر1167؛ ماعز 1870؛ الخيول 168؛ الـزرابي 274؛ قمـاش الحريـر328؛ العجول336، أما اللباس التقليدي العربي كان بدوره حاضرا ضمن منتجات السوق الأسـبوعي للمنطقة.[3]

ومن الناحية الإدارية، أسست الإدارة الاستعمارية مكتبا عربيا[4]، الذي يعتبر أسلوبا أخـر لجأت إليه السلطة الفرنسية بهدف القضاء أولا على مقاومة الأمير عبد القادر، والذي يكون بمثابة الوسيط بين القيادة الفرنسية وزعماء الأهالي، ويضم قبائل منطقة تيارت خاصة، ويعتبر المـلازم لاكوت (cote)[*]، مهندس الاستيطان في المنطقة، الذي سهل له التأثير على كثير مـن القبائـل بتوجيه للجنرال بيجو[5]، أما في ما يخص إدارة قبائل المنطقة فقد ألحقوا بالمكتب العربي بتيـارت

---

1) - C, A, O, M, 2m 181.

2) - M, A, journal officiel de la colonie, 10 mai 1858, n01, 619.

3) - C, A, O, M, 2m 181, Tiaret notice historique et statistique.

4)- يعرف فرديناند هيقونيت المكتب العربي، انه حلقة الوصل ما بين الجيش الأوروبي الذي استوطن القطر الجزائري منذ سنة 1830 والسكان المحليين، ينظر: صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار الفجـر للطباعـة عنابة، 2005، ص: 248

*) - جاء برفقة والده إلى الجزائر مع بداية الاحتلال، تلقى التعليم على يد والده، لكن إرادته جعلته يعلم نفسه ويحاكي رفقائه خريجي المدارس الحربية ، وفي عام 1841 رقي ملازما وأدرجه بيجو ضمن حملته على منطقة الونشريس، لكن حـل فرقـة الدرك التي ينتمي إليها جعله ينتقل لفرقة الصبايحية ، تعلم العلوم الفقهية كما درس الطرقية، ينظر: أديب حرب، الجـزء 2، المرجع السابق، ص: 445

5)- farbe, op cit

المركز الأصلي الذي أسسه بنفسه ووضع نواته، بحيث يتشكل من القبائل التالية: "أولاد سـيدي خالد" قبيلة "الأحرار" بفرعيها "أولاد خليف" "أولاد شريف".

وانشأ المخزن(*)، فتم تأسيس المكتب عن طريق تنازل الأغا بن فرحات عن قطعة ارض بحي سيدي خالد(الناظور)، نظير 2000 فرنك مستغلا مشاكل مالية واجهها سنة 1847، إلى جانب العمل على تشكيل فرق أخرى تعمل لصالح إدارة الاحتلال الفرنسي، المسماة الـصبايحية(*) الـتي تتكون من أهالي المنطقة.(1)

ليتطور مركز الدائرة العسكرية بعد ذلك ويشمل مناطق تيارت، النـاظور و أفلـو وفـق مرسوم 21 جانفي 1867م(2)، و تفرعت البلدية الأهلية إلى قسمين مشكلة الوحدة البلدية الممثلـة من قبل القائد الأعلى المقيم بتيارت (بوبريط)، والتي كانت تنتمي إلى بلدية معـسكر، وبلديـة اليعقوبية مقرها هو مقر البلدية الأهلية والتي توجد خارج حدود بلدية تيارت(3).

تشكل بلدية تيارت الأهلية (تيارت – أفلو) جغرافيا، مثلث قمتـه تتجـه نحـو المنـاطق الصحراوية، في حين الجهة المعاكسة، تحدها هضبة السرسو، وتتصل حدودها الشرقية، مع دائـرة وهران والجزائر على مسافة تصل إلى 400 كم، وحدودها في الجهة الغربية دائرة جغبيل وسعيدة، وفي الشمال الغربي ثنية الحد(4)، هذه المساحة الكبيرة تمتد من الصحراء إلى التل، تحتـوي علـى تضاريس مختلفة تنقسم إلى ثلاث أقسام: الجبال الشمالية تنحدر من شلف ومنطقة الـشط، وفي الأخير نجد الجبال الجنوبية التي تتجه نحو الصحراء باتجاه جبال عمور، التي تكتمل بمجموع سهول، ترتفع من 900 إلى 1200 متر فوق سطح البحر، بجانبها ترتفع جبال الناظور إلى نحو 1412 متر، وجبل عمور في الجنوب بارتفاع 1907 متر في رأس طويلات ماقنة.(5)

---

*)- وهي فرقة عسكرية تتشكل من القبائل مهمتها التجسس ومراقبة تحرك الأهالي في كل مكان وتزويد المكتب العربي بأدق التفاصيل والمعلومات عنهم إلى جانب وضع تقارير عن أنشطة الأهالي في كافة الميادين ينظر: Magzane de Oran, série I : Affaires Musulmanes, dépôt d'archive d'Oran, ibid.

2) - Fabre, op cit, p : 214.

3)- B, O, G, A, premier partie, neuvième année, 1869, Alger 1870, p: 99.

4) - B, O, G, A, premier partie, ibid.

5) - Fabre, op cit, p: 259.

6)- Barlette Henri, op cit , p: 244 .

وكان من أهم النقاط المدرجة في جدول الأعمال الخاص بالمداولات بوهران للفترة ما بين 1867 إلى غاية سنة 1870[1]، فرض الأمن، حيث أخذ هذا الموضوع حيزا من المداولات، وتمت الإشارة إلى ضرورة إنشاء وحدة شرطة للمدينة، لتنظيم البلدية، وشرطة الريف لتنظيم الأهـالي في الحـي الخاص بهم، والأول فرنسي والثاني جزائري، وأشارت المداولات إلى ضرورة توفير مقر للشرطة[2]؛ وسكن لقائدها، ورفع أجور موظفي الشرطة تنويها بالمجهود الكبير الذي يبذلونه، دون الإشـارة إلى ذلك المجهود، كما أشادت مداولات البلدية بالإنارة الليلية التي وفرتها، والتي جعلت المستوطنين من السكان الأوروبيين يطمئنون على أنفسهم و ممتلكاتهم دون أن تسجل أي محاولة انزلاق أمني، أو خطر هدد سلامتهم، أما الأهالي فهم دائما مصدر الخطر دون الإشارة لذلك.[3]

قبل بناء البلدية المختلطة (تيارت- أفلو)، صدر قرار بتاريخ 10 جويلية 1867 قضى ببنـاء مركز شرطة للحالة المدنية بمقر إقامة قبيلة أولاد سيدي خالد[4]، التي تتربع على مساحة تقدر ب: 4141 هكتار و92 أر و 75 سنتي أر إلى غاية انتهاء مدة البناء بتاريخ 14 مارس من نفس الـسنة، ومن خلال التقرير الذي أمدنا بمجموع سكان المنطقة خلال سنة 1867؛ حيـث قـدر بـ ـ: 1425[5]، شخص منهم 421 فرنسي،243 أجنبي،226 مسلم و535 يهـودي مـع اخـتلاف في الجنسيات، تتكفلها ميزانية تقدر ب: 42000 فرنك[6]، بحيث تأكدت العملية بتاريخ أول جانفي 1869[7]، بعد رسالة بعث بها رئيس وقائد الناحية بالغرب(وهران)، يقر فيها تخصيص قطع أرضية لبيعها أو تأجيرها في منطقة تيارت بهدف بناء المركز الاستيطاني، أي بإجراء عملية فرز للإقلـيم، والتي ورد فيها رد على الرسالة، بان أراضي الإقليم جد هامة وذات فائدة كبيرة للتوسع في المنطقة والتي تساعد في بناء المركز[8]، في 14 مارس 1868 أعطي اسم البلدية المختلطة تيارت على مساحة

1) - C, A, O, M, Registre de délibération du conseil municipale la commune de Tiaret, 1900-1912.

2)- M. A, journal officiel, mercredi 29 septembre 1867, n° 12, muse de zabana.

3) - Registre de délibération du conseil municipale la commune de Tiaret, op cit.

4)- C, A, O, M, 2m, 181, Algérie département d'Oran.

5) - M, A, journal officiel, n° 12, mercredi 29 septembre 1867.

6) - M, A, journal officiel, 9 année, n° 54, jeudi i le 4 février 1869.

7) - M, A, ibid.

8) - C, A, O, M, 2m, 181, Algérie département d'Oran,

تقدر ب: 157,682هـ و92 أر و75 سنتي أر مزودة بمخطط تحـت رقـم 07 وملحقاتـه [1]؛ بمجموع سكاني يقدر ب: 20؛ 584 شخص، فيها 461 فرنسيا و 75 يهوديا، 19, 704 مـسلما و413 أجنبيا[2]، كما جاء في المداولات، إنشاء الطريق المعبد بين ريو بعمي موسي إلى تيارت[3]؛ والذي خصص له مبلغ قيمته 20؛000 فرنك، مما عزز المركز الاستيطاني العسكري بشبكة خطوط داخلية، ما سهل على الكولون نقل محاصيلهم الزراعية بالداخل، فعملت الإدارة الفرنـسية علـى صيانة الممرات داخل الأرياف، ومن الأمثلة على ذالك ما سبق ذكره[4].

والملاحظ، أن عملية شق الطرق المعبدة قد شهدت نشاطا كثيفا فيما بين 1860 إلى غاية سنة 1871، الفترة التي تزايد فيها استقدام إدارة الاحتلال الفرنسي لعدد كبير من المهاجرين الأوروبيين إلى منطقة تيارت، الدليل على ذلك ربط الطرق الوطنية بطرق داخلية، ولائية وبلديـة، وذلـك لغرض نقل المنتجات الفلاحية(الزراعية- الحيوانية) إلى الأسواق، نقل البضائع والسلع من المـدن الكبرى إلى المناطق الداخلية، لتوسيع دائرة الاستيطان، بالإضافة إلى فتح المجال لاستقرار الكولون بالبلد، كل هذا لتثبيت المقولة المشهورة: «أن الجزائر قطعة من فرنسا».

أما عن الوضع الاقتصادية لسكان المنطقة، فيظهر من خلال الجدول رقم "5"[5] الأتي مثال عـن قبيلة أولاد سيدي خالد، التي تترأس العديد من الملكيات الزراعية بصفة جماعية مع أخريات.

اسم القبيلة أو الدوار	الملكية الفردية (هكتار)
أولاد سيدي خالد	2675
أولاد زيان الشراقة	718
أولاد حدو	814
أولاد عزيز	637
أولاد الكعابرة	1؛137

1)- B, O, G, A, premier partie, neuvième année, 1869, Alger, 1870, p: 87.

2)- B, O, G, A, op cit.

3) - C, A, O, M, 2m181, route de Ouarsenis à riou à Tiaret, Algérie département d'Oran.

4) -C, A, O, M, 2m181 Algérie département d'Oran, ibid.

5) -G, G, A, tableaux générale ou 30 septembre 1884 des communes de pleins exercices mixtes et indigènes des trois départements de l'Algérie, Alger, 1884, p : 49.

أولاد زوي	627
الشاوية	609
أولاد بو عفيف	384
أولاد بلحوسين	490
أولاد بوزيان	1¡469
أولاد الخروبية	1¡422

خلال صدور قرار تأسيس البلدية الأهلية المذكور سالفا، ومن خلال الجـدول رقـم"1" المذكور أعلاه، يتبين أن ملكيات القبائل تمثل ملكية الجماعة، فعلى سبيل المثال لدينا قبيلة أولاد سيدي خالد، تمتلك ما يقارب 157.8021. هكتار، تشترك فيها العديد من القبائل المحلية حسب ما هو موضح في الجدول السابق، ما كان دافعا لمواصلة التوسع الفرنسي الاستعماري وتطبيـق القوانين والتشريعات العقارية في المنطقة التي تمس الأرض وتهدف إلى تجزئتها.

هذه القبائل تنتمي إلى الفئة التي تنتقل في حدود منطقتها في أوقات معينة، تمارس تربية الماشية، من جمال وبقر وغنم وماعز والذي يمثل بيعها المورد الأساسي في معيشة سكانها تمثـل ثـلاث مجموعات مختلفة لكل واحد منها منطقته الخاصة، ومناطق ترحاله وتخييمه في الشتاء والـصيف وهي على التوالي: قبائل "أحرار الشراقة"، "أحرار الغرابة" و"أولاد خليف"، عن المجموعة الأولى ومن أكثر قبائلها "أولاد سيدي خالد الشراقة"، "أولاد زاوي"، "أولاد بوعفيف" و"الكعـابرة"، "الشاوية"، "أولاد بالحسين" و"أولاد عزيز"[1].

أما المجموعة الثانية، مكونة من "أولاد زيان الشراقة"، "أولاد زيـان الغرابـة"، "أولاد حدو"، "الدهالسة"، "المرابطين الغرابة"، في حين "أولاد خليف" قبيلة مكونة من "أولاد بورنان"، "أولاد خروبي"، "سحارة" "الشراقة" و"القنادسة"[2]¡ تنتقل هذه المجموعات إلى المناطق الشتوية مرتين في السنة من شهر أكتوبر إلى نوفمبر يذهبون إلى، ومن افريل إلى ماي يعودون إلى سرسو،

[1]) - perymhoff , ibid.

[2])- Faber, op cit , p: 262

ومتلكات هذه المجموعات مختلفة ومتعددة، من حيث الثروة الحيوانية على سبيل المثال لدينا قبيلة الأحرار الشراقة[1] على النحو الأتي:

اسم القبيلة	جمال	بقر	خراف	ماعز	خيول	حمير
سيدي خالد	2,700	2,030	87,400	4,500	448	811
بوعفيف	380	120	9,900	1,050	215	46,295
الكعابرة	870	180	19,300	1,550	141	22,282
الشاوية	720	320	18,900	1,950	98	22,308
أولاد عزيز	1¡470	1,170	24,700	2,900	211	30,731
بلحسين	810	360	19¡200	1¡250	166	22,015

يتضح لنا من خلال الجدول رقم"6" السابق، غنى المنطقة وقبائلها بالثروات الحيوانية، مـا يؤكده ابن خلدون في قوله : «... فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة، ومنـهم مـن يتخذ القيام على الحيوان من الغنم والبقر والماعز والنحل باستخراج فضلاتها، وهؤلاء القـائمون على الفلح والحيوان لتدعوهم الضرورة، ولابد من البدو، لأنه متسع لما يتسع له الحواضـر مـن المزارع والمسارح للحيوان وغير ذلك...»[2]، فكذلك نستشف من الجدول الـسابق أن قبيلـة الأحرار الشراقة تملك ما يمثل 10/9 من رؤوس الحيوان والتي تمول فرنسا بربع ما تـستهلكه مـن الحيوانات، حيث تقدر مساحة أراضي الرعي ب: 287000 هكتار، منها 122000 هكتار مخصصة للرعي في فصل الشتاء، وحوالي 165000 هكتار في فصل الصيف.[3]

إلا أن هذه الأرقام غير ثابتة، وذلك حسب المواسم (جفاف، أمطار)، وفي بعض الأحيان يضطر السكان المحليين التخلي عن طبيعتهم (الهجرة) وبناء مناطق لتخزين العلف وذلك لحمايـة القطعان من الجوع وبرد الشتاء، فغياب مثل هذه الإجراءات يؤدي إلى فقد عدد كبير منها.

---

[3]) - Faber, ibid, p: 264.

[2]) - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بـيروت، 1967، ص: 210.

[3])- T .S.A, 1843 -1844, dépôt d'archive d'Oran, p : 122.

وترتكز الأسس الاقتصادية للمجتمع في منطقة تيارت أساسا وبالخصوص على زراعة الحبوب وتربية الماشية، التي تؤمنان جزءا هاما من غذاء سكانها، ويمثل الجدول الأتي تطور مساحة إنتاج الحبوب بالنسبة لقبائل الأحرار، على سبيل المثال لا الحصر لسنة 1866 إلى غاية سنة 1868:[1]

	1868 - 1866	
	المساحة "هكتار"	الإنتاج "قنطار"
القمح	14700	36000
الشعير	15200	108000

نلاحظ أن الحبوب تحتل مساحة شاسعة تقدر بحوالي 4/3 من المساحة المزروعة، بحيث أن إنتاج القمح بنوعيه (الصلب واللين) خلال هذه الفترة قد ارتفع بزيادة قدرت على النحو الأتي: 41200 قنطار، و43000 قنطار بالنسبة للشعير، هذه الزيادة المعتبرة تعد كافية لسكان المنطقة والذي بلغ تعدادهم نحو 22848 نسمة[2]، ويشير الجدول الأتي رقم:(3)[3] أن متوسط مردودية الحبوب لدى الأوروبيين من سنة 1864 إلى غاية سنة 1867 بمنطقة تيارت:

	1868- 1866
القمح	ق/هـ 6,05
الشعير	ق/هـ 5,04

1)- Fabre, op cit.

2) - Annuaire statistique de ' Algérie, 1900, dépôt d'archive d'Oran, p: 243.

3) -T.S. A, op cit.

منخفضة في بعض أنواع الحبوب، يعود أساسا إلى تخلف الأدوات المستعملة ذات الطابع البدائي التقليدي، فالاستعمال الأكثر انتشار هو المحراث والدابة، إلى جانب تمركز العنصر الأجنبي القليل في المنطقة بسبب الظروف الطبيعية الصعبة للمنطقة.

أما الغابات، تمثل مساحة 76500 هكتار تغطي جبل الناظور وجبل الشبكة، تتكون أساسـا من البلوط الأخضر، الصنوبر، تتغذى عليها مجموعة من الحيوانات البرية مثل البط البري، الثعلب، الخنزير البري، والفهود، كما نجد في سهول الأوسكار بعض الغزلان [1]، أما عن الموارد الطبيعيـة المنجمية في دائرة تيارت، فهي غير معروفة، والمنجم الوحيد المعروف يدعى جبس بجبل سـيدي لعباب وجبل آخر يسمى بجبل أنتي موان(Antimoine) في جبل الناظور وتراب الصلصال، فالأمر الملاحظ انه في ناحية سيدي ساعد، مناجم الجبس مستغلة من طرف الأوروبيين منذ إنشاء مركز تيارت، في حين منجم موان يستغل من طرف السكان المحليين، الذي يستخرج منه بعض المـواد المعدنية للاستعمال الشخصي، والذي كان يسمى ثنية الكحل في مكان تواجده [2]ز فمعظم قبائل تيارت لا يمارسون أي نشاط صناعي، فهم يشترون كل ما يحتاجونه من خارج المنطقة، إلا ما لزم من صناعة الصوف والجلود والخيم و الأفرشة وسروج الخيل، المزاود، وفي بعض الدواوير يوجـد بعض الحدادين يغطون احتياجات قطعانهم فقط، خاصة وانه في هذه السنة(1868)، لا يوجـد في الدائرة إلا طريق واحد، طريق تيارت- افلو بحوالي 15 كلم عن السوقر ثم تستمر على شكل طريق غير معبدة وغير منظمة. [3]

يتضح من هذا العرض السريع الخاص بتأسيس مستوطنة عسكرية أهلية (تيارت- افلـو) ستصبح تيارت مدينة استراتيجيه مدنية في الهضاب العليا الغربية، ولذلك فالحكومـة العامـة في الجزائر سعت جاهدة لتأسيس البلديات الكاملة الصلاحيات ذات الطابع العسكري، بما يـسمح بإنشاء مجلس بلدي والتركيز على توفير الأمن للمستوطنين، بهدف استقطاب اكبر عدد ممكن منهم في منطقة تيارت.

1) - Faber, op cit.

2) - Fabre, op cit.

3) - Echo de Tiaret, dépôt de Oran, op cit .

ب- المركز المدني تيارت:

تم الاتفاق على إنشاء المركز المدني بتاريخ 10 أوت 1868؛ لتتحول مدينة تيارت فيما بعد إلى بلدية كاملة الصلاحيات، بتاريخ 27 جانفي من السنة الموالية1869[1]، من خلال ما ورد في تقرير مفصل جاء فيه ضرورة إنشاء مركز مدني بتيارت[2]، والتي حضرت له كافة الإجراءات فصرفت ما قيمته 14000 فرنك، بهدف إنشائه [3].

إن سلطة الاحتلال كانت جد ذكية بإرساء هذا المخطط، خاصة وان العملية تتم عن طريق شراء جزء كبير من الأراضي التابعة لإقليم منطقة تيارت بأسعار ثابتة، وذلك تبعا لرسالة من الحاكم العام إلى قائد الناحية العسكرية بتيارت جاء فيها قرار البيع، مزود بمخطط للمنطقة بتاريخ 12 ماي من نفس السنة، كما جاء بها ملاحظة من طرف السيد كوكري[4]، بضرورة رفض عملية تجزئة الأراضي والخوض في العملية الأولى.[5]

مما يتبين لنا الطابع التعسفي من وراء هذا الإجراء، الذي كان تحت ستار المنفعة العامة وذلك بهدف إنشاء مراكز استيطانية أو زراعية، بالرغم من ادعاء فرنسا بان لا وجود للملكيات الأرضية الخاصة في المنطقة عدا المدن الكبرى وضواحيها، والذي سيجعل من المنطقة ملحقة مدنية جراء هذه الاستعدادات والإجراءات.

صدر بتاريخ 20 ماي 1869 قرار ينص على تأسيس بلدية تيارت كاملة الصلاحيات♣[6]؛ وإسناد مسؤولية رئاسة البلديات إلى معمرين فرنسيين، ووضع نائب خاص على رأس كل مركز استيطاني مستوطن ومسؤول من أصل فرنسي، يتولى مهام ضابط الحالة المدنية، وضابط الشرطة

---

1) - Fabre, op cit .

2) - C, A, O, M, 2m181, rapport relatif au projet de création d'une annexe civile à Tiaret, 1869, Algérie département d'Oran,

3) - C, A, O, M, 2m181, ibid.

4)- ضابط فرنسي، عين مكلف بالناحية العسكرية للقطاع ألوهراني، ومنطقة تيارت بصفة خاصة، مهمته إدارة شؤون الفرنسيين بالمنطقة، ينظر: Fabre ,op cit, p : 154

5) - C, A, O, M, 2m181, Algérie département d'Oran, ibid.

♣) جماعات محلية تتمتع بالشخصية القضائية، ولها ميزانية وتراث، تديرها مجالس وسلطة تنفيذية منتخبة من قبل السكان، تمثل أغلبية أوروبية ، ينظر: عدة بن داهة، المرجع السابق، ص: 55

6) - M .A, journal officiel, mercredi 29 septembre 1867, n° 12.

القضائية في آن واحد، ويتكلف بضمان تنفيذ القوانين[1]، ونستدل على ذلك من الأعضاء الإداريين للبلدية أمثال كبون دافيد(kabone david) ومساعده لاموغريو ليون(la moruo liyone)والخوجة محمد بن عودة ونائبه السيد نيكولا(Nicola) [2]، مما يتضح عن هذه الحالة بان مسئولي بلدية تيارت الذين لهم مهام مهمة هم أنفسهم مسيرون مثل أي مواطن بسيط وهكذا دواليك.

ويمثل الجدول الأتي رقم(7)[3] التركيبة السكانية للمنطقة(البلدية المدنية) خلال سنة 1869

سكان دائرة تيارت لسنة 1869					
المساحة	المجموع	أوروبيين	أهالي	جنسيات أخرى	فرنسيين
157,682	1927	405	699	13	657

ويعتبر الجدول مثالا حيا على الوجود الفرنسي في المنطقة بحوالي 657 فرنسي مقارنة بعدد الأهالي، والتي تعد تأكيدا على تطبيق المشروع الاستعماري الاستيطاني بتيارت، إضافة إلى توسيع عملية التعمير والتهجير في المنطقة، بعد أن تم التوقيع على إنشاء ملحق مدني فيها بحيث أنها ستصبح بلدية مدنية في خدمة المستعمرين، بحيث تمثل مساحة المركز المدني في تيارت ب: 1155000 هكتار، تنقسم إلى 14700 هكتار من الأراضي صالحة للزراعة، و287000 هكتار أراضي رعوية، وحوالي 76500 هكتار غابات، و 776800 هكتار غير مستغلة، ومساحة كانت ملكا لأحد الكولون الفرنسيين، حوالي:1178هكتار[4]، إضافة إلى مساحة أخرى ملكا لّبناء يدعى بليموسى(Bilames) بحوالي 1007هكتار، والمساعدين الأجانب بنحو 1004 هكتار،

1)- Recueil des actes administratifs, préfecture d'Oran, année 1919, maire adjoints des communes de plein exercice : état des communes du département d'Oran, pp: 35-39.

2) -Annuaire oranais, op cit .

3)- C, A, O, M,2m181, état comparatif de la population , par année , depuis la création, centre de Tiaret ,Algérie département d'Oran, + G ,G,A, tableaux générale ou 30 septembre 1884 des communes de plein exercices mixtes et indigènes des trois départements de l'Algérie, Alger, 1884, p : 34.

4) - Faber, op cit.

ومساحة 8940 هكتار لأخر يدعى أنجو، في حين مساحة البوربونيين تقـدر ب: 7890هكتـار، وينتشر بهذه المساحة 1869 ساكن، ما بين عرب، فرنسيين وأسبان والبعض من اليهود.[1]

ب- بناء القرى ألفلاحيه الاستيطانية في محيط منطقة تيارت:

وفي هذه الظروف السياسية والاقتصادية المشجعة للاستيطان، طلبـت الإدارة العـسكرية المدنية من الحكومة العامة بوضع مخططات لإقامة قرى فلاحية استيطانية مجاورة حسب طبيعة كل منطقة جغرافية، بهدف توسيع دائرة الاستيطان في المنطقة واستحداث قواعد أخرى لخدمة الاقتصاد الفرنسي بتيارت، ولاستقبال عدد كبير من الهجرات الأجنبية فيما بعد.

فأنشأت الإدارة المحلية ضيعة قرطوفة ألفلاحيه ما بين 1874 - 1877م، بمساحة تقدر ب: 1؛949 هكتار مجزأة على النحو الآتي: في الأول كانت المنطقة تتربع على 869 هكتار، ثم توسعت بمساحة تقدر ب: 371 هكتار، لتتوسع فيما بعد ب:698 هكتار، تنقسم هذه الأخـيرة، إلى 53 ملكية فلاحيه تم الحصول عليها عن طريق الامتياز، و7 أخرى صناعية [2]، وتمّ توسيعها ما بـين 1885 م، فخصص لها 458 هكتار بميزانية تقدر ب: 40,000 فرنك، في حين شـكلت373هـ ـ أملاك بلدية لدوار قرطوفة، بحيث استفاد الأهالي من 1118هـ من أراضي مشاعة ذات المنفعـة المشتركة [3]، ينتشر بها حوالي 157 ساكن والتي تتشكل مـن 124 فرنـسي و36 مـسلم مـن الأهالي.[4]

مما أدى إلى حصول تبادل تجاري بين الأوروبيين والسكان المحليين بغرض تطـوير التجـارة المحلية، وسيطرة العنصر الأجنبي على القاعدة الاقتصادية لسكان المنطقة، وتمثل نـسبة الأراضـي الصالحة لزراعة الحمضيات ب: 572هكتار، منها الكروم نحو 88 هكتار، والحدائق ب:24هكتـار وغيرها، بالإضافة إلى الحيوانات، مجهزة بمختلف الإمكانيات والتي هي موضـحة علـى النحـو الأتي[5]:

---

1) -L écho de Tiaret, démanche 29 Aoute 1890, quatrième année, n° 144.

2) - pyermhoff , tom 2 , op cit , p : 181

3) - J, canal, Tiaret monographie ancien et moderne, p: 34.

4) - le sersou , organe républicain pour le défense des intérêts vitaux de la région de Tiaret et du sersou , deuxièmes série , n° 02,29 juillet 1909

5)- Le sersou ,op cit.

البـقر	الغنـم	الأحصنة	المحراث	وسائل إنتاج	بيوت بلاستكية
38	127	113	44	75	24

يشير الجدول رقم "8" بان المنطقة ذات أهمية كبيرة، كون أراضيها صالحة لزراعة النباتـات الموسمية، مما جعل أراضي المركز صالحة لان تكون مربحة للمستعمر الفرنسي، وتحول جـزء مـن مخططات الأوروبيين إلى الاستثمار في القطاع الصناعي المعتمد على القطاع الزراعي.

وفي سنة 1884؛ تم تأسيس قرية فلاحية أخرى تدعى تريزل (السوقر)[1]، تقع فوق سـهل خصيب، محاطة بالبساتين مجهزة بكل البنايات الإدارية الضرورية للبلدية، وبالرجوع إلى تاريخيـة المنطقة، ففي الأصل كانت السوقر مخصصة إلى أن تكون منطقة فلاحية، ولكن موقعها الجغـرافي الواقع على طريق أفلو في نصف الطريق ما بين تيارت والقبائل الغنية لدائرة تيارت،ّ غير من رأي السلطة الفرنسية وتم تحويلها إلى سوق أسبوعي[2]؛ ويعد سوق تريزل من أهم أسـواق المنـاطق نشاطا في فصل الصيف ويتناقص في الشتاء، فيعقد كل أسبوع يوم السبت، تباع فيه الأغنام مـن 15 إلى 18 ألف رأس، كما يحتل بيع الخيول، الأبقار، والماعز مكانة مميزة ضمن منتجات السوق، بالإضافة إلى المنتجات الغذائية الموجهة لتلبية حاجيات السكان من توابل، التبغ، السكر، القهـوة، الصابون، الحمضيات، الأفرشة وغيرها [3]، هذا وعن زراعة الحبوب خاصة القمح اللين، أخـذت الحيز الأكبر من اهتمام القادة الفرنسيين ومن ثم المستعمرين، الى جانب وجـود مـدن وقـرى متباعدة عن بعضها منها تمرجانت في منطقة السوقر، عين مشان، بورسـي الهـابط، الاوتاسـي، بوبوليت، الرملية وغيرها.[4]

وعلى مسافة غير بعيدة إلى الجنوب في طريق أفلو على بعد 41 كلم من السوقر، توجـد قرية الاوسركار وهي عبارة عن مركز عسكري مثلما كانت في عهد الرومانيين، كونهـا مركـز استراتيجي، حيث أنها تقع في طريق الهجرات الموسمية للقبائل من الجنوب إلى الشمال، تسكنها 04 عائلات فرنسية، وهي من أوائل العائلات التي استقرت بها[5]، تمتلك 5359 هكتار موزعة على 72

1) - Fabre, op cit .

2) - Barellet ,op cit .

3) - Berellet, op cit , p: 288.

4) - Berellet, ibid. p: 274.

5) - C, A, O, M, 2m181, ibid.

ملكية فلاحية و 05 مؤسسات صناعية، تقطنها قبائل عديدة منها؛ "أولاد سيدي خالد الشراقة"، "أولاد عطية"، "شاوية"، "أولاد بوزيان" و "أولاد عزيز"، يصل عدد سكانها سـنة 1884؛ 582 ساكن، منهم 444 فرنسي، 60 أهلي جزائري و 72 أجنبي و مغربيين يغلب عليها زراعة الحبوب بـ 1900هكتار، و198 هـ للكروم، و95هـ خاصة بالحدائق المروية.[1]

ودائما في نفس السنة(1884)، تم اعتماد تقرير بضرورة تأسيس مركز فلاحي آخر، وهو المسمى بفر ندة ذات طابع اقتصادي فلاحي، التي كانت بها 15 ملكية فلاحية تتربع علـى 194؛ 322هكتار[2]، حيث كانت أراضيها في الأصل ملكا لدوار بلدية "حوارات" و "حاسـينات"[3]؛ مأهولة بالسكان الذين بلغ عددهم خلال هذه السنة 1913 ساكن، يتوزعون على النحو التـالي: منهم 473 فرنسيا و1120 من الأهالي و135 مغربيا و 185 أجنبيا، تواجدت بها زراعة الحبوب و الكروم بشكل محدود، لتتوسع سنة 1898 إلى مركز عسكري مجاور لمنطقة تيارت[4].

نستخلص مما سبق ذكره، بأن منطقة تيارت بعد فرض الإدارة الاسـتعمارية لـسيطرتها عليها، أصبحت مركزا استراتيجيا، عسكريا، اقتصاديا و بشريا، بوضع جميع الإمكانيات في خدمة الاستيطان الأوربي بالمناطق القريبة منها، فكانت البداية سيطرة الإدارة المحلية على أراضي البايلك ثمّ العرش و أراضي الملك الخاصة بالجزائريين بشتى الطرق، فأراضي البور، لتتحول تلك إلى قـرى فلاحيه فمراكز عسكرية قوية، لتتطور إلى بلديات كاملة الصلاحيات في إطار عمليـة التوسـع الاستعماري في عمق الجزائر المحتلة، مما وسع من مساحة الاستيطان الأوروبي ألفلاحـي، بحيـث استمرت عملية الاستيطان بها بشكل متسارع منذ سنة 1860؛ بعد استقرار الأمـن والتـصدي لمقاومة أولاد سيدي الشيخ أخر المقاومات المسلحة الكبرى في الجنوب الغربي بمشاركة ومـساهمة العديد من قبائل منطقة تيارت، ومجيء المعمرين الأوربيين من مناطق مختلفة إلى غاية 1889؛ ممـا يؤكد المشروع الاستعماري الاستيطاني الفرنسي في المنطقة.

1)- Fabre, op cit , p: 224.

2) - B, O, G, A, 1884, p: 122

3) - Peyerimhoff, op cit.

4) - Ibid.

الفصل الثالث

نتائج الاستيطان الفرنسي على الجزائريين بمنطقة تيارت

1- الجوانب العسكرية و السياسية

2- الجوانب الاقتصادية

3- الجوانب الاجتماعية

نتائج الاستيطان الفرنسي على الجزائريين بمنطقة تيارت

إن الحركة الاستعمارية استطاعت أن تضع حدا بنسبة كبيرة لنفوذ أهالي منطقة تيـارت، من خلال عمليات الغزو القوية وسياسة الاستيطان البشعة في حقهم، هم وأسرهم، فالاستعمار لا يسمح بقيام حكم لا يصدر عن إرادته، بواسطة عمليات المصادرة والـسلب ومـن ثم التوسـع بواسطة القانون ولهذا نجم عنه العديد من الآثار الوخيمة على السكان، في حين كان نعمة علـى المستعمرين الأوروبيين.

1- الجوانب العسكرية والسياسية:

نظرا للسياسة القمعية التي انتهجها الجنرال بيجو و القادة العسكريين ضد سكان المنطقة، التي قامت على العنف، لم يتخل عن القوة ليهيمن على الأهالي ويسخرهم لخدمته، فغرضـه مـن ذلك تحطيم المجتمع المحتل، فحلت الفوضى في صفوف الفرنسيين وقاموا بأعمال دنيئـة، والـذي وصفها بيلسي(plisser) بمرارة ذلك السلوك بقوله:"...لم يقع ربما أبدا احتلال حتى في القـرون الهمجية في فوضى إدارية مثل ما جرى في الجزائر، حتى الحشود القادمة من الشمال والتي قـضت على بقايا الإمبراطورية الرومانية كان لها سلوك أكثر حكمة وأكثر تعقلا...".[1]

انطلاقا من بداية وصول قوات الجيش الفرنسي إلى أراضي تيارت، سـنة 1841؛ كانـت بمثابة أول انطلاق لمشهد حربي عسكري تعرفه المنطقة، وذلك بهدف إعادة بنائها على الطريقة التي تفرضها السلطة الفرنسية بقوانينها وتشريعاتها وخططها الاستعمارية، فيقول ألكسي دي طوكفيل في هذا المضمار:"... لقد قمنا أحسن قيام في البداية بتمزيق وإحراق كل الوثائق المكتوبة من دفاتر ومراجع أصلية وغيرها من الممكن أن تبقى إلى الأبد أثرا لما تحقق قبلنا..."[2]، ولهذا دمرت السلطة الفرنسية العديد من منازل أهالي المنطقة، التي كانت تعقد فيها اجتماعات، وتفكيرهم في أساليب مقاومة للعدو الأجنبي، فعلى سبيل المثال لا الحصر، منزل الحاج عبد الله توسي الساكن بالـضفة الشمالية لمنطقة الشريطة، التي تبعد بحوالي 20 كلم عن مركز تيارت، باعتباره من أهـم شـيوخ المنطقة لبلاغته واشتباكاته مع الكولون، ونشاطه الزراعي المعروف[3]، بالإضافة إلى تمكن الجـيش

1) - Tocqueville (Alex), de la colonie en Algérie, paris, 1988, p: 39.

2) - Tocqueville (Alex), ibid. p: 65.

3) - Archive wilaya de Tiaret, fond de Tiaret, archive des famés, no classer.

الفرنسي من تدمير أهم قواعد الأمير العسكرية، والسيطرة عليها تماما كمعسكر، تازة، سـعيدة، القيطنة[1]، ولقد كانت شهادة الكونت سانت آرنو[2] أكبر دليل على ما ارتكبته فرنسا من مجازر رهيبة في المنطقة حين قال:"... في سنة 1841 بقينا نحارب جيش الأمير عبد القادر، ندمر المـدن ونحرق المحاصيل، أينما حلت الجيوش الفرنسية فهناك لهيب النيران..."[3]؛ وفي رسالة بعـث بهـا الجنرال بيجو إلى الأمير جاء فيها ما يلي: "... لقد جعلتني أعمدة الدخان المتصاعدة، والـسماء الحمراء بفعل النيران أزف لك خبر إبادة سكان المناطق التي تركتنا بها عن آخرهم، رغـم أنهـم استسلموا لنا لأننا نريد إما استسلاما جماعيا أو إبادة جماعية..."[4]؛ وهذا ما انعكس علـى نيـة المستعمر الفرنسي في تطبيق المشروع الاستعماري، من خلال مخططات الجنرال بيجو والتوسع حتى إلى المناطق الداخلية الجنوبية.

ارتكبت مجزرة أخرى، بتاريخ2-8-1842 ضد قبيلة بني مايدة، بحجة أنها تعرقل تحركـات الجيش الفرنسي[5]، هذه الأخيرة تتركز في السرسو، وهي منطقة تكثر بها العديـد مـن الآبـار والأودية، أين انقضت عليها القوات الفرنسية التي كان في مقدمتها جيش بن فرحـات الـذي لم ينتشر خبر انقلابه على الأمير عبد القادر بين القبائل، ورغم استماتة القبيلة في صد العدوان، فقـد كانت الحصيلة أسر 3000 فرد ومن مختلف الأعمار ونهب 45000 رأس من الماشية، والتي اسـر

---

[1]) - شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم أبو القاسم سعد الله، الطبعة الثالثة، ديـوان المطبوعـات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر 2004 ، ص: 249.

[2])- ARNAUD Jacques le Roy، ولد بباريس سنة 1801، التحق بالخدمة العسكرية ولم يكن عمره يتجـاوز 16 سنة، شارك ضمن الجيش الفرنسي في اليونان. وبعد عودته اشتغل في الكثير من الحرف، وعشية ثورة 1830 رغب أرنو في العودة إلى الجيش وهنا يقيم علاقة متميزة ومتفردة مع بيجو، الذي عينه برتبة ضابط ليبقيا على اتصال خاصة بعد انتقالهما إلى الجزائر منذ سنة 1837، وازداد إعجابه بقدراته ، بعد نجاح حملته سنة 1841 وحصار قسنطينة، والثورة القائمة في باريس سنة 1848، تزوج أرنو من فتاة هولندية، واستطاع أن يلفت أنظار الكثيرين إليه وخاصة لويس نابوليون، الذي أعجب بطرقه الوحشية في القتال، عمل وزيراً للحربية حتى فترة حرب القرم، حين أصبح القائد العام لجيش الشرق، فكان من أكثر الضباط العسكريين الفرنسيين الملازمين لبيجو والمقربين منه، توفي سنة 1854 ، ينظر: مسيرو فرنسوا، سانت أرنو أو الشرف الضائع، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005، ص: 22

[3])-Calenderer des crimes, version 0.51 14avril 2005, p: 46. j, Morel,

[4])-j, Morel, ibid.

[5]) - Béni m'aida, LA Série I B, N°4479 Communes mixte, Affaires Musulmanes, Dépôt d'archive d'Oran,

فيها 230 شخص من القبيلة، فاحتاجت بني مايدة إلى ثلاثة سنوات لتبدأ في تـضميد جراحهـا لاستعادة عافيتها[1].

لقد حاول الاستعمار تفريغ المنطقة من سكانها[2]، وذكر الضابط أسكوت في مذكراته أنه لما مر بمنطقة السرسو وجدها خرابا ودمارا[3]؛ بعد أن وصلت القوات الفرنسية إلى آخر معاقـل الأمير عبد القادر الجزائري "تنس"، فأصبح الفرنسيون في موضع قوة يسيطرون على معظم أراضي القبائل من جهة ومن جهة أخرى استولت طوابير الجنرال يوسف(*) على مدينة بوغار(**)، أخـر معاقل الأمير التي تحمي ظهره من الشمال.[4]

كما تعرض سكان المنطقة للطرد من منازلهم وذلك اثر الهجوم على الزمالة سـنة 1843؛ والتي قضت على العديد منهم، إذ يعتبر الاستيلاء على زمالة الأمير عبد القادر اكبر انتصار سياسي وعسكري حققته السلطة الفرنسية الاستعمارية، فعدت أيضا عاملا مكملا لأنـواع الـسياسات الأخرى الممارسة في منطقة تيارت، لقد حول سقوط زمالة الأمير عبد القادر إلى مطاردٍ من طرف القوات الفرنسية التي راهنت على استسلامه لإنهاء المقاومة المسلحة.[5]

لازالت المصادر الأرشيفية الفرنسية، خاصة الأرشيف الحربي بفرساي تحتفظ بالمراسلات التي حررها قادة الجيش بعد المداهمة التي تظهر التصرف الوحشي للجيش الفرنسي في تعامله مـع

---

[1]) - Béni m'aida, Dépôt d'archive d'Oran, ibid.

[2]) - Jeans Nicot et Pascal Carre, inventaire analytique et index, Shat, château de Vincennes, 2001, p p:278.

[3])- الكولنيل أسكوت، المصدر السابق، ص :99 .

*) من خلال اسمه، لم يكن فرنسيا وعلى الأرجح يهوديا ساهم بتشجيع الدوق دومال على مطاردة عاصمة الأمـير عبـد القادر، يملك سجلا حافلا بالجرائم وحروب الإبادة في حق قبائل كثر، ينظر أديب حرب، ج2، المرجع السابق، ص: 445.

**)- تعتبر من أهم المدن التابعة لسيطرة الأمير عبد القادر، على مسافة 82 كلم جنوب المدية ، بنى الأمـير بهـا ثكنـة عسكرية، مخبزة، مستشفى ومخزنا كبيرا، فكانت هناك ديار كثيرة مبنية بالحجر إلى جانب مصانع للبرانس والدباغة وأخـرى للكبريت، ملح القلى ومعدن الرصاص، ينظر: مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص: 159.

[4])- فرنسوا مسبيروا، سانت أرنو أو الشرف الضائع، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، دار القصبة للنشر، الجزائـر، 2005، ص:218.

[5]) - R.D Pilisser, op. cit , p:7

الرجال[1]، الأطفال والكثير من النساء اللواتي تمردن على الآسر بالهروب علانية ودون خـوف، ورد الجيش الفرنسي بقتلهن، بحيث نجحت بعض نساء الزمالة في الهروب إلى قبيلـة أولاد بـسام وهن شبه عاريات[2]، بينما قيدوا الرجال بالأغلال لنقلهم إلى مدينة الجزائر، ومنـها إلى سـانت مارغريت (*)أكبر سجن في التاريخ الفرنسي.

أما سياسيا نجد ضعف التمثيل السياسي، فبالرجوع إلى تطبيقات التشريعات الاسـتعمارية في القطاع الوهراني، لاحظنا كيف قامت الإدارة الاستعمارية بإنشاء نماذج من البلديات المختلفة، بعضها طبق عليها القانون الفرنسي المتربولي، ويسمى بالبلديات الكاملة الـصلاحيات، إلاّ أننـا وجدنا الجزائريين يخضعون فيها لقوانين خاصة كالأنديجانا وغيرها، وفي المقابل بلـديات مختلطـة تخضع للاستبداد التشريعي.

إن هذه الإجراءات انعكست بالسلب من ناحية التمثيل النيابي والسياسي[3]على سـكان المنطقة، ودائما بالنسبة للمراكز الاستيطانية كاملـة الـصلاحيات، ومـسألة التمثيـل الإداري للجزائريين في منطقة تيارت، تعتبر في نظرنا جد قليلة من خلال القوانين المحددة لعددهم وحـصر صلاحياتهم ووظائفهم، ولذلك نستخلص من مضامينها تميزا واضحا بين المستوطنين الذين يتوفرون على الأغلبية في المجالس المختلطة، بينما نجد الجزائريين لا يمثلون في هذه المجالس إلاّ عددا قلـيلا، رغم أغلبيتهم العددية.

ومن جهة أخرى، نجد الحكام الإداريين في البلديات المختلطة، يمارسون أنواعا من التمييز بين الجزائريين أنفسهم، بالتقرب من أقلية تتعامل معهم من خلال مراسلتهم للوالي، حول بعـض المقربين منهم بتزكية من الوالي[4]؛ وتوظيف السيد "بوزيان" في المركز المدني للتيارت بالإضافة إلى

---

1) - pour consulté les victimes de se gare, regarder les archives d'outre mer a Aix en province, 2m181, H208 service historique de la défense département terre, état major de l'armée.

1 - (Jeans Nicot et Pascal Carre, op. cit, p 285.

(*) - جزيرة تقع في البحر المتوسط بالقرب من مرسيليا اشتهرت بسجنها العسكري للمزيد من التفاصيل عد إلى: Quid Robert Laffont, Paris, 1998, p: 848

3) - Conseil général 1830-1900, Département Oran, dépôt d'archive d'Oran, op cit, PP:220-221, et vois : Tinthoin (R)"les Artisans de la Colonisation Française En Oranie" in B .S.G.A.O, 1947, T68, PP: 53-78.

3) -D, A, W, O, Série I, B 4479 C/M MINA, 1910 dépôt d'archive d'Oran.

منحه امتيازات عقارية فيها، كما نخص بالذكر السيد قدور ولد عدة، الذي خصصت له العديـد من الأراضي والممتلكات العقارية بصفة مجانية، إلى جانب توليه منصب جد هام في الإدارة المدنية لمنطقة تيارت خلال سنة1870[1]، مثل ما حدث مع السيد "بوعلام بومدين" مـن تيـارت[2]؛ وتوظيف جزائريين في منصب الخوجة وإعطاء أهمية كبيرة لهذا التنصيب من قبل الحـاكم الإداري للبلدية المختلطة "مينا"، حول توظيف السيد "بن داني الشارف" ولد عبد القادر الـذي وظـف بالبلدية في سبتمبر1890ولكن في المقابل، نلاحظ غياب مسؤولية ممثلي الأهـالي، ففـي كـل المداولات سجل غياب نصف ممثليهم وبالتناوب و قد أضر هذا الغياب كثيرا بمصالح الأهـالي في عملية التصويت على بعض القرارات، مثل التوظيف أو السكن.(*)

إن ممثلي الأهالي في معظمهم لا يحضون بالمناصب العليا، فبعضهم كانوا قيادا، والـبعض الأخر أعوانا في الإدارة ومعينون من طرف رئيس البلدية الذي يكلف أحد القياد بإعداد القائمـة وحضورهم اختياريا مسبقا[3]، إضافة إلى اقتسام الحصة المخصصة للأهالي بين سـكان المنطقـة والوافدين الجدد، مما يلاحظ وجود فئة أو أسر لا تمثل إلا نفسها، وفدت إلى المنطقة مع الجيـوش الفرنسية والتي تحمل اسم زواوة[4]؛ تقيم في الأحياء الأوروبية و اليهودية وذلك لتقارب المـستوى المادي للفئتين، وتشابه النشاط التجاري للمجموعتين، المرتبط بسكان المنطقة الأصـليين بـسبب نوعية السلع وطريقة البيع، إلى جانب حقد المجلس البلدي على الأهالي، ظهر في عـدم التكفـل بمشاكلهم، كالوقوف أمام طموحاتهم في شتى الميادين، مثل التعليم و الصحة، وهذا ما لخصه جاك برك في قوله بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية للاحتلال عام 1930:«...إن تعسف الإدارة خلاصة الانتصار وشرعية الهزيمة...»[5]، وبذلك تمكن المستوطنون الأوروبيون من إقامة المراكز الاستيطانية وشق الطرق بمنطقة تيارت، وجلب العديد من الفئات الأجنبية، بالاعتماد على جباية الضرائب، مما

---

1) - C, A, O, M, 3M558.

2) -D. A, W, O, Série I, B4479; C/M N° 354, dépôt d'archive d'Oran.

*)- اغلب المداولات التي تم الاطلاع عليها بمصلحة أرشيف ما وراء البحار بعلبة رقم 2m181، تسجل غياب بعض ممثلي الأهالي و تتناول بعض الجلسات الحضور الاختياري لممثلي الأهالي في بعض اللجان.

3)- C, A, O, M, 3M558, Registre de délibération du conseil municipale la commune de Tiaret, 1924-1929 n : 364, dater le 10-8-1928

4)- C, A, O, M, 3M558, ibid.

5)- J Berque, Le Maghreb entre deux guerres, collection esprits, diction, paris, 1962, p:252.

يخدم مصلحة الاستيطان وتطويره في المنطقة، ومراقبتهم بشكل مستمر، فإلى غاية هـذه الفتـرة، السياسة الاستيطانية الفرنسية المطبقة في تيارت على وشك الانتهاء، بدليل عدد المراكز الاستيطانية التي بنيت وحولت إلى بلديات كاملة الصلاحيات، إضافة إلى استقرار مجموعات كـبيرة مختلفـة الأجناس.

2- الجوانب الاقتصادية:

انطلاقا من مقولة مشهورة للجنرال طوكفيل لابد من بناء جسر من ذهب لمن يذهب إلى إفريقيا، يتبين لنا أن الفرنسيين يريدون أرضا للاستعمار والاستغلال، خاصة وان الجنرال بيجو، لم يكن يسعى لجلب الفلاحين لأفكاره ولا لأن يغير المجتمع، بل يفضل تكليف الجنود بعمارة الأرض لأنهم الوحيدون القادرون على مواصلة الاحتلال، بجعلهم مستعمرين بعد نهاية حياتهم العـسكرية وتقتضي خطته من وراء ما سبق ذكره، تنظيم فرق خفيفة تهجم بسرعة وتقطع التموين بحـصار اقتصادي، فأوصى جنوده بدلا من إتلاف الغلال والمحاصيل بان تحصد وتجني وتـستعمل لتغذيـة الجيش أو تدخر لأوقات ضرورية، من خلال الاستيلاء على أهم مطامير الحبوب لأهالي منطقـة تيارت [1]، فعلى سبيل المثال لا الحصر، في هجوم لقبائل المخزن ليلا على مخازن الحبـوب والـتي تعود ملكيتها إلى قبيلة "أولاد سيدي خالد الشراقة"، والتي عرفت باتحادية الحبوب المـشهورة في المنطقة[2]، وكذلك بالنسبة لكل من أملاك دوار "توريش" نحو "895" قطعة أرضـية، الجديـد، الحانوت وغيرهم[3].

ونلاحظ من خلال اطلاعنا على البعض من الوثائق الأرشيفية الخاصة بمنطقة تيارت، انـه كانت بها محاولات عديدة لزراعة التبغ بمنطقة الشريطة [4]، ما ساعده في بداية الأمر نزول العديد من الهجرات الأجنبية الاسبانية، لا سيما من مقاطعة موريس(Murcie)؛ دون أن يهملوا مهنـهم الأولية كمزارعين للبقول والحراسة الليلية.

---

1) - C, A, O, M, 2m181.

2) - Barellet , op cit , p: 277.

3) - C, A, O, M, 2m181, commune mixte de Tiaret, département d'Oran, arrondissement de Mostaganem.

4) -C, A, O, M, 2m181.

أ- تزايد الهجرات الاوروبية الى المنطقة:

تطلب المشروع الاستيطاني الفرنسي في تيارت تشجيع الهجرة إليها، ببث عناصر أجنبية، فبدأت المجموعات الأولى من المستوطنين تصل إلى أرض تيارت على متن السفن الفرنسية المهيـأة خصيصا لذلك، بتاريخ 15 مارس 1844؛ خاصة وانه تم تهيئة الرأي العام الفرنسي والأوروبي عبر وسائل الدعاية والصحافة ، التي صورت الجزائر كحلم قابل للتحقيق عملت على نشره وشرحه، كون أن فرص تحقيق هذا الحلم ممكنة[1]، وعليه ستصبح عملية ومن الواجب تطبيقها على أرض الواقع، بمنح قطع أرضية مجانية، ما جعل الراغبين في الهجرة والتوجه إلى تيارت يتدفقون عليها، نجد أنها ارتفعت بشكل مستمر، وفيما يلي جدول رقم "1"[2] تزايد هجرات مختلف الفئات بـالألف إلى منطقة تيارت عبر السنوات الآتية:

السنوات	فرنسيين آلالف)	أجانب(أسبان يهود وايطاليين)	رجـــال (بألالف)	نســـاء (الألف)
1844	18	20	82	10
1846	53	28	141	29
1851	296	144	467	138

ولتعزيز المشروع أكثر، تمت عمليات منح امتيازات(أراضي زراعية) للمستعمرين الجـدد، بغرض تشجيع الاستيطان والاستيلاء على أراضي الجزائريين، ومن أبرز الأمثلة على ذلك، حصول الفرنسي المدعو "اورتولو جير" (hortoulon Gierre) على مساحة تقدر ب: 22 هكتار، كمـا استفاد "ايزوفي اوغو"(Exoffier Oron) لمساحة تشمل 26هكتار95 أر و20 سنتأر في وسـط مدينة تيارت العسكرية، ومجمل أراضي بمعدل 30هكتار85ار و20سنتأر اسـتفاد منـها للـسيد "تيريقوصو داجي"(Terregosso Dajie)؛ كما تحصل السيد "قوتي جون" على أراضـي زراعيـة بمعدل 12هكتار و44أر و80 سنتأر، ومساحة أخرى تقـدر ب 31هكتـار للـسيد " شـوليغو

[1]) - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1854، ديوان المطبوعات الجامعيـة ، الجزائر، 1985، ص: 24 .

[2]) - C, A, O, M, 2m 181, état de population par années depuis la création, centre de Tiaret.

فغونسوا"(Choléra fransois) بجوار منها، لتزداد مساحة الأراضي بمعـدل 41 هكتـار للـسيد "قودمونت شارلي"(Goudmant Charlu)، فضلا علـى أراض سـلمت إلى الـسيد "مينـو جون"(Minot Jean) نحو 42هـكتار و08 أر و16 سنتأر دائما في منطقة تيارت.[1]*

وما هو ملاحظ أن السلطات الفرنسية لم تتردد في تشجيع هذه العملية، انطلاقا مـن سـنة 1851 والتي استمرت حتى إلى فترات متأخرة من وجود الاستعمار الفرنسي في المنطقة، مما يؤكد هدف السياسة الفرنسية من وراء الاحتلال وهو الوصول إلى غاية تحقيق المـشروع الاسـتيطاني وتوسيعه، عن طريق أسلوب أخر.

ب- مصادرة أراضي سكان المنطقة وفرنستها:

لعبت التشريعات العقارية دورا آخر اعتمد على زعزعة حياة الجزائريين بشكل خطير، نتج عنها آثار متلاحقة؛ حاول الأوروبيون من خلالها النفاذ إلى عمق أراضي السكان في إطار عمليـة الاستيطان[2]؛ ولأجل ذلك سعت الإدارة الاستعمارية جاهدة إلى تطبيق أهم القوانين الفرنـسية المختلفة، إذ يعتبر صدور هذه الإجراءات دافعا وعاملا أساسيا لاطمئنان المـستوطنين إلى الإدارة الاستعمارية، الدليل على ذلك زيادة الهجرات الأجنبية إلى منطقة تيارت والتي توسعت وتحولت في ظرف قصير إلى مستوطنة كبيرة، توزعت فيها العديد من العائلات الأوروبية.

ولهذا أصدرت السلطات الفرنسية في 1844/10/01 قانونا خاصا بالأوقاف والأملاك العقارية، جاء فيه أن الأرض غير المستغلة والتي لا تثبت ملكيتها بعقد مسجل في المصالح العقارية الفرنسية تصبح تابعة لأملاك الدولة، مما يخول لها حرية التصرف في الأراضي التي استولت عليها، إضافة إلى أن هذا القانون لا يعترف بعقود مسجلة قبل دخول الاستعمار لأي منطقة، ولهذا أي ارض لا تخضع لهذه العملية فهي مهملة وبدون مالك ويجب ضمها لـسلطة الفرنـسية[3]، ولقـد نجحـت الإدارة الاستعمارية بفضل هذا القانون وغيره من إرساء اللبنة الأولى لمشروعها الاستيطاني التوسعي، بدليل

---

1) - C, A, O, M, 2m181, ibid.

*)- للاطلاع على تفاصيل أكثر فيما يخص قائمة امتيازات منحت للأوروبيين يمكن الرجوع إلى نفـس العلبـة الخاصـة بالأرشيف الوطني لما وراء البحار (A, N, O, M -Aix en Provence)

2) -Violette (M), l'Algérie vivra t'elle paris, félix Alcane, 1931, p :87.

3) - Abdellatif benachenhou, Régimes des terres et structure agraires au Maghreb, édition populaire de l'armée, avril 1970, p: 55.

تلك المساحات الشاسعة من الأراضي الخصبة المشاعة غير المثبتة في السجل العقاري التي تمكنت السلطة الفرنسية من الاستحواذ عليها[1]، والى جانب القانون السابق نجد قانون آخر لا يقل عنه خطورة، صدر بتاريخ: 1845/10/31[*]، ينص على مصادرة أراضي كل من يقوم بعمل عدائي ضد السلطات الفرنسية الموجودة في المنطقة أو ضد مستوطنيها الجدد، والذي استمر في تطبيقه بتيارت إلى غاية 1851، السنة التي كثرت بها عمليات المصادرة.[2]

ومن نتائج السياسة الفرنسية بالمنطقة، الرد على الأفراد الذين شاركوا في مختلف الانتفاضات، بحيث شكل الاستحواذ على الأراضي ألفلاحيه من أهم نتائجها، بحيث جرد الفلاح من أرضه، ما يعد اكبر إجراء عقابي في حقه، وبذلك أثّر هذا القانون سلبا على الجزائريين بانتزاع أراضيهم وهي أعز ما يملكون، واتخذت الإدارة الاستعمارية من هذا الأخير أداة فعالة لمصادرة أراضي الجزائريين، وجعلها قابلة للتبادل، خاصة بعد إعلان إدارة الاحتلال بالقسم العسكري بمركز تيارت أن أي محاولة أهلية لردع السياسة الفرنسية، مباشرة يتخذ إجراء ضد الفلاح وأرضه، وهذا ما جاء في مفهوم كلام احد الجنود والذي نقلناه من جريدة اكو تيارت.[*]

ومن الإجراءات الصادرة في هذا الشأن، نذكر على سبيل المثال، حجز أملاك المدعو سيد الحاج بن براهيم، الذي ينتسب إلى المرابط احمد بن عثمان الذي يصل نسبه الشريف إلى إدريس الثاني، الذي جاء من المغرب واستقر "ببني ميمون" مع أخيه الشيخ سيدي عبد الله بن عثمان، ليقيم في آخر المطاف بجبل عمور[3]، شارك بن براهيم في النشاط الثوري بقيادة الشريف

---

1) -C, A, O, M, 3m559 + pour consulter plus regarde chapitre n° 2.

*) - نص قانون 1845 على معاقبة كل من يقف أمام السياسة الاستيطانية الفرنسية المطبقة في أي مستعمرة في الجزائر، أو من يمد يد العون للثوار سواء بطريقة مباشرة أو بشكل أخر ، للمزيد من التفاصيل عن هذا الأخير ينظر: Addi lahouari, de l'Algérie prés coloniale à l'Algérie coloniale, Alger, p:51+ M, P. De mener ville, Dictionnaire de la législation Algérienne, 1er volume, 1830-1860,3eme, Alger, paris, 1877, p: 576

2) - C, A, O, M, 2m181, notice historique et statistique de Tiaret.

*) - إتهاما لعمليات الاستيلاء على الأراضي، لجأت إدارة الاحتلال إلى القول ، بدعوى مشاركة الأهالي في ثورات ضد السلطات الفرنسية، حسب مقال جاء في جريدة اكو تيارت الموجود بمركز أرشيف ولاية وهران غير معنون وغير مصنف.

3) - Archive de wilaya de Tiaret, centre de Trézel, archive famille de sidi hadj Mohamed ben Brahim, fon non classer.

بومعزة(♣♣) الذي تولى الجهاد ضد القوات الفرنسية بنواحي الظهرة والونشريس ما بـين سـنتي 1844-1845[1]، بالإضافة إلى مصادرة ممتلكات قبيلة "الأحرار"، لذا يجدر بنا القـول إلى أن القبيلة كانت تتزعم العديد من الاتحاديات ألفلاحيه نظرا لتطور النشاط الزراعي فيها.

يمثل الجدول رقم "6"[2]الأتي، أهم ممتلكات القبيلة السابق ذكرها، والتي تمكن الجيش الفرنسي من الاستحواذ عليها.

القمح (ق)	الشعير (ق)	اسم القبيلة	تقسـيم أفواج
1,6	310	أولاد سيدي خالد الشراقة	الأحرار
1,2	2400	أولاد زوي	
150	250	أولاد بن عفان	
650	1300	الكعابرة	
350	650	الشاوية	
420	800	أولاد بلحوسين	
200	400	أولاد زيان الشراقة	
650	1300	أولاد زيان الغرابة	
400	800	الدهالسة	
550	1100	المرابطين الغرابة	
250	500	أولاد عزيز	
1300	2500	أولاد حدو	
1400	2700	أولاد بو رنان	
1500	3000	أولاد خروبي	أولاد خليف
1100	2200	الصحاري الشراقة	
500	950	القنادزة	
40	100	أولاد مازن	

♣♣)- الشريف محمد بن عبد الله المدعو بومعزة وهو الاسم الكامل له، تزعم الثورة ضد فرنسا ينتسب إلى أولاد خويـدم بحوض الشلف، ترجع أصول عائلته إلى جنوب المغرب الأقصى، هو من أصحاب الطريقة الطيبية الدرقاوية، عـرف بثورتـه بمنطقة الظهرة وحوض الشلف، ينظر: يحي بوعزيز، "المقاومة المسلحة في جبال الونشريس وزكار وحوض الـشلف ضـد الاستعمار الفرنسي 1840-1870 "، ص: 113، وينظركذلك، صور من الملتقى الرابع عشر للفكـر الإسـلامي 13-1980/9-7/8، منشورات وزارة الشؤون الدينية دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة،1981، ص ص: 103-114.

[1])- Comité Bugeaud, La colonisation officiel de, op. cit, p: 162

[2]) -Fabre, op cit, p: 267.

مما يكشف لنا ما مدى استيلاء سلطات الاحتلال الفرنسي على ممتلكات أهالي منطقـة تيارت، خلال سنة 1846 نتيجة مشاركتها إلى جانب قائد المقاومة بومعزة وهي إنذار وتحذير لأي مشاركات أخرى معادية لها، كما يبين أن إدارة الاحتلال عملت جاهـدة لتوسـيع الـسياسة الاستيطانية في منطقة تيارت وذلك من خلال عمليات سـلب الأراضـي بمختلـف الأشـكال والأنواع، سواء من تلك العناصر "المتمردة" في نظرها، أو لغاية المنفعة العامة ولكن هي غير ذلك، أو عن طريق الشراء ألقسري بأثمان زهيدة من قبل مصلحة أملاك الدولة، أو مـن خـلال دفـع الجزائري للمستوطن بارتكاب مخالفات قانونية فيتم انتزاع أرضه أو أي نوع من ممتلكاته.[1] *

لقد مس هذا الإجراء معظم أهالي منطقة تيارت، والذي لم يأخذ بعين الاعتبار إلا مصلحة المستعمرين بالدرجة الأولى، وبما أن عمليات تقليص المساحات تكررت مرتين أو أكثـر(1863-1865)؛ خاصة وان الأهالي لم يعودوا يثقون بالعقود التي تمنح لهم والتي قد تلغـى في أي وقـت، بالإضافة إلى تطوع بعض المضاربين الوهميين بإطلاق إشاعات تخص المصادرات المتوقعة مما يسمح لهم باقتناء أراضي بأبخس الأثمان، الواقع أن هذه السياسة أدت إلى تحطيم وحدة القبيلة والحط من مكانتها الاقتصادية ، والسياسية والاجتماعية، مما أدى إلى تحرك ثوري تـرجم في العديـد مـن المساهمات السكانية إلى جانب العديد من المقاومات تعبيرا عن رفض مشروع الاسـتيطان، مـن خلال سلسلة من المشاركات ذات طابع جهوي بقيادة زعامات دينية، أبلى فيها سكان منطقـة تيارت بلاءا حسنا كغيرهم من سكان المناطق الأخرى، وبالرغم من النتائج الوخيمة التي نتجـت عنها والتي تضرر منها سكان المنطقة، جردوا من ممتلكاتهم العقارية ولفلاحيه.

أما المصادرة فكثيرا ما كانت تتم "للمصلحة العامة" حسب تعبير الإدارة أو أنهـا تقـوم بتعويض الجزائريين ماليا، ولكنها تبقى إحدى انعكاسات السياسة الفرنسية المنتهجـة في منطقـة تيارت، والتي مست الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للفلاح الجزائري.

---

[1])-C, A, O, M, 2m181 + H80.

*)- هذا ما يتفق مع ما جاء به ابن اشـهو، ينظـر: (Benachenhou (A), le Régime des terres Agra ire au Maghreb, édition populaire de l'armée, 1979, p: 97

وأثناء دراستنا لبعض التقارير الخاصة بمنطقة تيارت، لاحظنا أن سكان المنطقـة تـضرروا كثيرا من الضرائب التي كانت تفرض عليهم، والتي تعد انعكاسا اقتـصاديا لـسياسة فرنـسا في المنطقة.

ج- إرهاق الجزائريين بالضرائب:

أخذ موضوع الضرائب حيزا كبيرا في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية باعتباره جزءا من مشروع السلطة الفرنسية في المنطقة، فهو إجراء جد معقد خـضع لمجموعـة مـن القـوانين والقرارات المنظمة له، بحيث مست هذه الأخيرة المجال الاقتصادي أكثر من الميـادين الأخـرى، غرضها تجريد الجزائريين من أراضيهم حتى تستولي على معظم ممتلكاتهم وعقاراتهم [1]؛ فما هـي أنواعها وكيف كانت تأثيراتها السلبية على الأهالي الجزائريين بمنطقة بتيارت؟.

أهم ما ميز منطقة تيارت خلال الفترة الاستعمارية خضوعها إلى نوعين من الضرائب والتمييز الملحوظ بين الجزائريين والأوروبيين في تحصيل الضرائب[2]، ضريبة العشور، الزكاة، ودائمـا في خضم الموضوع، نجد أن المشرع الاستعماري أعتمد على القوانين الإسلامية السابقة، التي كان لا يزال بموجبها يقوم بجباية الضرائب العينية، مباشرة بعد تثبيت أقدام الاستعمار الفرنسي في تيارت، خاصة بعد سقوط زمالة الأمير عبد القادر، وتوجيه الجنرال لامورسيار ببنائها مركز عـسكري، بحيث تمت العملية انطلاقا من صدور مرسوم 1845/01/17 المتضمن دفع الضريبة نقـدا، شملـت جميع مناطق الجزائر[3]؛ فكانت على النحو التالي: - العشور: تقدر ما بين 12 و 14 هكتـار في الجزء الذي يكثر فيه المنتوج، وما بين 8 و 10هكتارفي المناطق الجبلية، بحيث طبق هذا النوع مـن الضرائب في منطقة السرسو، فكانت قبيلة بني مايدة من إحدى أهم القبائل التي تضررت بكثرة من هذه الأخيرة[4]، الزكاة، وهي تمس الثروة الحيوانية، كانت تفرض على جميع حيوانـات سـكان المنطقة المستغلة للفلاحة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد ما فرض على قبيلة "أولاد عزيز" لـسنة

[1])- رزاقي عبد الرحمان "الضرائب في الجزائر ما بين 1871-1914 " في مجلة الباحث فصلية تاريخية تابعة للجيش الوطني الشعبي ,نوفمبر 1886 العدد 3، ص ص: 38-43.

[2]) - Ageron (CH.R), Les Algériens Musulmans…, T1, op cit, p: 195.

[3]) - زوزو عبد الحميد ، المصدر السابق، ص: 207.

[4]) - C, A, O, M, 2m181.

1856 ما قيمته ب: ثورين من البقر، نظرا لشهرتها بالسوق الأسبوعي الذي كان يعج بمختلـف المنتجات المتعددة القادمة من مدن الجنوب وغيرها[1].

مما يجعلنا نتصور أهمية تحصيل الضرائب بالنسبة لممثلي المستوطنين والإحساس بعبئها وثقلها على الأهالي الجزائريين، الذين يلتزمون بدفعها، في حين كان الأوروبيون معفـيين لفتـرة مـن الضرائب العقارية[2]، من خلال ما لاحظناه في أن فرض الضرائب كان ضعف ما فـرض علـى الكولون.

مما لا شك فيه أن الجزائريين اشتكوا من هذا النظام القمعي الذي سلط علـيهم خاصـة سكان الريف، الذين أصبحوا يعانون من الفقر بسبب دفع الضرائب، لتمويل ميزانيـة البلـديات ودفع الرشاوى للقياد، وبذلك ازداد هذا الفلاح عجزا وبؤسا، وتعرضه للغرامات الجماعية أحيانا و للسجن أحيانا أخرى [3]؛ إلى جانب تضرر سكان المنطقة من الكوارث التي حلت بهـم سـنتي 1867 و1868 مقارنة بالسنوات السابقة والتي تعرضت فيها كامل الأراضي الزراعية الواقعة بمنطقة تيارت إضافة إلى هلاك المحاصيل الزراعية[4].

فالنظرة الاستعمارية بمختلف وسائل الإدارة الفرنسية هدفها الوصول إلى تفقـير سـكان منطقة تيارت، وذلك ما لوحظ من خلال تتبعنا لسنوات الاستيطان الفرنسي في المنطقة، بـالرغم من كثرة المنتوج ألفلاحي المعروف بمنطقة تيارت، وهذا ما أدى إلى مجاعات حلت بالمنطقة ما بين جويلية 1867؛ و01ماي 1868 بحيث بلغت الوفيات65 شخصا لسنة 1867 بنسبة 5؛3% لترتفـع النسبة ب: 95 ما يعادل 5%، وهو العدد الإجمالي من ذكور وإناث[5]، فمن الطبيعي أن تحـدث مثل هذه الكوارث كالمجاعات، والتي تسببت في هلاك العديد من الأسر والأطفال، مـا أدى إلى تزايد عدد الهجرات الأوروبية إلى المنطقة، فضلا على تقلص أراضي الفلاحين مقارنة بمـساحات

---

1) - C, A, O, M, 2m181.

2) - أنظر في هذه المجال المداولات العديدة لـ:

- Conseil Générale Département D'Oran, Séance ,11 oct.1882, PP:46- 48+ Département Oran et son conseil général, 1830-1930, op.cit, PP: 220-221.

3) - Ageron (CH .R) Les Algériens Musulmans ….T2, op, cit, PP: 707-730.

4)- C, A, O, M, 2m181, état de populations par les années depuis la création.

5) - C, A, O, M, 2m181, état de populations, ibid.

المستعمر الأجنبي بسبب إجراءات المصادرة وعمليات السلب، حيث تم إحصاء ما يقارب 190الف هكتار بيعت إلى المستعمرين بمنطقة أولاد خروبي لسنة 1868؛ إلى جانب بيع ما معدله 12الـف هكتار من أملاك قبيلة أولاد لكرد[1]، لقد استفاد المستوطنون من نتائج تطبيق القوانين العقاريـة، التي سمحت لهم باغتصاب أراضي عديدة بالقطاع ألوهراني وهذا حسب تصور كل من المـشرع والإدارة الاستعمارية في الجزائر والمستوطنين.[2]

د- ملحقات المركز الاستيطاني تيارت:

أ- ملحق تاقدمت:

من خلال مداولات بلدية تيارت بتاريخ 17 جانفي 1871[♣] والتي جاء فيها ضرورة إنشاء "ضيعة في تاقدمت" بمساحة تقدر ب: 45 هكتار، مساحة كافية للفصل بين الأوروبيين والأهالي، كما جاء في التقرير أن المنطقة تتميز بأراضي السبيقة لقبيلتي "بني مدين" و"أولاد شريف الغرابة"، إضافة إلى أن المشروع يتوسط ملكية قبيلة "أولاد بلقاسم"، وبالرغم من هذا بقي المشروع قيـد الدراسة إلى غاية 22 أفريل 1870[3]، أما بتاريخ 25 أفريل 1871 فقد تم عقد اجتماع حضره كل من المسؤول العسكري للمنطقة جـاريغو مـاري (Garaio) وقائـد المكتـب العـربي مـاغيو جامي(magrio gami) وغوبي ألياف (gobie aliaf) وصوفيناس (soignasse) كخبراء تبوغرافيـا ومحمد بن يحي، أغا المنطقة ومجموعة أخرى، خرج بمجموعة نقاط أهمها، تقسيم ملكيـة كـلا القبيلتين إلى ملكيات فردية، أما بخصوص بناء الضيعة، فقد ضبط الخبراء موقع المشروع في المنطقة،

---

1) - C, A, O, M, 2m181.ibid.

2) - Tinthoin (R)"les Artisans de la colonisation française en Oranie" in B .S.G.A.O, 1947, T68, PP: 53-78.

♣)- كما نص قانون 1870 على تحويل الجزائر إلى مستعمرة مدنية وإلحاقها بفرنسا مباشرة وتحويلها لمقاطعة فرنسية، تتبع وزارة الداخلية وتم تحويل أقاليمها إلى عمالات وكل واحدة تنقسم إلى نوعين من الأراضي أراضي مدنية، وأراضي عسكرية أطلق عليها أراضي الأوامر أو الوصايا وبدورها ألحقت المقاطعات العسكرية للحاكم العام المدني للجزائر بموجب قـانون 29 مارس 1871، وكذلك تم إلحاق المكاتب العربية بوزارة الداخلية ، ينظر: – Statistique Général de l'Algérie,1885 La Source : Emile Larcher, législation algérienne , T I, Arthur rousseau , Alger, 1890، وينظـر: 1903,p: 324.

3) - C, A, O, M, 2m181, extrait du registre des délibérations du conseil municipale de la commune de Tiaret, 22 avril 1871, Algérie département d'Oran.

بحيث يحدها من الشمال غابة تاقدمت ومن الجنوب الطريق الرابط بين تيارت إلى فرنـدة ومـن الغرب، طريق مينا، أما شرقا فتتصل مع مركز شرطة تيارت.[1]

كما ورد إحصاء لممتلكات قبيلة بني مدين والتي تحوز أراضي زراعيـة تبلـغ مـساحتها 1920هكتار، وقبيلة "أولاد شريف الغرابة" ما مجموعه 187هكتار، والذين يتقاسمون ملكية جماعية تقدر ب: 1307هكتار، لينتهي الاجتماع بضرورة إخضاع القبيلتين لإجراءات قانون سـيناتوس كونسلت 1863، والتي تبلغ مساحة أراضيها 8226هكتار و59 آرو 54 سنتأر، والتي تفصلها عن أراضي لدوار "بن بايل" بمساحة 187هـ التابعة لقبيلة "أولاد شـريف الغرابـة" مـا يـساوي 8413هكتار و59 آر و54 سنتأر مساحة إجمالية لهذه الأراضي.[2]

جاء في رسالة من مركز بلدية تيارت المؤرخة بتاريخ 10جويلية 1872 إلى قائـد الناحيـة العسكرية بمقاطعة وهران، اقتراح تأسيس مركز جد مهم ما بين منطقة الزمالة وتيارت بمـساحة تقدر ب: 3473هكتار ما بين عين الكرمة والزمالة[3]، بحيث تتربع هذه الأخيرة علـى مـساحة إجمالية تقدر ب: 2500هكتار، والتي كانت تحت سيطرة إدارة الاحتلال الفرنـسي في المنطقـة، ومساحة 973هكتار ملكا للمعمرين الأوائل في تيارت، إضافة إلى أن المنطقة تتربع على العديد من مصادر المياه مما سيجعل المركز يتطور سيصبح فيما بعد مركزا لتربية الخيـول يـسمى ملحـق شاوشاوة.[4]

ح- ملحق الجبال المربعة:

تم عقد اجتماع بتاريخ 26 ديسمبر 1881 بين قائد الناحية العـسكرية لمنطقـة تيـارت، وأعضاء آخرون غير مذكور أسماءهم في سجل مداولات البلدية لسنة1881؛ لغرض تأسيس مركز آخر يسمى بالجبال المربعة(♣)، نحو 50 قدم في المنطقة الجنوبية من سهل السرسو "لأولاد شـريف

---

1) - C, A, O, M, 2m181, extrait du registre des délibérations du conseil municipale de la commune de Tiaret, 25 avril 1871, Algérie département d'Oran.

2) - C, A, O, M, 2m181, Algérie département d'Oran, ibid.

3) - C, A, O, M, 2m181, projet pour la création d'un centre à chaou chaoua territoire de smalah à Tiaret, Algérie département d'Oran.

4) - C, A, O, M, 2m181, rapport sur le projet de création d'un centre soixante feux au lieu dit chaou chaoua, sur la grande propriété domaniale de la smalah engobée don le douar de torriche (ouled chérif chraga), Algérie département d'Oran.

♣)- Montagne carréeيمكن الرجوع إلى الملحق الخاص بهذا المشروع رقم: (09)

الغرابة"، أي بحدود مسافة بين السرسو والتل، يتصل مع منطقة الشريطة في الـشرق، ملاكـو، تاقدمت عين الصفصاف ومشرع الصفا غربا[1]؛ فيتربع محيط البلدية على مساحة 2572 هكتـار تتوزع على النحو الأتي: 1416هـكتار و50 أر أراضي فلاحية، ذات طابع جماعي لقبيلـة "بـن رحليل" مع قبيلة "أولاد شريف الغرابة"، و1136هكتار تابعة لأملاك الدولة، كما تم ضبط مركز المدينة في وسط الغابات بجبل سيدي عابد مسافة 02 كلم عن مركز الجبال المربعة ؛ خاصـة وأن المركز لا يتوسط أو يتصل بأي طريق عدا طريق افلو بحيث يصعب استعمال أي وسيلة من وسائل المواصلات، بحيث تستغرق 16 كلم من داخل المدينة إلى تيارت و10 كلم من المركز إلى الشريطية وملاكو، لذلك سميت بالجبال المربعة. [2]

أما من الناحية الاقتصادية، فيعد الكولون هم الزراع الحقيقيون في المنطقة في حين كـان الأهالي مسخرين للعمل تحت أوامرهم، لتوفر الشروط الجيدة لزراعة الحمضيات والكروم وتربيـة الدواجن والتي تتربع على مساحة قدرها 1200هكتار [3]، فتم إنشاء شبكة طرق بقيمـة 40000 فرنك، قاعة حفلات ب:20000 فرنك، وبناء مدرسة مختلطة(بنات وذكور) ب: 12000 فرنك، كنيسة بقيمة 10000 فرنك، وإنشاء شبكة من الآبار ب:15000 فرنك، إضـافة إلى مـصادرة 04هـكتار أراضي قبيلة أولاد "شريف" بمساحة 20ه‍كتار، بغرض بناء05 مـصانع في المنطقـة، والتخمين في إنشاء مجموعة من المسالك والدروب والطرق الريفية بمجموع 46هكتارو50 أر.[4]

ودائما في إطار الاستيطان في المنطقة خلال هذه السنوات، نلاحظ أنها تعززت ببناء المركـز الاستيطاني لتيارت واتبعت بجملة من ملحقاته، مما يتبين أن ظاهرة الاستيطان فيها كانت حقيقة لا مفر منها، وتوسعت بشكل كبير بدليل ما قلناه سابقا، مما يبين أهميـة المـستوطنات والمراكـز الاستيطانية في المشروع الاستعماري الفرنسي وحقيقة تطبيقه في المنطقة.

---

1) - C, A, O, M, 2m181, rapport sur le projet de création d'un centre de cinquante feux à la montagne carrée, Algérie département d'Oran.

2) - C, A, O, M, 2m181, ibid.

3) - C, A, O, M, 2m181, rapport sur le projet de création d'un centre de cinquante feux à la montagne carrée, Algérie département d'Oran, op cit.

4) - C, A, O, M, 2m181, rapport sur le projet de création d'un centre de cinquante feux, ibid.

2-الجوانب الاجتماعية:

تشكل المجموعة البشرية المسماة عادة بالقبيلة، الوحدة الاجتماعية الأساسية في الريف الجزائري، فهي وحدة قائمة على قرابة الدم وملكية الأرض، فإذا قلصت ارض العشيرة نظامها الاجتماعي والاقتصادي قد يضطرب و يؤدي إلى تفتيتها، ما عملت الإدارة الاستعمارية على فرضه للوصول إليه، فتمكنت من فرض تشريعات مختلفة، مست جميع جوانب حياة هذا المجتمع بما في ذلك أوضاعه الاجتماعية.

أ. التمايز الطبقي:

ترتب عن تطبيق القوانين الخاصة بالجزائريين في المجال الاجتماعي، حدوث خلل في طبيعة المجتمع الجزائري لمنطقة تيارت بصفة خاصة، كان المواطن الجزائري منسجما مع نفسه يعيش في قبيلته، ويتعاون مع إخوانه، إلى أن دخل المستعمر واستغلهم أبشع استغلال، من خلال إجراءات السياسة الاستعمارية المطبقة في المنطقة[1]، فانقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات[2]، فئة المستوطنين الأوروبيين التي خصصت لنفسها مناصب عليا في الإدارة الاستعمارية، ومكنت لنفوذها من خلال تطبيق جملة من القوانين الفرنسية واستحوذت على خيرة الأراضي الزراعية، وطبقة متوسطة من الملاكين الجزائريين أمثال قبيلة الأحرار بفرعيها وأولاد عزيز بشقيها، وطبقة فقيرة تشكل أغلبية سكان المنطقة.[3]

ودائما في إطار نتائج تطبيق القوانين الاستعمارية على قبائل منطقة تيارت وخاصة على أراضيهم الزراعية، يتضح في تقسيم القوى العاملة الريفية، الخاصة بتقسيم أراضي العرش والتي قضت على الأسس الاقتصادية للأسرة، أين المناطق الجبلية، حيث كان الاستعمار العقاري مباشرا، وهذا ما يفسر لنا الزيادة المضطردة للفلاحين الذين لا يملكون أرضا وأصبحوا من فئة الخماسين، أما انخفاض عدد أصحاب الملكيات فيعود إلى بيع أراضيهم للأوروبيين مما جعلهم ينتمون إلى شريحة العمال الزراعيين.

1) - C, A, O, M, 3M558.
2) - C, A, O, M, 3M558, ibid.
3) - C, A, O, M, 2m181, ibid.

ويرجع ارتفاع عدد الخماسين إلى الظروف التي عانى منها الفلاح بمنطقة تيارت، على وجه الخصوص، فيم استأجار عمله لفترة زمنية محددة، وفي خضم هذا المعنى يقول بن نعوم:" إن خضوع الملكيات الصغيرة إلى نمط رأسمالي في الاستغلال والإنتاج أدى إلى اضمحلال الفلاحين الصغار، فأصبح الفلاح الصغير رأساليا غير قادر على تحويل فوائد أرباحه إلى رأسمال، وبالتالي فهو رأسمالي لا يملك إمكانيات لتحويل إنتاجه إلى سلع، مما اضطره إلى بيع أرضه إلى الرأسمالي الحقيقي، وبالتالي فان عملية البيع تؤمن له دخلا لا يمكنه استثماره فيتحول إلى خماس".[1]

توضح الصورة أمامنا بأن هذه التشريعات أوجدت ثلاثة طبقات، فئة الأوروبيين المستوطنين الغنية التي فككت المجتمع الجزائري مستغلة القوانين المختلفة لصالحها، وطبقة فقيرة من الجزائريين تشكل أغلبية المجتمع الجزائري، كما هدفت هذه التشريعات إلى خنق المجتمع الجزائري والقضاء على تماسكه، لذا عملت الإدارة الاستعمارية إلى المساهمة في تأسيس طبقات موالية لها كالارستقراطية ألفلاحيه بالريف التي أصبحت الأداة الأساسية لخدمة هذه الإدارة كجمع الضرائب وتنفيذ التشريعات التأديبية، فأصبح لها قيادات من باشاوات وأغوات، عانى الفلاحون من تصرفاتهم وأوجدت الإدارة الاستعمارية فئة اجتماعية أخرى بالمدن قلدتها مناصب سياسية واقتصادية وأمنية، مثل بعض الممثلين في المجالس والإدارات وبعض القضاة والمفتشين والحراس وغيرهم من بعض أفراد المجتمع الجزائري بالمناطق الحضرية الذين تمتعوا بامتيازات عديدة، منها حصولهم على عقارات بالمدن وأراضي فلاحيه بالأرياف، أمثال كل من الأغا داود بن جلول والأغا إسماعيل والسيد عدة بن داود.[2]

أ- مشكل الفقر:

بطبيعة الحال أي بلد يدخله الاستعمار تتغير أحواله وتكثر مشاكله، فكان الفقر إحدى نتائج هذا الأخير، ومرد هذا ارتفاع نسبة الهجرات الأجنبية إلى منطقة تيارت، بالإضافة إلى المساحات الشاسعة التي تمكن المستعمرون من الاستفادة منها، كعقد ملكية بالإضافة إلى خيرات الأرض، وليس هذا فقط وإنما استغلال الفلاحين كخماسين وعمال في أراضي هي في الأصل ملك

[1])- دادة محمد، السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر من 1852- 1870، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراء دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، نوقشت بتاريخ 2002-2003، قسم التاريخ وهران، ص:

[2]) - Ferry (J) et autre,op cit, PP : 61-64.

لهم وحتى لعشائرهم[1]، وكذلك المجاعة الكبيرة التي تعرضت لها المنطقة والتي وقعت ما بين 1867 و1868 التي راح ضحيتها مئات الجزائريين[2]، الذين حصدهم الموت أمام مرأى ومـسمع مـن الإدارة الفرنسية الاستعمارية، والتي لم تسارع إلى نجدة الأهالي وهذا ما فهمه هم منها، فسارعوا إلى الانتفاض ضد سياستها في المنطقة.

ج- تشتيت الأهالي:

إن كلمة الأهالي (انديجان) لم تظهر إلا في عهد الجمهورية الثالثة، حيث كان يدور الكلام قبل ذلك، وحتى نهاية الإمبراطورية الثانية حول "مجتمع عربي" إلى غاية إعلانها كسياسة جديـدة تجاه السكان الأصليين[3]، وهي بمثابة إجراء قانوني يعمل على تحطيم العلاقات الأساسية للمجتمع الجزائري بصفة عامة وسكان منطقة تيارت بصفة خاصة، وفصله كليا عن المجتمـع الكولـوني، فترتب عن تطبيق القوانين الخاصة بالجزائريين في مختلف الميادين بمنطقة تيارت إلى تراجـع لمعـنى الجماعة ووحدة القبيلة، وبصدور قانون الأهالي بتاريخ:29-08-1874، والذي يعد أخطر القوانين التي وضعتها فرنسا المعروف بقانون الأهالي(Code de l'indégénat) الذي جاء مكملا للقـوانين التي سبقته، يشير إلى ترتيبات خاصة بالتعامل مع سكان الجزائر، بحيث رخص للإدارة الفرنـسية حق القمع التأديبي وكل ما يتعلق بالمخالفات غير المنصوص عليها في التشريع الفرنسي.[4]

لقد كانت لقانون 1874 أثار وخيمة على سكان المنطقة، من أهمها لجوء الفلاح إلى بيـع أرضه مقابل العيش في أمان، وبدلا من تهجيره إلى المناطق الجبلية والأماكن الوعرة، ولكن يجدر بنا أن نتساءل، عما إذا كانت هناك ردود فعل على السياسة الاستيطانية المطبقة في منطقة تيارت؟

عرفت تيارت نماذج عديدة من المقاومات الفلاحية في شكل انتفاضـات، وهـي عمـل مناهض لتجاوزات الإدارة الاستعمارية وقوانينها بأرياف الجزائر حسب تصور الأستاذ جغلول[5]؛

---

1) - Archive de wilaya de Tiaret, op cit.

2) - C, A, O, M, 2m181, notice historique sur la région de Tiaret.

3) - C, A, O, M, 2m181.

4) - Estoublon(R), Lefebure (A), Code Annoté de L'Algérie, T1, 1830-1895 Adolphe Jourdan, 1896, p: 88.

5)- جغلول عبد القادر، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سليم قسطوان، دار الحداثة بيروت ط1، 1984، ص ص: 175-179.

برفض قواعد القوانين الاستعمارية، ومن هذا المنطلق فهذه الانتفاضات الفلاحية، كانت لها عوامل عديدة يمكننا الإشارة إلى بعضها:

- السياسة العنصرية والأيديولوجية المطبقة على الجزائريين بالمنطقة، المترتبة عن تلك التـشريعات والتي قسمت سكانها إلى طبقتين رئيستين هما: طبقة الفلاحين التي شـكّلت الأغلبيـة، وطبقـة أرستقراطية كانت تمثل أقلية ذلك المجتمع.[1]

- تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية من بؤس ومجاعات وأمراض، دفعت بالجزائريين بصفة عامة وأهالي منطقة تيارت بصفة خاصة إلى المشاركة بجانب الثوار رفضا للـسياسة الاسـتعمارية وتسلطها في المنطقة.

- التصرفات التعسفية للمسوؤليين المحليين من الأوربيين، كالحـاكم الإداري ورئـيس البلديـة، وأعوانهما من حراس وأمن حضري، وكذلك من الجزائريين كالقياد والأغوات، مـن عمليـات المصادرة المتكررة وغيرها من الإجراءات التي كانت على حساب الأهالي وممتلكاتهم ومجهوداتهم، إلى جانب تضرر سكان تيارت من حادثة الزمالة لسنة 1843.

وجد الجنرال بيجو لدى عودته إلى الجزائر عددا من زعماء المقاومة منهم أبو معزة، اثر لذلك حاول هذا الأخير العودة إلى الجبال حين انفجر الموقف بقيادته بتاريخ مارس 1845 بمنطقة الظهرة والتي تعرف بانتفاضة الظهرة في بعض المصادر الفرنسية التي أعادت الأمل بالنصر على القـوات الفرنسية[2]؛ لذلك وجه له بيجو كل القوات المتوفرة في منطقة الشلف ومنطقة الظهـرة وجهـز لمحاربته جيشا كبيرا يتكون من عدة وحدات بقيادة الكولنيل سانت أرنو والكولنيـل بيليـسي، وقامت خطتهما بالتعرض للقبائل ومطاردتها بأبشع الأساليب؛ كان أكثرها وحشية محرقـة أولاد رياح بتاريخ 18-6-1845[3].

---

1) - Galissot (R), Maghreb, Algérie Classes Et Nations Alcan Terres éditions, paris 1987 pp:154-158.

3)- Faucon Masice , le livre d'or de l'Algérie + démente Victor, la colonisation militaire sou Bugeaud , p : 122

3) - Archive de wilaya de Tiaret, centre de Trézel, archive famille de sidi hadj Mohamed ben Brahim, op cit.

شارك مع بو معزة كل من قبيلة "الأحرار" التي زودته بكل ما تملك من المؤن والحيوانات التي يستطعمونها عند الحروب، إضافة إلى تزويد الثوار بماء الشرب من عيون سهل الـسرسو وعيـون جبل قزوول، وغيرها من المساعدات التي قدمتها تلك القبيلة[1]، وعلى هذا الأسـاس صـودرت معظم ممتلكات هذه الأخيرة، والتي تمثلت في مجموعة كبيرة من الحيوانات فضلا عن الاستيلاء على جملة من الأراضي بلغت مساحتها 24 هكتار و80 أر الواقعة بالقرب من مركز تقدمت [2]، كمـا نجد مشاركة قبيلة "أولاد سيدي حمزة" العربية الأصل، والتي خرجت من جبل عمور ابتدءا مـن سنة 1854؛ والتي انفصلت لوحدها وأسست زعامة فردية بقيادتها الشخصية[3]، ترجع أصولها إلى المرابط سيدي ميلود بن محمد بن يوسف الذي قدم من المغرب، والتي كانت تستقر بضيعة تقدمت ثم انتقلت إلى مكان بمركز السوقر، عرفت بثروتها الحيوانية من أبقار وأغنام وكثـرة العـسل، إلى جانب زراعة القمح، فضلا عن زادها العلمي الديني الذي ساهم في العديد من المرات في توجيـه الثوار إلى الجهاد والدفاع عن الأرض والشرف باسم الإسلام[4]؛ دون أن ننسى مـشاركة قبيلـة أولاد سيدي الناصر[5]، والتي كانت تتعاون مع قبيلة أولاد يعقوب الشراقة والغرابة والذي يطلـق عليهم اسم عرب بني هلال والتي تستقر دائما في جبال عمور في فترة بلدية تيارت المختلطة[6]، إلى جانب قبائل أولاد قادي والتي تنتسب إلى الأب الأكبر سي احمد ولد قادي، والذي يعد من أهم واكبر العائلات التي استقرت بمنطقة السوقر وتعاملت مع أهالي منطقة تيـارت، بحيـث عرفـت بتحديها الكبير لأعمال قوات الجيش الفرنسي وأساليبه في المنطقة.[7]

1) -Aguilla Clément, Tiaret de ma jeunesse, op cit, p: 285.

2) - Aguilla Clément, ibid.

3) - Archive de wilaya de Tiaret, centre de Trézel, archive famille de sidi hadj Mohamed ben Brahim, fon non classer.

4) - Archive de wilaya de Tiaret, centre de Trézel, archive famille de sidi hadj Mohamed ben Brahim, fon non classer.

5) - Moniteur algérienne, 1854, op cit.

6) - Archive de wilaya de Tiaret, centre d'Aflou, archive famille de hadj Mohamed ben Brahim, fon non classer.

7) - Archive de wilaya de Tiaret, centre d'Aflou, archive famille de ould kadi Belhadri, fon non classer.

كما شارك بجانبه العديد من قبائل منطقة تيارت من بينهم قبيلة "الأحرار الغرابة" وقبيلة "بني مدين" و"الحساسنة" إضافة إلى قبائل "أولاد عزيز" التي تضررت كثيرا من السياسة الفرنسية المطبقة، من عمليات المصادرة المتكررة[1]، إلى جانب مشاركة قبيلة "أولاد شريف الشراقة" من مركز قرطوفة والتي تحولت بعد تقسيمات 1863 إلى تسمية دوار توريش، في انتفاضة ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية[2]، دون أن ننسى مساهمة "أولاد لكرد" التي تستقر بمركز مشرع الصفا، في رد فعلها، رافضة التوسع الاستعماري الفرنسي في بلادهم، و"أولاد بوغدو" كما هو الحال "لأولاد عويسات"، و"أولاد بن عفان"، و"أولاد مسعود"، و"أولاد فارس"[3]، ومن هنا يتضح أن إدارة الاحتلال عملت جاهدة لتوسيع السياسة الاستيطانية في منطقة تيارت وذلك من خلال عمليات سلب الأراضي بمختلف الأشكال والأنواع، سواء من تلك العناصر "المتمردة" في نظرها، عن طريق الشراء ألقسري بأثمان زهيدة من قبل مصلحة أملاك الدولة، أو من خلال دفع الجزائري إلى ارتكاب مخالفات قانونية فيتم انتزاع أرضه أو أي نوع من ممتلكاته.[4]

لقد لعبت قبائل منطقة تيارت دورا كبيرا من خلال مساهماتها ووقوفها إلى جانب زعماء المقاومة، سواء من قريب أو من بعيد، دليل على توحدهم ورفضهم للاحتلال الفرنسي الذي حل ببلدهم، فأهم ما نتج عن الاستيطان بالمنطقة، تحرك أهالي المنطقة ردا على السياسة الفرنسية المطبقة في بلدهم وتوسعها في مناطق أخرى، مما يبرز الروح الجماعية التي أدت إلى ذلك، ولكن هذه المساعدة وهذه المساهمة لتلك القبائل لم تستمر نظرا للسياسة الاستيطانية البشعة، فأدت إلى استسلام اغلبهم إلى السلطة الفرنسية الموجودة بتيارت، وخضوعهم مباشرة لفرض الضرائب.

لتتجدد المقاومة بين قبائل السرسو (بني مايدة وبني لانت) وقادها الأغا جلول بن فرحات نفسه واستمرت إلى نهاية سنة 1846؛ والتي سلم خلالها الأغا جلول نفسه إلى الجنرال يوسف الذي سلمه بدوره إلى السلطات الفرنسية نزولا عند رغبته بعدما وجه له لوما قاسيا رغم قيود الآسر جاء فيه "...ينبغي أن تعرف أنك تقف أمام آغا بن أغا ..."[5]، وقامت السلطات الفرنسية بنفيه

---

1) - C, A, O, M, 2m181.

2) - C, A, O, M, 2m181, historique de rôle joué par les tribus dans les défirent insurrections.

3) - C, A, O, M, 2m181, historique de rôle joué par les tribus, ibid.

4)- C, A, O, M, 2m181, H80.

5) - C, A, O, M, 3m558, ibid.

إلى الجنوب (الأغواط) حيث يقيم أخواله وتحوله إلى فلاح معدم لا يملك إلا 15 رأس من الماشـية و05 رؤوس من الإبل.[1]

ردود الفعل المختلفة:

وهذا ما انعكس الوعي التحرري الاستقلالي لقبائل منطقة تيارت الرافض للسياسة الفرنسية في المنطقة، والتي تضررت كثيرا من الإجراءات الاستعمارية البشعة ضدهم، وعادة ما يأتي الرد مـن نفس النوع وتؤدي الأسباب إلى نفس النتائج، وهذا ما انطبق على رد الفعل في منطقة تيـارت، حيث تحولت من الأسلوب العسكري الذي يهدف إلى طرد الاستعمار الأجـنبي إلى الأسـلوب السياسي السلمي للحفاظ على مقومات المنطقة والدفاع عن مصالح أهلها، ولهذا نتساءل عما إذا كانت هناك ردود فعل أخرى ضد السياسة الاستيطانية المطبقة في المنطقة ؟، وإذا كانت هناك فما هي مظاهرها؟.

لقد بقي موقف التمسك بالأرض، مبدأ ثابتا في تعامل سكان المنطقة مـع الاسـتعمار، ووظفوا الأساليب التي اجتهد فيها المستعمر لإعطاء الشرعية لإجراءاته، فمع تطبيق قوانين مصادرة الأراضي التي ليس لها عقد إثبات، بدأ سكان المنطقة يظهرون وثائق الملكية القانونية مستخرجة من المصالح القضائية، وتعود بعض هذه الوثائق إلى ما قبل الدخول الاستعماري ومن بينها وثيقة بـلا عنوان جاء في صلبها (تقييد بلاد أولاد سيدي الشيخ بن الدين) المعروفين بثـرواتهم وممتلكـاتهم العقارية، والتي تضمنت تحديد المساحة الزراعية المستخرجة من الأصنام[2]، كما حـاول سـكان المنطقة إثبات المعاملات العقارية وتم تسجيلها في المحاكم الفرنسية وإشهارها بعد ختمهـا بخـاتم رئيس لجنة مصلحة الاستيطان.[3]

إن هذه الوثائق التي تحتفظ بها بلدية السوقر وغيرها من الوثائق تعكس مستوى الوعي الذي بلغه سكان المنطقة، و تظهر مدى تمسكهم بأراضيهم وعدم التفريط فيها، ومن بـين مظـاهر رد الفعل عن رفض التخلي عن الأرض، ما أشارت إليه مصلحة الاستيطان في القطاع الغربي، لعلمها

1) - C, A, O, M, 3m558, ibid.

2) -Archives du Tiaret, marabouts des Aflou, chapitre III, boite non classé.

3) - Archive de Tiaret, commune de Aflou, boites non classé,

المسبق بقرار المحكمة، إن القاعدة المطبقة في المنطقة بتطبيق إجراء مصادرة الأراضي يعتبر إجـراءا قانونيا والدفاع عنها عمل غير مشروع.

ولقد نشرت نفس المصلحة قيام احد الفلاحين في منطقة تيارت وبالضبط في عين الكرمة إلى حفر الطريق و تخريبها بسبب مرورها بأرضه رافضا كل مساومة أو تهديد [1]، فمثـل هـذه المواقف ليس عنادا يطبع سكان المنطقة، بل استماتة في الدفاع عن الأرض رغم أن هذه المواقف لم تصل إلى مستوى الثورة.

لقد وقف سكان منطقة تيارت ضد سياسة مصادرة أراضيهم، حيث واجهوا الموقف بكل عنف وشدة، فرفض الفلاحون بيعها للمستعمر الفرنسي، مهما كانت الظروف لكنهم اضـطروا في أوقات الشدة إلى ذلك، ولكن دون التفكير ولو للحظة في التنازل عنـها، ولكـن الـسياسة الاستيطانية المطبقة أدت إلى حدوث ذلك من خلال تطبيقات قوانين التجزئة، والتي عملـت إلى تفتيت الأرض وزوال معنى الجماعة، فانقسم معها السكان إلى دوائر، مداشر وقرى، فتم تفجـير العائلات من الداخل عن طريق النفي والهجرة الاضطرارية أو الإجبارية إلى المناطق الجرداء والبعيدة عن المنطقة، إن هذه المواقف هي وجه من وجوه الرفض، والمقاومة بادر إليها سكان المنطقة ضد السياسة الاستعمارية الاستيطانية، وتبقى هذه المحاولات، رسالة مفتوحة تنفي نجـاح المـستعمر وتثبت فشله في إدماج الجزائر في منطقة تيارت، والذي عبر عنه أحد المستعمرين بقوله "وجـدنا أنفسنا و سنجد أنفسنا ولوقت طويل إزاء شعب لا يتحمل إلا بمشقة سيطرتنا، وهو يلتمس كـل الوسائل و يغتنم كل المناسبات ليتحرر".[2]

1) - C, A, O, M, 2m181.

2) - C, A, O, M, 2m181.

خاتمة

خاتمة:

كانت قبائل منطقة تيارت قبل الاحتلال الفرنسي تشكل مجتمعا متماسكا يقوم اقتـصاده على أسس نظام الإنتاج القبلي، والملاحظ على نمط الملكية أنها تميـزت بالاسـتقرار والتنظـيم، الناجمين عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، إذ يدل القران الكريم والسنة النبوية الشريفة على أن التراضي أساس كل عقود المبادلات المالية، فيتوقف عليه حلها وانعقادها، مصداقا لقوله تعالى: «إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم»، لان الحكام الأتراك بالجزائر بصفة عامة ومنطقة تيارت بـصفة خاصة لم يدخل تغيرات جذرية على أوضاع الملكيات، بل عملو جاهـدين علـى إخـضاعها للمطالب المخزنية، إذ اقتصر تنظيمهم للأراضي عن طريق مراجعة النظـام الجبـائي وتطـويره، بالإضافة إلى أن ملكية الرقبة في الأرض العرشية تبقى للحكومة الإدارية التي تحدد وتبيح استغلالها لقبيلة(العرش) تنتفع بها كيفما شاءت، شريطة عدم التفويت، والقاعدة فيها أن كل فرد من أفراد القبيلة له الحق في الانتفاع، بقدر ما يستطيع تعميره منها ولا يسوغ له أن يرتب عليها حقا مـن حقوق الملكية، كالإيجار أو الرهن....وغير ذلك.

وفيما يتعلق بالمنازعات الخاصة بأراضي العرش كانت كلها تخرج عن دائـرة اختـصاص القضاة وجميع ما يعرض بشأنها من خصومات يوكل إلى نظر الحكومة الإداريـة مـن الجماعـة وموظفي البايلك، ويفصل فيها طبقا للعرف الجاري بتلك القبيلة، الجماعيـة لـلأرض الموجهـة للنشاط الزراعي، وتربية المواشي الذي كان يمثل النشاط الاقتصادي الأساسي في تلك الفترة.

غير أن السلطات الاستعمارية رسمت خطة استيطانية استطاعت بفضلها سـلب أراضـي القبائل والقضاء على حرفة الرعي، فينبغي أن نتذكر أن الاستيطان الفرنسي، بنوعيه العسكري و المدني ركزا في سياستهما على كيفية استغلال المنطقة الذي يتطلب تفريغها من سكانها من خلال المجازر والإبادة بأبشع الوسائل المتاحة للجيش الفرنسي، و بعيدا عن كل مراقبة سياسية وأخلاقية، لجأ الاستعمار إلى استيراد المعدمين من أوربا ونقل المهاجرين إلى الجزائر، وكان لمنطقة الونشريس والسرسو حصة معتبرة من ذلك فظهر الاستيطان على شكل خليط مـن الجنـسيات الأوربيـة مختلفون في كل شيء إلا في كيفية استغلال المنطقة فهم متفقون.

إن السياسة الاستعمارية المنتهجة من طرف الإدارة الفرنسية والمطبقة في منطقة تيارت، قد ارتكزت على ترسانة من القوانين العقارية الجائرة لإعطاء صبغة شرعية لعملية الاستيطان بهـدف استلاب حقوق شعب بكامله، فكانت تهدف إلى تفكيك النسيج الاجتماعي القبلي المـبني علـى أسس القرابة وعلاقة التضامن بين أفرادها، فهذا ما أدى إلى تجزئة ملكية الأرض ومن ثم انتقال من مبدأ الملكية الجماعية للأرض إلى اقتصاد الجوع، كما أدت هذه القوانين إلى زعزعة كيان القبيلـة كوحدة أساسية يقوم عليها النظام الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع الجزائري.

لقد مست التشريعات الاستعمارية جميع الميادين خاصة الاقتصادي والاجتماعي منه لمنطقة تيارت من خلال فرنسة أراضي الجزائريين، و إخضاعها للتـشريعات الاسـتعمارية و إحـداث تغييرات جوهرية على وضعية الملكية العقارية في الجزائر بالقضاء على أراضي "العرش"، والتعـدي على الأراضي الخاضعة لأملاك "الحبوس" والجمعيات الخيرية، مما أدى إلى تفكيك بنية المجتمـع الجزائري وإدخال نظام الملكية الفردية وحصر الجزائـريين في منـاطق محـددة أطلـق عليهـا "الدوار"بهدف تشتيت القبائل و إخضاعها للقانون الفرنـسي ومـصادرة أراضـيها و إرهاقهـا بالضرائب، كما ترتب عن هذه التشريعات أيضا، ردود فعل مختلفة من قبل الجزائريين، عبروا من خلالها عن رفضهم لأساليب الإدارة الاستعمارية في مختلف المجالات الذي قاوم الاحتلال الفرنسي في مرحلة أولية بواسطة المقاومات الشعبية.

إن بتتبع مراحل الاستعمار الفرنسي بمنطقة تيارت خلال القرن التاسع عشر نلاحظ انه منذ البداية كان الهدف هو الاحتلال الاستيطاني وليس لأسباب أخرى كما ادعت الحكومة الفرنسية، وهذا ما يفسره تحمل الفرنسيين لضربات المقاومة المسلحة، والإصرار التام على تحويل الجزائر إلى ارض فرنسية دون مراعاة للفوارق الاجتماعية، والدينية، والثقافية، وهذا من بين الأسـباب الـتي أدت إلى فشل سياسة الإدماج كلية نظرا للاختلاف الجوهري بين الدولتين والشعبين، ما لم تنتبه له السلطات الفرنسية وحاولت تجاوزه بإصرار.

كما يلاحظ أن سياسة الفرنسيين في الجزائر قد اتخذت منعرجات مختلفة ولكنها خضعت في مجملها لأهواء الحكام وميولهم دون التفكير في هوية السكان وتقاليدهم وطبيعة حيـاتهم ولـذلك كانت مصادرة الأراضي من بين الأسباب الرئيسية إلى قيام ثورات متتالية برهنت علـى التعلـق الراسخ للسكان بأرضهم باعتبارها من المقدسات إلي يجب الذود عنها.

ومن جهة المقاومة يلاحظ أنها لم تتخذ شكلا شموليا في مناطق الجزائر المختلفة، وهذا عامل من عوامل فشلها، كما كانت نتيجة من نتائج تردي الأوضاع الاجتماعية في الفترة التي سبق وان تعرضنا لتفاصيل أحداثها وزادها سياسة التفرقة التي انتهجتها فرنسا منذ البداية.

وباختصار إن عزم فرنسا على جعل الجزائر وطنا للفرنسيين وقلب بلـد عـربي إلى بلـد فرنسي أوروبي قد أدى إلى نتائج سلبية عانى من جرائها المجتمع الجزائري وسكان منطقة تيـارت الكثير منها، نتيجة لإصدارها العديد من القوانين التعسفية والتي تهدف إلى اسـتبدال الفلاحـين الجزائريين بأخريين أوروبيين، أصبح هناك نظام اجتماعي معقد فتح المجال أمام عنـصرية مزمنـة وذلك نتيجة للقوانين الاستثنائية الصادرة عن السلطة الفرنسية كما أعطى الأوروبي حرية تامة في مقابل تكبيل الجزائري بجملة من التشريعات باعتباره مواطنا من الدرجة الثالثة.

وأشير في الأخير أن دراسة تاريخ منطقة تيارت ما بين 1841 إلى غاية سـنة 1890؛ مـن خلال أساليب الاستيطان في تلك المرحلة وما رافقه من مشاركة أهالي المنطقة ضـمن رد فعـل المقاومة الجزائرية، لا يغطيه بحث متواضع وإنما يحتاج إلى أكثر من دراسة، إنها بمثابة تجربة أوليـة، باعتبارها دراسة كغيرها من الدراسات لا تخلو من نقائص وصعوبات'تعبر عن جهد متواضع من قبلنا، كما أنها دينا على الباحثين وحقا على المنطقة، نأمل أن نخوض فيه مستقبلا بدراسات أخرى أكثر عمقا، و أنها مفتوحة لأقلام أخرى تكون أكثر شمولية علميا و منهجيا.

الملاحق

قائمة الملاحق:

1. قرار تأسيس مركز تيارت
2. مخطط امتياز لبرنارد كلود
3. سند ملكية عن طريق الامتياز
4. خريطة قبائل منطقة تيارت خلال سنة 1868
5. مخطط للجبال المربعة Mongane carré
6. مركز شاوشاوة
7. خريطة تيارت بلدية كاملة الصلاحيات
8. مدينة تيارت 1870

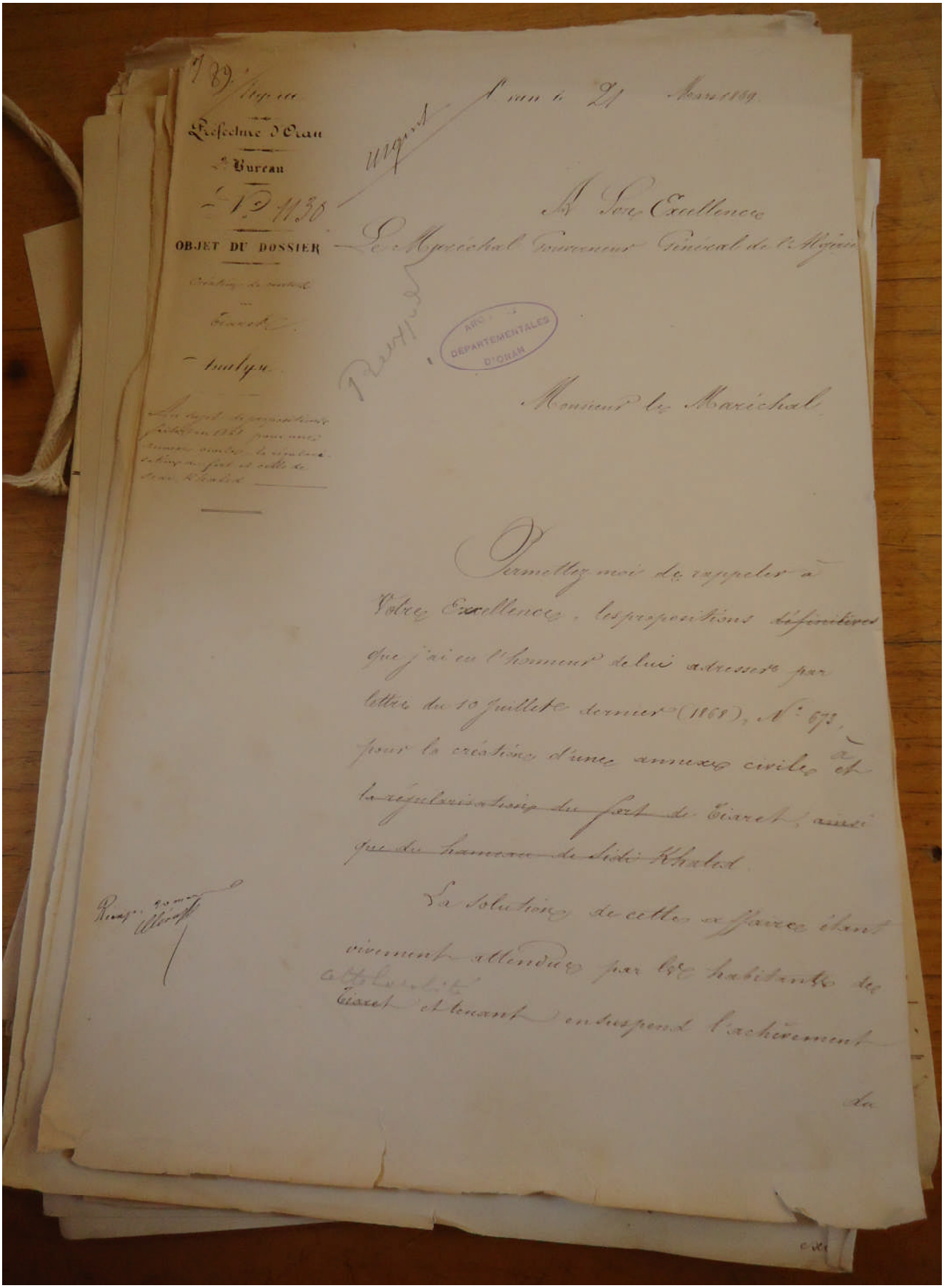
Préfecture d'Oran
2e Bureau
OBJET DU DOSSIER
Oran le 21 Mars 1869
A Son Excellence
Le Maréchal Gouverneur Général de l'Algérie
Monsieur le Maréchal,
Permettez moi de rappeler à Votre Excellence, les propositions définitives que j'ai eu l'honneur de lui adresser par lettre du 10 juillet dernier (1868), N° 673, pour la création d'une annexe civile à Tiaret et la régularisation du fort de Tiaret, ainsi que du hameau de Sidi Khaled.
La solution de cette affaire étant vivement attendue par les habitants de Tiaret et tenant en suspend l'achèvement de

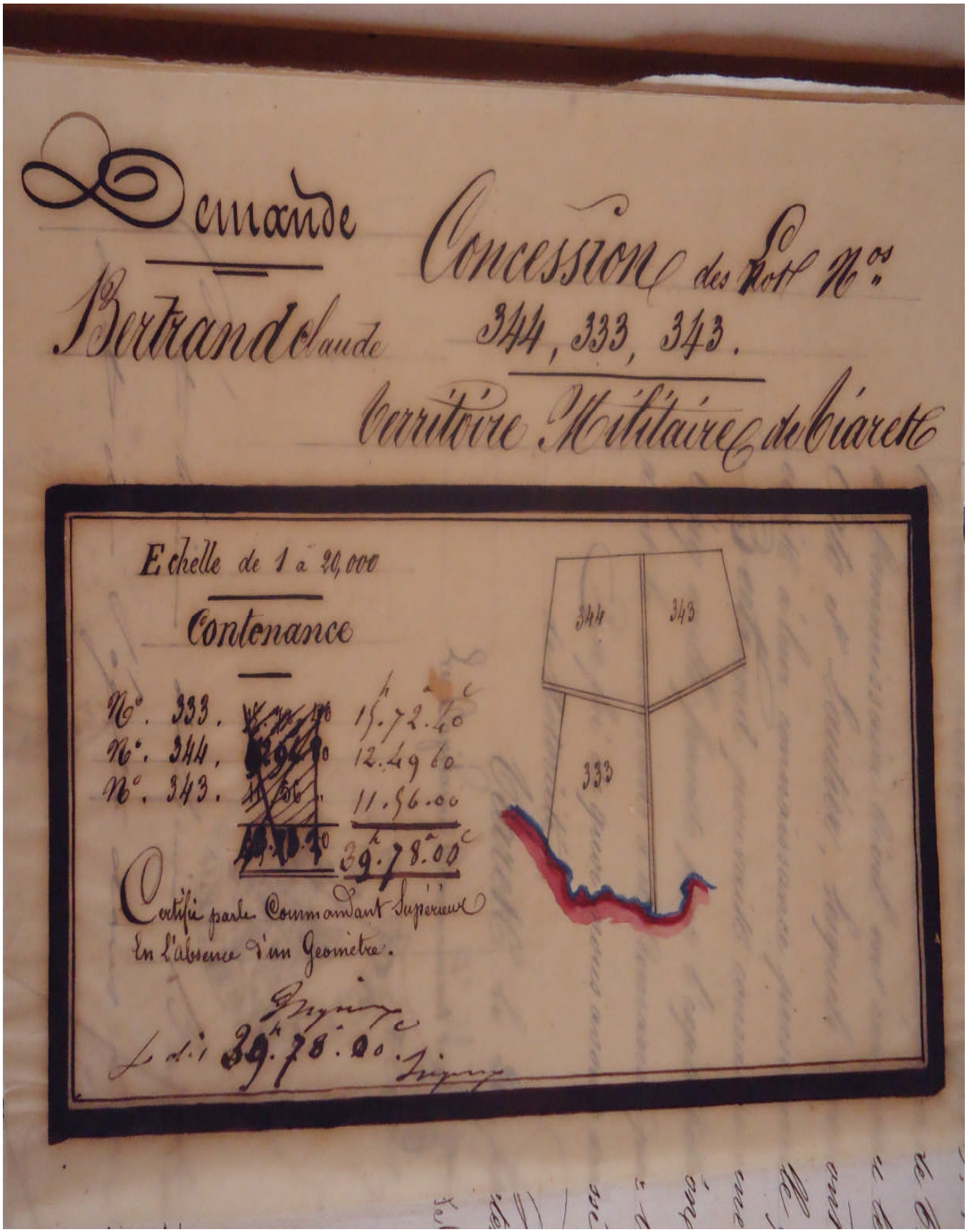
Demande
Bertrand Claude
Concession des Lots Nos
344, 333, 343.
Territoire Militaire de Biaret
Echelle de 1 à 20,000
Contenance
No. 333. 15.72.40
No. 344. 12.49.60
No. 343. 11.56.00
39.78.00
Certifié par le Commandant Supérieur
En l'absence d'un Geometre.
Le d.i 39.78.00.
344
343
333

C.A.O M2M181

N° 3362 de l'inventaire

ALGÉRIE.

Division d'Oran.
Subdivision de Mascara.

COLONISATION.

N° 221
Du registre des demandes en concession.

N° 72
du registre des titres de concession.

DÉSIGNATION DE LA LOCALITÉ

Tiaret.

Nom du Concessionnaire.

Bertrand Claude.

Serv. adm. — Série B, n° 8.

N° 87 visé pour valoir timbre gratis.
Oran, le quinze février 185[illegible]

EMPIRE FRANÇAIS

TITRE DE CONCESSION.

Nous, Chs. de Martimprey Général de division commandant la Division d'Oran.

Vu l'arrêté ainsi conçu :

Arrêté de Concession.

Nous, Chs. de Martimprey Général de division commandant la Division d'Oran.
Vu les ordonnances des 21 juillet 1845, 5 juin et 1er septembre 1847, et le décret présidentiel du 26 avril 1851;
Sur l'avis du conseil

ARRÊTONS :

Art. 1er. — Il est fait concession à un sieur Bertrand (Claude), cultivateur à Tiaret,

d'un terrain domanial d'une contenance de trente neuf hectares soixante dix huit ares, sis à Tiaret et détaillé comme il suit :

Lot rural N° 333	de la contenance de	15h 72a 40c	nature de terre labourable.
Lot rural N° 346	———	de 12 49 60	
Lot rural N° 347	———	de 11 56. 00	
	Ensemble	39 78 00	

tel qu'il est indiqué au plan d'assemblage du 26 juin 1852.

C.A.O M2M181

PLAN VISUEL
TIARET
TERRITOIRE
DE
COLONISATION
Ouled Ben Wali
Ouled Tahar
Ouled
OULED BEN AZZI.

C.A.O M2M181

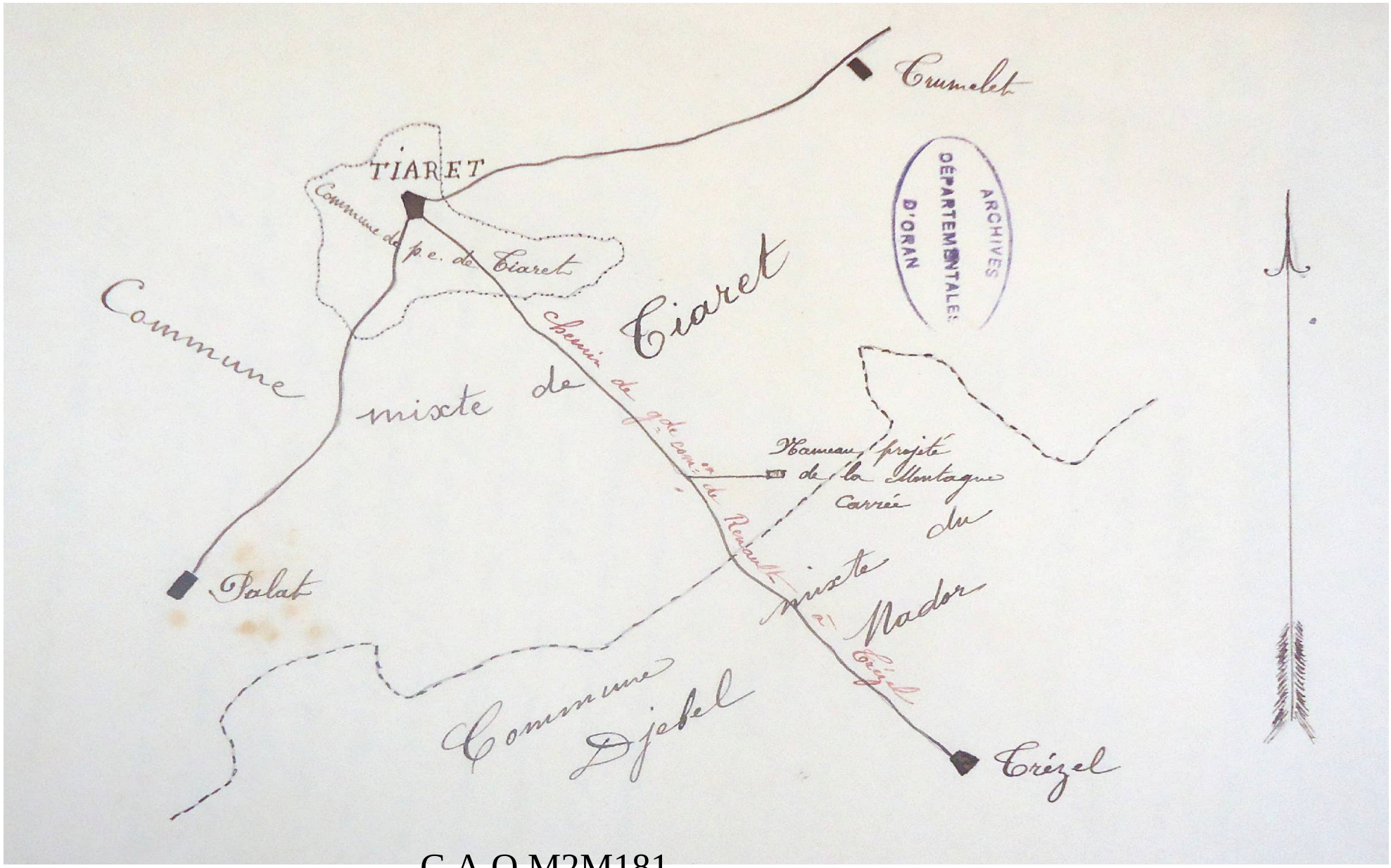
Crumelet
TIARET
Commune de p.e. de Tiaret
Commune mixte de Tiaret
Chemin de g.de com.n de Renault
Hameau projeté de la Montagne Carrée
Palat
Commune mixte de Mador
Djebel
Trézel
ARCHIVES DÉPARTEMENTALES D'ORAN

C.A.O M2M181

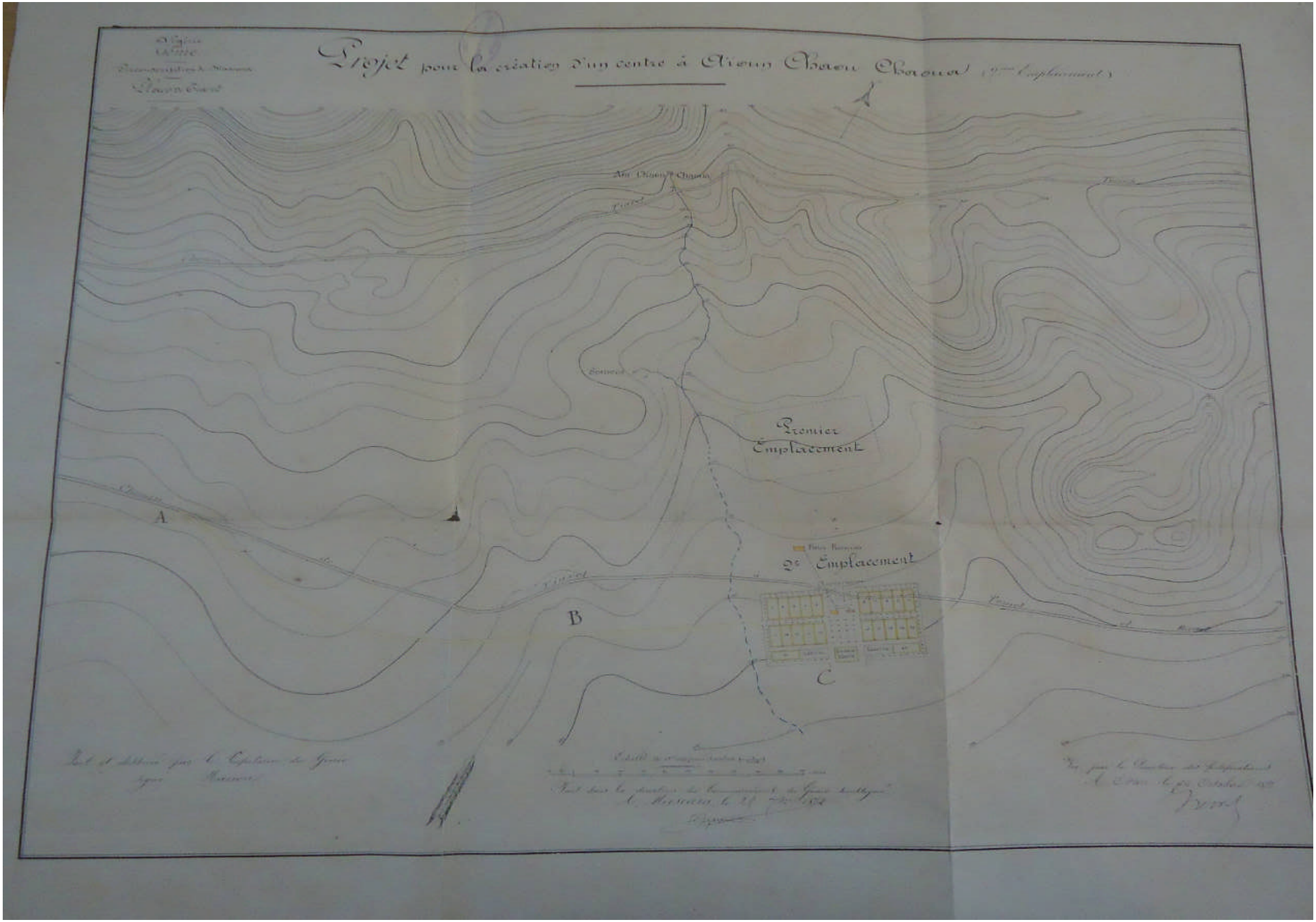
Projet pour la création d'un centre à Arcueil Cachan (2e Emplacement)
Premier Emplacement
2e Emplacement
A
B
C

C.A.O M2M181

Douar
Territoire de Ciaret
Commune de Ciaret
Douar Commune des Ouled Zouai
Douar Commune des Ouled Khelil
Douar Commune des Ouled Zouai
Algérie
(Département d'Oran)
Service Topographique
Plan
du Centre projeté
de
la Montagne carrée
Echelle de 1 à 40.000
Centres existants
et du programme général de Colonisation
propriétés privées
Limites de la Commune Mixte
Limites de Douar
Chemins de communication
Centre projeté de la Montagne carrée
Guerlouta
Oued Zouai
Oued Chaoua
Djebel Hasseini
Taqdempt
Ain Telmam
Ain Hassen
Ain Tekdy
Ain Djedida
Ain Barbat
Ain Bordj
Puits Arabe
Puits Maure
Puits Neuf
Douar Commune des Ouled Zouai
Douar Commune des Ouled Khelil
Douar Commune des Ouled Zouai

C.A.O M2M181

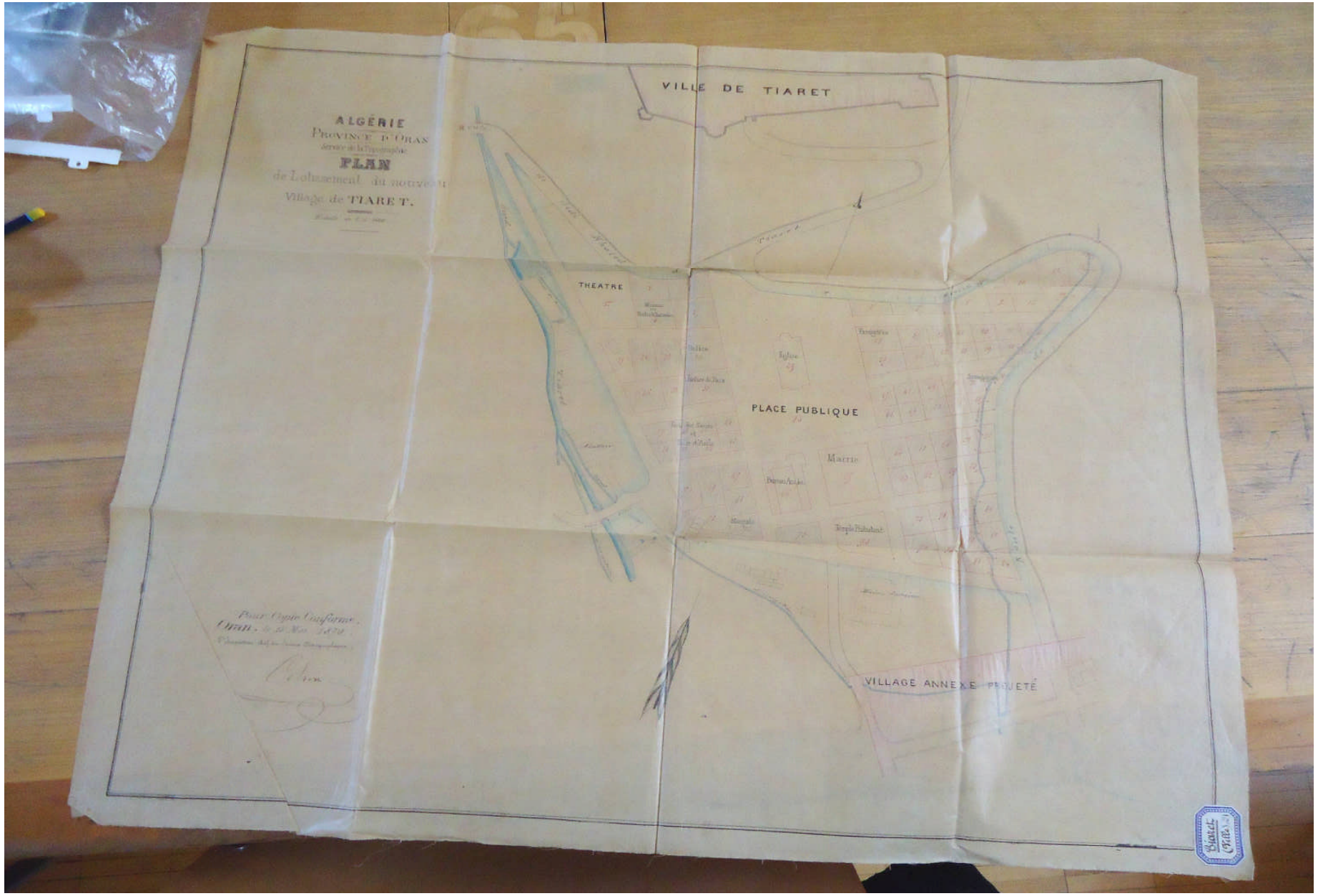
ALGÉRIE
PROVINCE D'ORAN
Service de la Topographie
PLAN
de l'alignement du nouveau
Village de TIARET.
VILLE DE TIARET
THEATRE
PLACE PUBLIQUE
Mairie
VILLAGE ANNEXE PROJETÉ

C.A.O M2M181

البيبليوغرافيا

البـبـلـيـوغـرافـيـا

أولا- الـمـصـادر:

أ- ارشيف ما وراء البحار اكس او بروفنس Archive d'autre mer à Aix en provaince

1) - C, A, O, M, 2m 181 Alger, département d'Oran :

a - notice historique sur la région de Tiaret.

b - état de culture de région de Tiaret

c -Notice historique et statistique de la commune de Tiaret, 31 janvier 1877

d - état de population par années depuis la création, centre de Tiaret

e - état de culture puis les années de création, cercle de Tiaret

f - l'agriculture de Tiaret

j - route d'Ouarsenis à riou à Tiaret

h - rapport relatif au projet de création d'une annexe civile à Tiaret

i- rapport relatif au projet de création d'une annexe civile à Tiaret, 1862, refuse le projet d'annexe civile de Tiaret, Algérie département d'Oran

g - construction dune Eglise, Algérie département d'Oran

k - crédit de 20,000 franc, rapport relatif au projet de création d'une annexe civile à Tiaret, 1862, Algérie département d'Oran

L- terrains cédé par les oulad Aziz à la commune indigène 18février 1884

m - projet pour la création d'un centre à chaou chaoua territoire de smalah à Tiaret, Algérie département d'Oran

n - rapport sur le projet de création d'un centre soixante feux au lieu dit chaou chaoua, sur la grande propriété domaniale de la smalah engobée don le douar de torriche (ouled chérif chraga)

o- rapport sur le projet de création d'un centre de cinquante feux à la montagne carrée, Algérie département d'Oran

p - historique de rôle joué par les tribus dans les défirent insurrections.

2) - C, A, O, M, f 80 1143, arrête de 2 avril 1846 et l'ordonnance de 2 janvier 1847

3) -C, A, O, M, 3M, 559:

a- Notice sur expéditions qui s'est terminée par la prise de smalah d'Abed -El-Kader, le 16 mai 1843

4) -C, A, O, M, H208, 1870, service historique de la défense, département terre :

a - commission de l'Algérie, sénat us- consulte, réglant la constitution de l'Algérie, de l'article de 27 de la constitution de l'empire, 5mai 1869.

b - Registre de délibération du conseil municipale la commune de Tiaret, 1900-1912.

5) -C, A, O, M, H209, état major de l'arme de terre

أ- محفوظات أرشيف ولاية وهران:

1) - LA Série I : Affaires Musulmanes:

Communes mixtes.4479

a - B, N°

b - B, N°2260, Etat D'esprit des Indigènes.

c - Série I, B4479; C/M N° 354

d- Série I, B 4479 C/M MINA, 1910

n- Les terres, "habous " ou " ouakf", dépôt d'archive département d'Oran, Seri I 2260 - non classé.

o - Béni m'aida, LA Série I B, N°4479 Communes mixte, Affaires Musulmanes, Dépôt d'archive d'Oran

2) - LA Série I 19, 4482, la propriété indigène – affaire musulement, 1925- 1935.

a- « Organigramme de la préfecture de Tiaret », 24décembre 1900.

أ- محفوظات أرشيف ولاية تيارت:

1) Archive de wilaya de Tiaret:

A - monographie du village de Tiaret, direction régionale ouest, édition 1890-1900, succursale de Tiare

B - centre de Trézel, archive famille de sidi hadj Mohamed ben Brahim, fon non classé

C - Crosses réparation, n1628/254, dater16-9-1912, boite n:1

D -centre d'Aflou, archive famille de hadj Mohamed ben Brahim fon non classé

E - centre d'Aflou, archive famille d'ould kadi Belhadri, fon non classé.

F - marabouts des Aflou, chapitre III, boite non classé

- أرشيف مديرية مسح الأراضي بشلف : Archive de direction cadastrale de chalef

ثانيا- المصادر و المراجع:

1- المصادر:

أ- باللّغة العربية:

1)- الحنبلي أبي الحسين الفراء ، الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق محمد حامـد الفقـي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1403- 1983

2)- أسكوت، مذكرات الكولونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر، 1841، ت: إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

3) - دي طوكفيل ألكسي ، نصوص عن الجزائر وفلسفة الاحتلال الفرنسي، ترجمـة وتقـديم إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008.

4)- الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير، سيرة ذاتية كتبها في السجن 1849 ، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون ، ط: 4 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2004.

5) - هنري تشرشل شارل ، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم أبو القاسم سعد الله، الطبعة الثالثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 2004.

6- المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخازنها الأسـود ، تحقيـق يحـي بوعزيز،ج 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

7)- زوزو عبد الحميد ، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1900)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،1984.

8) - ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1967.

9) - مسبيروا فرنسوا ، سانت أرنو أو الشرف الضائع، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005.

10)- شارلر وليام ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر، 1816- 1824؛ تعريب وتقديم: إسماعيـل العربي، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1982.

2- المراجع:

أ- باللغة العربية:

1- أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983.

2- جغلول عبد القادر، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سليم قسطوان، دار الحداثة بيروت ط1؛ 1984.

3- أجرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830- 1976؛ ترجمة عيسى عصفور، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986

4- فركوس صالح، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، المراحـل الكـبرى للعلوم والنشر، دار الفجر للطباعة عنابه، 2005

5- عدة بن داهة ، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائـر 1830 – 1962 ، الجزء الثاني، طبعة خاصة من وزارة المجاهدين،2008.

6- الأيوبي هيثم والعقيد ألديري أكرم وآخرون ، الموسوعة العسكرية، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979.

7- بوعزيز يحي ، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنيـة الجزائريـة ، 1830- 1854¡ ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1985

8- العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830- 1962، أعمال الملتقـى الـوطني الأول والثاني، الجزء الأول، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007

9- الموسوعات: الاقتصادية ، 1983.

ب- باللغة الأجنبية:

1. Abdellatif benachenhou, Régimes des terres et structure agraires
2. Berbrugger :des frontières de l'Algérie, Alger: 1859_1960
3. A.ben achenhou, formation du sous développement en Alger, 1978
4. 4M, bennoune , El Akbia un siècle d'histoire algérienne 1857 -1975,opus ,Alger,86
5. Accardo F, répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie dressé d'après les documents officiel sou la direction m myre , 1879
6. Addi lahouari, de l'Algérie prés coloniale à l'Algérie coloniale, Alger,
7. Clément Aguila, Tiaret de ma jeunesse Nice, édition, jacques Gandini 2002
8. (CH,A)Agèron, Les Algérien Musulmans et la France,1871-1919,P.U , 2t
9. Paul Azan, les grands soldats, publication du comité national métropolitain du centenaire d'Algérie, Alger ,1930
10. Paul Azan, L'émir Abed - el - Kader 1808 -1883, du fanatisme musulman au patriotisme français, paris, 1925
11. BAGEJA .M.Au pays de moisson ,ø édition Fontana ¡ Alger, 1948
12. Barlette, Tiaret et sa région d'après l'Afrique du nord, 1928-1931
13. Berque J, Le Maghreb entre deux guerres, collection esprits, diction, paris, 1962

14.-Claude lamboley,″ Une colonie Franc-Comtoise en Algérie au IXX_ siècle," Académie des sciences et lettres de Montpellier séance du 14/06/2004 Conférence 3870

15-Calville Marcel¡êtas de la propriété rurale en Algérie ¡ édition:André Emil, Alger, 1935

16-Claude Colot , les instruction du l'Algérie durant la période coloniale 1830-1962 édition du c,n,r,s , et édition du o,p,u , Alger , 1987

17-Carette M.e, du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les êtas barbaresque Imp. du roi, paris, 1844

18-Clavenad, C. (ingénieur des ponts et chaussées), Une Mission dans le Sud oranais, 1888

19- Claude Brezinski, Andre Louis Cholesky Laboratoire d'Analyse Numérique et d'Optimisation UFR IEEA, M3, Université des Sciences et Technologies de Lille

20-Comité Bugeaud, La colonisation officielle de 1871-1895, éditeur, comité Bugeaud Tunis 1928

21-Da resta, de la propriété en Algérie, auguste Durand, paris, 1852

22-Delfrassy , colonisation de l'Alger par le système du maréchal Bugeaud , association ouvrier , Alger,1871

23-Démente (Victor), la colonisation militaire sou Bugeaud, éditeur lilaire , conise 11, paris

24-Ernest-picard: la Monnier et le crédit en Algérie depuis 1830, édition, juls carbonel, Alger, 1930

25-E¡Mercier, la question indigène en Algérie au commencement du XXe , siècle, paris,

26- La Source : Emile Larcher, législation algérienne I, Arthur rousseau, pais, Adolph Jourdan, Alger, 1903

27-LAPASSET (FA): Aperçu sur l'organisation des indigènes dans les territoires militaires et dans les territoires civils, Alger, Dubos, 1850

a. Fabre, monographie de la commune mixte indigène de Tiaret – Aflou, Bulletin société géographique et d'archéologie de la Provence d'Oran, tom xxvi, 1902.

28-Jean piere hollande, Tiaret et sa région, d'appris l'Afrique de nord 1928-1931, collection africain nostras 01

29-Jeans Nicot et Pascal Carre, inventaire analytique et index, Shat, château de Vincennes, 2001

30- Hamadi (gh) "La Législation Foncière en Algérie Avant l'Indépendance ", RALSP, sept, 1971, v8, N°3, Alger 1971

31-Henri fourrire, la colonisation et la connsecion des terres, domaniales en Algérie

32- J Hammond, Domination et colonisation, Ernest Flammarion, Paris1910

33- Galissot (R), Maghreb, Algérie Classes Et Nations Alcane Terres éditions, paris 1987

34- Lamboly , une colonie franc-comtoise en Algérie au XIX siècle, Académie des sciences et lettres de Montpellier séance du14/6/2004 conférence 3870

35- Louis maillot, extrait de l'œuvre législative de la France en Algérie, paris 1987

36- Lion roches, trente deux ans à traves l'islam, 1839-1864, tom 1, édition firivn didot, paris, 1884-1885

37- Landmann, J.-M. (Abbé). Mémoires au Roi sur la colonisation de l'Algérie, paris 1845

38- Manquené Jules, l'Oranie et ses richesses agricoles, Oran, 1930

39- Mrozet, voyage dans la régence d'Alger, ou description de pays occupé par l'armée française, T 3, paris, 1830

40- Maxime Rastell , le calvaire des colons de 48 , paris , 1930

41- Pyermhoff , Enquêtes sur les Résultat de la colonisation official de 1871 à 1895 , tom II , Alger , 1900

42- Pierre Deloncle, la vie et mœurs en Algérie, publication Du Algérie, Alger, 1930

43- Waslin Esterhazy:la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger édition charles glossin ¡paris¡1840

44- Sarri (DJ), Déposition des Fellahs, SNE.D, Alger, 1975

45- M, Renaudot, Alger, tableaux du royaume de la ville d'Alger et ses environs, librairie universelle de p. Mongie Aine, Paris, 1830

46- Quid Robert Laffont, Paris, 1998

47- Tocqueville (Alex), de la colonie en Algérie, paris, 1988

48- J ¡Vallaire, mémoire sure la forme du gouvernement d'Alger et sur les mœurs et faculté des peuples qui habitent le royaume ¡France ¡1979

49- Violette (M) l'Algérie vivra t'Elle Paris, Félix Alcane, 1931

50- Xavier Yacono, les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du tell allégeront. Edition: Larousse, Paris 1953

ثالثا – الأطروحات:

أ- بالغة العربية: غير منشورة

1)- دادة محمد ، السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر من 1852- 1870¡ أطروحة لنيل درجة دكتورا دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، نوقشت بقسم التاريخ سنة 2002-2003¡ وهران.

2)- بليل محمد، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين بين 1881و1914 القطاع الوهراني نموذجا، رسالة ماجستير، نوقشت بقسم التاريخ سنة 2006¡ وهران.

رابعا– الدوريات:

أ- باللّغة العربية :

1- رزاقي عبد الرحمان "الضرائب في الجزائر ما بين 1871-1914 "مجلة الباحث" فصلية تاريخية صادرة عن الجيش الوطني الشعبي ,نوفمبر 1886 العدد3.

2- مجاود محمد :"أبعاد وآثار الاختراق الاستعماري الفرنسي في منطقة سيدي بلعباس "بالمجلـة التاريخية لجامعة سيدي بلعباس، 2005.

3- شهبي عبد العزيز ، تجارة الصحراء في العصور الحديثة حول منطقة الهقار، "حولية المؤرخ"، اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 9-10؛ السداسي الثاني، 2010.

4- بوعزيز يحي "المقاومة المسلحة في جبال الونشريس وزكار وحوض الشلف ضد الاسـتعمار الفرنسي 1840-1870 "، الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلامي 13-7/8-1980/9؛ منـشورات وزارة الشؤون الدينية دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة،1981.

5- بقطاش خديجة ، أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830؛ مجلة الثقافة، العدد 66؛ الجزائر، 1981

ت- باللغة الأجنبية:

1)- Echo de Tiaret, démanche 29 Aoute 1890, quatrième année, n° 144

2)- le sersou , organe républicain pour le défense des intérêts vitaux de la région de Tiaret et du sersou , 29 juillet 1909 , deuxièmes série , n° 02

3)- Moniteur de l'Algérie, journal official :

A - mercredi 29 septembre 1869, 9 année, n° ; 2

B - mercredi 29 septembre 1867, n° 12

C - 9 année, n° 54, jeudi i le 4 février 1869

4)- Moniteur Algérien journal official de la colonie :

- le 25 mai 1843 tom 2, Rapport officiel adressé par le duc d'Aumale. Au général de bar. du bivouac des chammou niah sur l'oued ourek . Le 20 mai 1843, tom II

A -13 février 1858, n° 1.602

B - 10 mai 1858, n01, 619

5)- Tiaret agricole.

1)- Annuaire Oranais, Imprimerie Fouqué, Alfred, 1892-1911.

2)- Bulletin Officiel de L'Algérie, (B.O.A) 1863, 1865,1869, 1870, 1873, 1874, 1875, 1881, 1892,1914.

3)- conseil générale, Exposé du préfet sur la situation du département et sur l'état des différents services publics : 2éme session ordinaire de 1900, Tiaret, 1900, département de Tiaret.

4)- Délégation générale du gouvernement en Algérie, direction générale de la fonction publique et de l'affaire administrative, annuaire de l'administration départementale, documentation territoriale, décembre 1912

5)- GGA, Expose De La Situation Général de l'Algérie, Présenté par Lutaud

6)- gouvernement générale de l'Algérie, tableaux générale ou 30 septembre 1884 des communes de pleins exercices mixtes et indigènes des trois départements de l'Algérie, Alger, 1884

7)- Gouvernement générale de l'Algérie, rapport générale, deuxième partie, commission de plans, département de Mostaganem, dépôt d'archive d'Oran.

8)-la Gouvernement générale de l'Algérie, commission de la protection de propriété indigène, Alger, 1899

9)- Recueil des actes administratifs du département d'Oran, n17

10)- Recueil des actes administratifs, préfecture d'Oran, année 1919, maire adjoints des communes de plein exercice, état des communes du département d'Oran

11)- tableaux de la situation établissements français dans l'Algérie en 1842, paris, 1842

12)- Tableaux de la situation établissement francis de l'Algérie, 1843 -1844,

13)- Statistique Général de l'Algérie, 1885 -1890

14)- Ahmed Benaoum,les lois fonciers, et leus effets en algerie 1830-1930,R,A,S,J,E,P, vol xn, 1mars1973.

15)- Estoublon(R),Lefebure (A), Code Annoté de L'Algérie, T1,1830-1895,Adolphe, Jourdan,1896,1200.

16)-Estoublon(R),Lefebure (A), Code Annoté de L'Algérie , T1 , 1830-1895 , Adolphe Jourdan ,1896.

17)-Hiloire furgier , monographie de la commune burdeau - Bourlier, département de Tiaret centre de documentation de conservation des archives département d'Oran , 1928.

18)-Le livre d'or de Loraine, dépôt D'Archive d'Oran.

19)-Mathieu, l'alfa dans le département Oran', conservation des forets a Oran, rapport de mission 1886, Alger, 1887.

20)-D Romy, montagne de sel de djebel amour, imprimerie typographique et lithographique, l, fougue, Oran, 1902.

21)-Etienne Ritter, le djebel Amour, carte géologique de l'Alegria 1901, Alger,

22)-Ferry(J), et Autres, Sénat, Commissions D'Etudes des Questions Algériennes

23)-M, P. De mener ville, Dictionnaire de la législation Algérienne, 1er volume, 1830-1860,3eme, Alger, paris, 1877.

24)-Mener ville, dictionnaire de la législation Algérienne, 2eme v, 1860-1866, Alger, paris, 1877.

الفهرس العام

شكر وعرفان
الإهداء
قائمة المختصرات
مقدمة .....أ

الفصل التمهيدي: منطقة تيارت قبل الاحتلال الفرنسي
1- الإطار الجغرافي والتاريخي للمنطقة .....
2-وضعية الملكية العقارية قبل 1840 .....
الفصل الأول: الوجود الاستعماري بتيارت من 1841-1851
1-أهمية المنطقة .....
2-التوسع الاستعماري بتيارت ونتائجه .....
الفصل الثاني: الإستيطان المدني بمنطقة تيارت من 1851-1890
1-تهيئة المنطقة (نماذج من التطبيقات) .....
2-بناء المركز الاستيطاني والقرى الفلاحية المجاورة .....
الفصل الثالث: نتائج الاستيطان الفرنسي على الجزائريين بمنطقة تيارت
1-الجوانب العسكرية والسياسية .....
2-الجوانب الاقتصادية .....
3-الجوانب الاجتماعية .....
خاتمة.....
الملاحق.....
البيليوغرافيا .. ..
الفهرس العام.....

ملخص

إن المتمعن والمتتبع للسياسة الاستيطانية المطبقة في منطقة تيارت، سيلاحظ بان فرنسا قد اعتمدت على وسائل وأساليب كثيرة في شكل حيل استعمارية متعددة ن التي أحدثت بدورها تغيرات مست ميادين عدة كان يعيشها سكان المنطقة، بالرغم من هذه الإجراءات القانونية نجد الأهالي دائما حاضرون صامدون لتلك الإجراءات الاستعمارية والعسكرية والذي تمثل في ردود أفعالهم ومشاركاتهم المتواضعة ضمن المقاومات الشعبية، ولهذا الغرض سنحاول بيان طابع السياسة الاستعمارية الفرنسية من خلال دراستنا الموسومة ب: الاستيطان الفرنسي في منطقة تيارت ما بين 1840-1890، للتعرف مدى توسعات الاستعمار بها، وما مدى شراسة الوجود العسكري بالمنطقة، والى أي مدى تم التأثير في المنطقة.

الكلمات المفتاحية :

الاستيطان؛ تيارت؛ الاستعمار؛ الملكية العقارية؛ التشريعات الاستعمارية القانونية؛ المراكز الاستيطانية؛ الدواوير؛ المقاومة الشعبية؛ القرى الفلاحية.

نوقشت يوم 24 نوفمبر 2013